

## الحديث الحادى والعشرون

قال رسول الله ﷺ :

« مَنْ فارق الجماعة شبرًا ، فقد خلع رِبْقَةَ الإسلام من عنقه » .

تخريجه :

الحديث أخرجه أبو داود فى : السنن : كتاب السنة : باب فى قتل الخوارج ٤ / ٢٤١ رقم (٤٧٥٨) من حديث أبى ذر رضي الله عنه مرفوعاً بهذا اللفظ .

والبخارى فى : الصحيح : كتاب الفتن : باب قول النبى ﷺ : « سترون بعدى أموراً تنكرونها » ٧ / ٥٩ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ولكن بلفظ : « مَنْ رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه ، فإن من فارق الجماعة شبراً فمات إلامات ميتة جاهلية » .

والحاكم فى : المستدرک : كتاب الإيمان : باب من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع رِبْقَةَ الإسلام من عنقه حتى يراجعه ١ / ٧٧ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بلفظ : « مَنْ خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع رِبْقَةَ الإسلام من عنقه حتى يراجعه ، ومن مات وليس عليه إمام جماعة فإن موته موة جاهلية » ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » وأقره الذهبى على ذلك فى : تلخيص المستدرک .

وأورده الألبانى فى : صحيح الجامع الصغير ٥ / ٣٢٦ رقم (٦٢٨٦) قائلا : « رواه أبو ذر الغفارى » .

معناه :

ينطلق الإسلام فى سنّ تشريعاته ومبادئه من الواقع الذى يعيشه الإنسان فى نفسه وفى الكون المحيط به .

وقد نطق الواقع الذى يعيشه الإنسان فى نفسه بأنه لا يستطيع أن يحيا الحياة الصحيحة ، الحالية من العلل والأمراض إلا إذا تعاونت وتآزرت جميع مكوناته الروحية ، والعقلية ، والبدنية بحيث يعطف بعضها على بعض ، ويرحم بعضها بعضاً .

كما نطق الواقع الذى يعيشه الإنسان فى الكون المحيط به بأنه لا يمكن أن يحيا الحياة التى تلبى فيها جميع حاجياته، ومطالبه، ويصان فيها دينه، ودمه، وماله، وعرضه دون عون، وتأييد من إخوانه، ومن سائر القوى الكونية الأخرى لذا دعا الإسلام إلى الجماعة، وجعل لزومها فرضا أو واجبا يأتى المسلم، ويعاقب على تركه أعظم الإثم، وأشد العقاب .

والحديث الذى نحن بصدد شرحه، وبيانه الآن تأكيد صادق لذلك ، إذ فيه يحثُ النبي ﷺ على لزوم الجماعة، وعدم مفارقتها .

وسبيل هذا الحثُّ هو بيانُ العاقبة التى ستؤول إليها حال المسلم حين يفارق الجماعة، ويتعد عنها ولو قيد شبر، وأنها تتلخص فى التخلص من الرباط الذى يربطه بالإسلام .

ولعمري إن أى مسلم سليم العقل، مستقيم الفطرة يقف على هذه العاقبة ويدركها تمام الإدراك يخاف على نفسه الضياع ، والهلاك ، وحينئذ يسارع بالارتقاء فى أحضان الجماعة، ويلازمها ويعيش فى كنفها. ولكى تبرز معالم الحديث بصورة أجلى وأوضح فإننا سنعرض له من الجوانب التالية:

الجانب الأول : معانى مفردات الحديث .

الجانب الثانى : دور الجماعة فى حياة المسلم .

الجانب الثالث : لزوم الجماعة فى ميزان الإسلام .

الجانب الرابع : شبهات حول لزوم الجماعة ومناقشة هذه الشبهات .

الجانب الخامس : أهم صفات الجماعة الجديرة بالاتباع واللزوم .

ودونك البيان :

أولا : معانى مفردات الحديث :

« مَنْ فارق الجماعة شبرا » :

الشبر : هو ما بين طرفى الخنصر والإبهام بالتفريج المعتاد، والمراد : مَنْ فارق الجماعة، وبعد عنها قدر شبر (١) .

(١) انظر : المعجم الوسيط / ١ / ٤٧٠ .

« فقد خلع ربة الإسلام من عنقه » :

الربة: ما يجعل فى عنق الدابة كالطوق يمسكها لئلا تشرد ، والمراد : مَنْ خرج عن طاعة الجماعة وفارقهم فى الأمر المجمع عليه فقد ضلّ ، وهلك ، وكان كالدابة إذا خلعت الربة التى هى محفوظة بها ، فإنها لا يؤمن عليها عند ذلك الهلاك ، والضياع<sup>(١)</sup>.

ثانيا : دور الجماعة فى حياة المسلم :

وللجماعة دور كبير فى حياة المسلم يمكن تلخيصه فيما يلى :

١- مساعدة المسلم على اكتشاف شخصيته ، وما تنطوى عليه هذه الشخصية من كمال أو نقص ، قوة أو ضعف :

ذلك أن الإنسان مهما يكن ذكاؤه ، ومهما تكن فطنته لا يمكنه وحده أو بمفرده أن يعرف أبعاد ومعالم شخصيته معرفة دقيقة . وإنما لابد له من آخرين يساعدونه على ذلك .

وعلى سبيل المثال لا الحصر : لا يستطيع الإنسان أن يكتشف ما فى شخصيته من أثره وأثانية ، أو إثثار وتعاون ، إلا إذا عاش فى جماعة ، وخالط أفرادها ، ورأى أصحاب الحاجات منهم ، ثم تبصّر فى نفسه : هل تقسو وتجمد ، فتشج وتبخل ؟ وحينئذ تكون الأثرة والأثانية ، أو ترق وتلين ، فتجود وتعطى ؟ وحينئذ يكون الإيثثار والتعاون ، وكذلك لا يمكنه أن يقف على ما فى شخصيته من حلم وأناة ، أو حمق وعجلة إلا إذا كان فى جماعة ، وصادف طبقات من غير أولى الكياسة ، ونظر :

هل يقابل خشونة ألسنتهم باللين ، وغلظة قلوبهم بالرفق؟ وهنا يكون الحلم ، والأناة ، أو يقابلها بمثلها ، وأشد؟ وهنا يكون الحمق ، والعجلة .

وأىضا لا يعرف الإنسان ما عنده من الشجاعة الأدبية ، أو الجبن والخور ، إلا إذا لازم الجماعة ، ورأى مَنْ يخطئ ثم تأمل نفسه :

هل يهون عليها أن تقول لهذا المخطئ : إن الصواب فى غير ما نطقت والحق فى غير ما رأيت ، والخير فى غير ما أتيت ؟ وهنالك تكون الشجاعة الأدبية ، أو يعزُّ عليها أن تقول ذلك ، فتصمت ، وتخرس ؟ وهنالك يكون الجبن ، والخور .

(١) انظر : معالم السنن للخطابى ٥ / ١١٨ ط دار الحديث ، لبنان ، على هامش السنن .

وبالمثل: لا يدرك الإنسان ما تنطوي عليه شخصيته من صدق وكذب، من أمانة وخيانة، من نظام وفوضى، إلا إذا عاش في وسط جماعة، وحدث أفرادها، واثمنوه على دمائهم، وأموالهم وأعراضهم، أو ضرب لهم موعداً، أو أعطى من نفسه عهداً لهم ثم نظر:

هل يحدثهم بما يوافق الحقيقة والواقع؟ فيكون صدوقاً، أو بما يخالفهما؟ فيكون كذاباً، وهل يحافظ على دمائهم، وأموالهم، وأعراضهم؟ فيكون أميناً، أو يعتدى عليها، ويهدرها؟ فيكون خائناً، وهل يحافظ على عهده، ويفى بوعده؟ فيكون دقيقاً، منضبطاً، منظماً، أو يهمل، ويخلف؟ فيكون فوضوياً غير دقيق، ولا منضبط، ولا منظم.

وهكذا تعدُّ الجماعة حقلاً تجريبياً، يطلع المسلم من خلاله على ما في شخصيته من كمال أو قصور، قوة أو ضعف، الأمر الذي ييسر عليه أن يعمل - إن كان جاداً في إقامة هذا الدين في نفسه - على تنمية ورعاية جوانب القوة، وتقويم، وتكميل جوانب الضعف.

وفي القصة التالية ما يشرح هذا الدور، ويبرزه بجلاء ووضوح، جاء في حديث معاوية بن قرّة، عن عائذ بن عمرو: أن سلمان، وصهيباً، وبلالاً كانوا قعوداً في أناس، فمرّ بهم أبو سفيان بن حرب، فقالوا: ما أخذت سيوف الله - تبارك وتعالى - من عنق عدو الله مأخذها بعد، فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش، وسيدها؟ قال: فأخبر بذلك النبي ﷺ فقال: «يا أبا بكر، لعلك أغضبتهم فلو كنت أغضبتهم، لقد أغضبت ربك - تبارك وتعالى؟» فرجع إليهم، فقال: أي إخواننا، لعلكم غضبتهم؟ فقالوا: لا يا أبا بكر، يغفر الله لك.

إن أبا بكر ما كان له أن يدرك مثل هذا العيب، لولا وجوده بين الجماعة وفي وسطها، الأمر الذي سهل عليه العلاج، والتداوى.

الحديث أخرجه مسلم في: الصحيح: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل سلمان وصهيب، وبلال رضي الله عنه ١٩٤٧/٤ رقم (١٧٠)، والنسائي في: السنن الكبرى: كتاب المناقب [تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف للحافظ المزني ٢٣٧/٤ رقم (٥٠٥٧)]، وأحمد في: المسند ٦٤/٥، ٦٥ كلهم من حديث عائذ بن عمرو رضي الله عنه مرفوعاً، واللفظ لمسلم.

وقد لفت النبى ﷺ الأنظار إلى مثل هذا الدور للجماعة حين قال: « المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن، يكفّ عليه ضيعته ويحوطه من ورائه» (١).

وكأنه يقول:

إن الطريق التى يعرف بها المسلم عيبه، ومواطن القصور أو الضعف فى شخصيته، إنما هى الجماعة؛ لأنها بالنسبة له كالمراة، والشأن فيمن يعرف عيبه، ويدرك قصوره وضعفه أن يسعى جاهدا لإصلاح وتهذيب هذا العيب، كما يصنع من يقف أمام المراة، وتدله على حاله.

٢- وإصلاح . وتهذيب . وتقويم ما عساه يكون فى شخصيته من قصور أو ضعف . أو عوج

ذلك أن الجماعة ساعدت المسلم على اكتشاف عيبه، أو علمت أنه اكتشفه بنفسه، لكنه لم يبادر إلى التخلص منه لسبب أو لآخر بادرت هى إلى القيام بدورها نحوه:

فتارة تمارس أمامه الصورة الصحيحة والنموذج الأمثل ليقتدى، ويتأسى، وتارة تستخدم النصيحة بشروطها وآدابها، وتارة تلجئه إلى العتاب واللوم، أو التوبيخ، والتفريع، وتارة تستخدم الهجر والقطيعة لأمد معين.

وهكذا تمارس الجماعة مختلف الأساليب والوسائل، وتسلك سائر الطرق وشتى السبل؛ لتعود بشخصية هذا المسلم إلى ماينبغى، والحديث التالى يشرح هذا الدور بجلاء ووضوح:

عن أبى جحيفة رضي الله عنه قال: قال أخى النبى ﷺ بين سلمان وأبى الدرداء، فزار سلمانُ أبأ الدرداء، فرأى أمَّ الدرداء متبذلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء، ليس له حاجة فى الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاما، فقال: كُلْ فإنى صائم، قال: ما أنا بأكل حتى تأكل، فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم، فلما كان من آخر الليل، قال سلمان: قم الآن، فضليا، فقال له سلمان:

الحديث أخرجه أبو داود فى: السنن: كتاب الأدب: باب فى النصيحة والحياطة ٢٨٠/٤ رقم (٤٩١٨)، والبخارى فى: الأدب المفرد: باب المسلم مرآة أخيه ص ١٠٧، ٢٣٨، ٢٣٩ كلاهما من حديث أبى هريرة رضي الله عنه مرفوعا، واللفظ لأبى داود.

إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه.

ثم أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ: «صدق سلمان» (١).

إن هذا الحديث يكشف لنا بجلاء ووضوح عن دور الجماعة في مساعدة المسلم على التخلص من آفاته، وعيوبه، إن عجز هو عن علاج ذلك بنفسه.

ولعل هذا الدور هو الذي عناه النبي ﷺ حين قال: «المؤمن مرآة المؤمن... إن رأى فيه عيباً قومه» (٢). وحين قال: «إذا أراد الله بالأمر خيراً جعل له وزير صدق: إن نسي ذكره، وإن ذكر أعانه: وإذا أراد الله به غير ذلك، جعل له وزير سوء: إن نسي لم يذكره، وإن ذكر لم يعنه» (٣).

٣- وتوظيف سائر طاقات المسلم، وإعمال كل غرائزه بما يؤدي إلى التوازن والتكامل في شخصيته، ويقضى على أى فراغ يمكن أن يستغله شياطين الإنس والجن في إغوائه، وإضلاله:

ذلك أن الإنسان - كما هو معلوم - مؤلف من جسد وعقل وروح، وبعبارة أخرى: من مادة وروح، والروح مزودٌ بطائفة من الغرائز تشبه الخطوط الدقيقة، المتقابلة، المتوازنة.

كل غريزتين منها متجاورتان في النفس، فهما في الوقت ذاته مختلفتان في الاتجاه: الخوف والرجاء، الحب والكراهة، الاتجاه إلى الواقع والاتجاه إلى الخيال، الطاقة الحسية والطاقة المعنوية، الإيمان بما تدركه الحواس والإيمان بما لاتدركه الحواس، حب الالتزام والميل للتطوع، الفردية والجماعية، السلبية والإيجابية... إلخ كلها غرائز متوازنة، ومتقابلة كما ترى، وهى بتوازيها وتقابلها، تؤدي مهمتها في ربط الكائن البشرى بالحياة، كأنما هى أوتاد متفرقة متقابلة، تشد، الكيان كله، وتربطه من كل

(١) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب الصوم: باب من أقسم على أخيه ليفطر فى التطوع ٤٩/٣، ٥٠، وكتاب الأدب: باب صنع الطعام والتكلف للضيف ٤٠/٨، والترمذى فى: السنن: كتاب الزهد: باب منه ٥٢٦/٤ رقم (٢٤١٣)، كلاهما من حديث أبى جحيفة، عن سلمان مرفوعاً به، وعقب الترمذى على حديثه قائلاً: «هذا حديث صحيح».

(٢) الحديث سبق تخريجه ص ١١.

(٣) الحديث أخرجه أبو داود فى: السنن: كتاب الخراج والإمارة والفتوى: باب فى اتخاذ الوزير ٣٤٥/٣ رقم (٢٩٣٢) من حديث عائشة مرفوعاً بهذا اللفظ.

جانبا يصلح للارتباط، وهي فى الوقت ذاته توسع أفقه، وتفسح مجال حياته، فلا ينحصر فى نطاق واحد، ولا فى مستوى واحد .

بيد أن تحقيق التوازن والتكامل فى حياة المسلم، مرهون بإعطاء كل غريزة من هذه الغرائز حَقَّها دون زيادة أو نقص، فمثلا : الحبُّ والبغض يعملان لدى المسلم فى وقت واحد فى قوله تعالى : ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [ الفتح : ٢٩ ] ﴿ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [ المائدة : ٥٤ ] ؛ نظرا لأن لكلٍّ منهما مجاله الذى يعمل فيه فلا تعارض .

وتعد الجماعة الحقل الوحيد الذى يوظف سائر طاقات المسلم، ويعمل كلُّ الغرائز بدرجات متساوية، ومتوازية فى نفس الوقت، الأمر الذى يؤدى إلى تكوين الشخصية السوية، المتزنة، المتكاملة، الخالية من أى انفصام أو عوج، والمحصنة ضد كيد الشيطان وإغوائه، ولعلَّ هذا هو ما أشار إليه النبىُّ ﷺ بقوله : « عليكم بالجماعة فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحه الجنة فليلزم الجماعة » <sup>(١)</sup> .

٤- وتزويده بكثير من الخبرات والتجارب التى تعينه على مواجهة ما يعترض طريقه من صعاب، وعقبات :

ذلك أن طريق العمل لدين الله طريق مليئة بالعقبات، محفوفة بالمخاطر، والمسلمُ الحصيف الذكىُّ هو الذى تكون لديه الخبرة أو التجربة، التى تعينه فى التغلب على هذه العقبات، والنجاة من تلك المخاطر .

وليس هناك مجال أرحب، وأوسع يكتسب فيه المسلم الخبرات ويتعلم التجارب سوى الجماعة .

ولعلنا بذلك نستطيع أن نفسر دقة السلوكيات، والتصرفات الواقعة من الفرد المخالط للجماعة، عن نظيراتها من الفرد الذى يعيش وحده، وفى الواقع الذى نعيشه عشرات الأمثلة التى تؤكد ذلك .

(١) الحديث أخرجه الترمذى فى : السنن : كتاب الفتن : باب ما جاء فى لزوم الجماعة ٤ / ٤٠٤ ، ٤٠٥ رقم (٢١٦٥) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعا، وعقب عليه بقوله : « هذا حديث حسن صحيح، غريب من هذا الوجه »، والحاكم فى : المستدرک : كتاب العلم : باب خطبة عمر بالجابية ١/ ١١٣ - ١١٥ من حديث عمر بن الخطاب مرفوعا، وعقب عليه بقوله : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين . . . ولم يخرجاه » .

وساكتفى من هذا الواقع بهذا المثال:

« حدث في ٤ من فبراير ١٩٤٢م إبان الاحتلال الإنجليزي لمصر، أن طلب الإنجليز من الملك فاروق، ملك مصر، أن يدعو حزب الوفد لتولى الوزارة، وهدّوه باقتحام قصره بالدبابات الإنجليزية، إذا لم يلبّ طلبهم، وقد فعل، وكان الإنجليز يهدفون من وراء ذلك إلى تحطيم حزب الوفد الممثل للأغلبية، لعلمهم بأن الذى يتولى الحكم فى ظروف الحرب التى تلازمها دائما قسوة الحياة، وصعوبة وسائل التموين، مع تعرض البلاد للغارات .. كل ذلك سيغرس الكراهية فى نفوس الشعب للجالس على قمة الحكم ، وقد ستروا هذا الهدف بما راج أيامها على ألسنة الناس من أنّ الدافع هو أنهم فى ظروف حرب، ويجب أن يكون فى الحكم حزب الأغلبية حتى يضمّنوا فى البلاد هدوءا يساعدهم على التفرغ لشئون الحرب وقد تحقق للإنجليز فعلا ما أرادوا .

وخرج الوفد من هذه الجولة فى الحكم خاسرا .

وجاءت على أعقابها حكومة سعودية برئاسة أحمد ماهر، ورأى القصر بعد نحو من سنتين من هذه الحادثة أن يذكر الناس؛ بها تأليا للشعب على الوفد، فأوحى إلى مواليه السعديين أن يدبروا خطة لذلك ، ورأى السعديون أنهم لكى يحققوا ذلك، لابدّ لهم من أن يتعاونوا مع الأحزاب الأخرى ، والهيئات المختلفة ، فاتصلوا فى سرية تامة بالأحرار الدستوريين، والحزب الوطنى، والحزب الاشتراكى ومجموعة من الأحزاب، والهيئات ، والحركات ، كانت موجودة في ذلك الوقت .

واستجاب الجميع إلى عقد اجتماع سرى لهذا الغرض ماعدا الحركة الإسلامية التى رفضت فى أول الأمر بدعوى أن فى مجموعة الأحزاب والهيئات التى استجابت الكفاية، ولا يضرهم تخلف هيئة واحدة لكن السعديين ألحوا إلحاحا شديدا، فاستجابت الحركة أخيرا، مكتفية بإيفاد عضو صغير كان لا يزال - إذ ذاك - طالبا بكلية الحقوق، وكان هذا العضو هو الطالب : سعيد رمضان .

وانعقد الاجتماع فعلا فى ظلّ الكتمان برياسة الدكتور السنهورى - أحد الزعماء البارزين فى حزب السعديين - وأخذ الدكتور السنهورى يشرح المقصود من الاجتماع، وهو أن تقوم الهيئات الحاضرة، متضامنة بحركة عنيفة ، كمظاهرة ، تذكر الناس بحادثة ٤ من فبراير ١٩٤٢م ، وبأن الوفد جاء إلى الحكم على أسنة رماح الإنجليز، ولا مانع من القيام ببعض التفجيرات، لإيقاف حركة المواصلات إثارة لانتباه الجماهير، ثم طلب

السنهورى من ممثلى الأحزاب والهيئات الحاضرين، أن يدلى كلّ برأيه ففعلوا، وكان إجماعا بالموافقة على اقتراح السنهورى، فتهلّل وجهه فرحا .

كان الطالب سعيد رمضان ممثل الحركة الإسلامية آخر المتكلمين، وكان فعلا أصغر الموجودين سنًا، ومركزا اجتماعيا، فلما جاء دوره قال: إننى لا أوافق على هذه الخطة، ولن تشترك الحركة الإسلامية فى شىء منها، فكانت كلماته بمثابة ديناميت نسف الاجتماع كله؛ لأنه كان بمثابة مركز الثقل فى هذا الاجتماع؛ والتفت إليه السنهورى باشا مغضبا، وسأله عن سبب رفضه، فقال سعيد : ياسعادة الباشا، أرجو - بعد أن تحدثت فى الاجتماع بكل ما فى نفسك - أن تعرفنى بالموجودين فيه فردا فردا، كلاً باسمه، فالتفت السنهورى إلى الموجودين ، فوجد نفسه عاجزا عن معرفة أكثرهم، فقال سعيد : إن اجتماعا على هذه الغاية من السرية ، وللاتفاق على أعمال خطيرة لا يعرف رئيس الاجتماع أسماء الحاضرين ولا شخصياتهم ، لهو اجتماع فاشل، لم يكن يستحق أن نحضره ، وما حضرنا إلا بعد إلحاحكم ، ولثبت لكم ياسعادة الباشا - مع احترامى لشخصك - أنكم تتصرفون تصرف الأبطال .

وما كاد يخرج المجتمعون ، وما كادوا يصلون إلى مقر هيئاتهم ، وإلى بيوتهم إلا وأطبق البوليس السرى عليهم، واقتادوهم فرادى إلى وزارة الداخلية، وواجهوا كلا منهم بما قاله فى الاجتماع بالحرف الواحد، مما دل - كما أشار سعيد - على أنه كان بين الحاضرين أشخاص مدسوسون من عملاء البوليس السياسى <sup>(١)</sup> .

ومغزى هذا المثال يكمن فى أن فردا صغيرا تربى فى أحضان جماعة مسلمة ملتزمة بالإسلام بشموله ، وعمومه ، استطاع تقييم اجتماع خطير كهذا تقييما أكد الواقع صحته، وصوابه ، بينما أخطأ أساتذة كبار - يعيشون لحالهم ، أو مع آخرين يلغون الإسلام من حساباتهم بالمرّة - خطأ أوقفهم، ومن معهم مواقف حرجة لا يرضى بها ولا عنها حرّ أبى كريم .

٥ - وبث الأمل فى نفس المسلم ، ودفع اليأس عنه :

ذلك أن المسلم الذى يعمل بدين الله ولدين الله منفردا ، يعتره بين الحين والحين خاطر : ماذا أصنع وحدى، وأعداء الله فى داخل الأمة وخارجها كثر، ولهم خططهم وأساليبهم الماكرة، وهم الآن مسكون بخناق العالم الإسلامى ؟

(١) انظر : أحداث صنعت التاريخ للأستاذ محمود عبد الحليم ١ / ٣٥٦ ، ٣٥٧ .

ولا يزال هذا الخاطر يلح عليه، ويحيط به، ويحاصره، وليس عنده ما يدفعه به، حتى يدب اليأس والقنوط إلى نفسه، فيترك العمل لدين الله . أما إذا كان يعمل بهذا الدين وله من خلال جماعة ، وعرض له مثل هذا الخاطر، فإنه يستطيع دفعه بأنه ليس وحيدا في الميدان ، وإنما هنالك آخرون غيره ، يسيرون معه في نفس الطريق ، ولهم من الوسائل والأساليب والإمكانات ما يعينهم على مواجهة أعدائهم ، وإحباط مكائدهم ومخططاتهم .

وهكذا تبتّ الجماعة في نفس المسلم الثقة والأمل بأن نصر الله آت لا محالة، وأن السيادة والغلبة والتمكين ستكون لدين الله عزّ وجلّ، وإن طال الليل وكثرت العقبات والمعوقات .

٦ - وتجديد نشاط المسلم بما يقوى عزيمته ، ويعلى همته ، ويضاعف من جهده :

ذلك أن المسلم تعثره في بعض الأحيان حال من الفتور والتراخي ، بسبب ضخامة الأعباء، وبعد الطريق، ومشقة العمل، فإذا ما التقى بإخوانه من المسلمين، وتفرد نور الطاعة في وجوههم، ورأى شدة خشوعهم، وكثرة إقبالهم على ربهم، زال هذا الفتور وذلك التراخي، وامتلاً حماساً، وحيوية، ونشاطاً، فيضاعف من جهده، وكأنما لم يعمل لدين الله من قبل .

وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا الدور حين قال : « ألا أخبركم بخير الناس ؟ » قالوا: بلى ، يا رسول الله، قال : « من تذكركم رؤيته بالله عزّ وجلّ » (١) .

٧ - وفتح مجالات تحصيل الأجر والثواب :

ذلك أن المسلم مع الجماعة يجد الفرصة أمامه سانحة لتحصيل مزيد من الأجر والثواب، فهو يسلم على المؤمنين، وينصح لهم، ويلبى دعوتهم، ويشمت عاطسهم، ويعود مريضهم، ويشيع ميتهم، ويتفقد غائبهم، ويودع مسافرهم ، ويستقبل قادمهم ، ويقرض محتاجهم ، ويفرج عن مكروبهم ، ويهدي لهم ، ويقبل هديتهم ، ويشير

(١) الحديث أخرجه ابن ماجه في : السنن : كتاب الزهد : باب من لا يؤبه له ١٣٧٩/٢ رقم (٤١١٩) من حديث سويد بن سعيد، قال : حدثنا يحيى بن سليم ، عن أبي خثيم، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ألا أنبئكم بخياركم ؟ » قالوا : بلى ، يا رسول الله ، قال : « خياركم الذين إذا رؤوا ذكر الله عزّ وجلّ »، وأورده البوصيري في مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه ٤ / ٢١٥، وعقب عليه بقوله: « هذا إسناد حسن، وشهر وسويد مختلف فيهما، وباقي رجال الإسناد ثقات ، وكذا رواه أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده ، وكذا عبد بن حميد في مسنده ، وأبو يعلى الموصلي في مسنده من طريق شهر بن حوشب به » .

عليهم ، ويستشيرهم ، ويعلم جاهلهم، ويتعلم من عالمهم ، إلى غير ذلك من المجالات المؤدية إلى الأجر والثواب.

أما إذا كان وحده، فأتى له أن يقوم بشيء من ذلك ؟ والمجال أمامه مغلق، والطريق فى وجهه مسدودة.

#### ٨- والظفر بالعون والتأييد الإلهى:

ذلك أن المسلمين مهما كانت كثرتهم، وضخامة استعدادهم بحاجة إلى عون وتأيد من الله عز وجل ، خالق كل شيء ومالكه ، ومدبر أمره والمتصرف فيه . ولاسيما فى هذا الوقت الذى ضربت فيه الجاهلية أطناها بكل مكان ، وأمسك أعداء الله بخناق العالم الإسلامى، ولم يعد هناك متنفس أو منقذ إلا الله عزوجل .

وقد مضت سنة الله . . . ألا ينزل نصره الكامل، وتأيدته التام لعباده دون توضيحات وتكاليف . وأبسط هذه التوضيحات، وتلك التكاليف أن يجاهد المسلم نفسه وهواه، وأن يكون مع الجماعة، ينفذ ما تأمر به ويجتنب ما تنهى عنه . وقد لفت النبى ﷺ الأنظار إلى هذا المعنى حين قال: « يد الله مع الجماعة » (١).

#### ٩- الإعانة على تأدية الواجب نحو دين الله عزوجل:

ذلك أن من واجب المسلم نحو دين الله عز وجل، الدعوة إلى هذا الدين والجهاد فى سبيله حتى يمكن له فى الأرض، وتبقى رايته عالية فى العالمين ، وليس بمقدور المسلم أن يقوم بهذين الواجبين على أكمل وأتم وجه وحده ، بل لابد له من أعوان يشدون أزره ، ويقوون عضده ، ويعينونه على أمره . ولعل أوضح مثال يؤكد لنا عجز المسلم عن القيام بهذين الواجبين وحده، رغيف الخبز، فإنه مع صغر حجمه لا يصل إلى الإنسان إلا بعد عمل عشرات بل مئات من البشر، تعاونت جميعا على تجهيزه، وإعداده، وتقديمه، ومن كان فى شك من ذلك فليسأل نفسه: من حرث الأرض؟ ومن بذر فيها الحب؟ ومن سقاه بالماء؟ ومن اقتلع الحشائش الضارة منه؟ ومن حصده؟ ومن درسه، وفصل الحب عن التبن؟ ومن طحنه؟ ومن عجنه؟ ومن خبزه؟ ومن سواه بالنار؟ ومن حمله إلينا؟ ومن؟ ومن؟ . . .

(١) الحديث أخرجه الترمذى فى : السنن : كتاب الفتن : باب ما جاء فى لزوم الجماعة ٤/ ٤٠٥ رقم (٢١٦٦) من حديث ابن عباس مرفوعا بهذا اللفظ، ثم عقب عليه بقوله: « هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه »، وأخرجه النسائى فى : السنن : كتاب تحريم الدم : باب قتل من فارق الجماعة ٧/ ٩٢ ، ٩٣ من حديث عرفجة بن شريح الأشجعى مرفوعا به .

هذا فضلا عن القوى الكونية الأخرى، كالشمس، والهواء، والماء، والتربة . . .  
وفوق هذا وذاك يد الله - عز وجل - حيث يقول سبحانه: ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (٦٢) أَأَنْتُمْ  
تَرْزُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمَغْرُمُونَ (٦٦)  
بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٧) ﴾ [ الواقعة ] .

وعليه ، فمن زعم أن بوسعه الاعتماد على نفسه في تحصيل هذا الرغيف الصغير  
في حجمه ؛ البسيط في مكوناته ، فإنه سيموت ، أو يشرف على الموت قبل أن يحصل  
عليه .

وإذا كانت الحال كذلك في أمر بسيط هين كـرغيف الخبز، فكيف لو كان الأمر أمر  
دعوة وجهاد ؛ من أجل حماية منهج الله، والتمكين له في الأرض، ولعل هذا هو  
ماعناه الحق - تبارك وتعالى - حين قال: ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ  
بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) ﴾ [ آل عمران ] ، ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى  
لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ [ الأنفال : ٣٩ ] ، ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا  
بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤١) ﴾ [ التوبة ] ، ﴿ قَاتِلُوهُمْ  
يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصَرِكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ (١٤) وَيَذْهَبَ عِظَ  
قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ﴾ [ التوبة ] ، ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ ﴾

[ الحج : ٧٨ ]

فكلف كل واحد بهذه المهمة في صورة خطاب جماعي، ولم يكلفه في صورة  
خطاب فردي، إشارة إلى أن كل واحد لا يستطيع أن ينهض بمهمته وحده وإنما بمعاونة  
ومساندة الآخرين .

١٠ - حمة المسلم، وحرسه، وكرامته

فلا يجرؤ الأعداء على إيذائه، أو التناول عليه في دم، أو مال، أو عرض ؛ لأن  
له من جماعة المؤمنين ظهيرا نصيرا ، وحتى لو تجرأ هؤلاء فأذوه في دم ، أو مال ،  
أو عرض ، فإن إخوانه سينصفونه، وسيردّون له مظلمته، على نحو ما حدث حين  
اعتدى يهود بنى قينقاع على حرمة امرأة مسلمة وإجلاء النبي ﷺ لهم ، وكما حدث  
حين لطم الرومي المرأة المسلمة في عمورية، واستنجدت بالخليفة المعتصم بالله العباسي،

فجهز الخليفة جيشا ضخما ، آخره عنده ، وأوله فى عمورية ؛ لتأديب الروم على هذه الفعلة القبيحة .

هذا هو شأن المسلم حين يكون فى جماعة ، أمّا إذا كان وحده ، فإن الأعداء سيتربصون به الدوائر ، وسيكيدون له بكل ما أوتوا من قوّة ووسيلة ، ولعل هذا هو السرّ فى حرص الأعداء على أن يظل المسلمون منقسمين على أنفسهم ، إيماننا منهم بأن السيطرة عليهم ، والإذلال لهم ، ونهب ثرواتهم وخيرات بلادهم ، كل ذلك لا يتم إلا فى جوّ من الفرقة والشقاق ، ومن شعاراتهم فى هذا الصدد : « فرّق تسد » .

وعلى ضوء هذه الحقيقة يمكن أن ندرك الهدف من أمر الله عزّ وجلّ للجماعة المسلمة بالوحدة ، ونبذ الفرقة ، والتنازع ، ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ [ آل عمران : ١٠٣ ] ، ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥) ﴾ [ آل عمران ] ، ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [ الأنفال : ٤٦ ] .

ثالثا : لزوم الجماعة فى ميزان الإسلام .

وإذا كان هذا هو دور الجماعة فى حياة المسلم ، فإن على كلّ مسلم صادق يحترم عقله ، ويعتزّ بإنسانيته وكرامته ، ويخلص لدينه ، ويريد العمل من أجل حمايته ، والتمكين له ، أن يسير مع الجماعة وأن يلتزم بها ، وألا يفارقها قيد شعرة .

بيد أن بعض الناس قد يظنّ أن لزوم الجماعة ليس أمراً حتميا ، وإنما هو تطوع ؛ من أراد أن يلزم الجماعة لزم ، ومن رغب عنها فلا حرج . من هنا نعود فنؤكد أن لزوم الجماعة ليس تطوعا أو منةً من أحد على الله ، بل هو فريضة شرعية وضرورة بشرية ، وسنة كونية .

أما أنه فريضة شرعية فلأدلة كثيرة . منها .

أ - النصوص الكثيرة الدالة على ذلك صراحة أو ضمنا ، كقوله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [ المائدة : ٢ ] ، ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ [ آل عمران : ١٠٣ ] ، ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥) ﴾ يوم تبيضُّ وجوهٌ وتَسودُّ وجوهٌ ﴿ [ آل عمران ]

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [الأنفال: ٤٦] ، ﴿ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٢١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعْبًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿ (٢٢) ﴾

[ الروم ]

وكقوله ﷺ : « عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد... » (١) ، « من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه » (٢) ، « يد الله مع الجماعة » (٣) ، « وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهنّ : بالجماعة، والسمع، والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله، فإن من خرج من الجماعة قيد شبر، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلى أن يرجع » قالوا : يا رسول الله، وإن صلى، وصام؟ قال : « وإن صام، وصلى، وزعم أنه مسلم » (٤) ، « إن الشيطان ذئب الإنسان، كذئب الغنم، يأخذ الشاة القاصية، والناحية، وإياكم والشعاب، وعليكم بالجماعة، والعمامة » (٥) ، « ... تلزم جماعة المسلمين، وإمامهم » (٦) ردّاً على حذيفة بن اليمان حين قال للنبي ﷺ : فما تأمرني ؟

إلى غير ذلك من النصوص التي تدل دلالة لا تحتمل تأويلاً على فرضية لزوم الجماعة، وتبيّن أن البعد، والتفرد، والعزلة، تعنى الشتات والذلّ، والهوان في الدنيا، والعذاب الشديد في الآخرة .

ب - ولأن هذا هو المنهج الذي سلكه رسول الله ﷺ في تشييد دولة الإسلام الأولى، والتمكين لدين الله في الأرض، فقد حرص ﷺ لأول وهلة على الظفر، والانحياز إلى جماعة تؤيده، وتؤازره، وتعينه على أمره وكان يقول للناس - وهو

(١) الحديث سبق تخريجه ص ١٣ .

(٢) الحديث سبق تخريجه ص ٧ .

(٣) الحديث سبق تخريجه ص ١٧ .

(٤) الحديث سيأتي تخريجه في شرح حديث : « آمركم بثلاث، وأنهاكم عن ثلاث » .

(٥) الحديث أورده الهيثمي في : مجمع الزوائد : كتاب الخلافة : باب لزوم الجماعة ... ٢١٩/٥ من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعاً، وعقب عليه بقوله : « رواه أحمد، والطبراني، ورجال أحمد ثقات إلا أنّ العلاء بن زياد قيل : إنه لم يسمع من معاذ » .

(٦) الحديث جزء حديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب الفتن : باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة ٩ / ٦٥ ، ومسلم في : الصحيح : كتاب الإمارة : باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن ٣ / ١٤٧٥ ، ١٤٧٦ رقم (٥١) ، كلاهما من حديث حذيفة بن اليمان مرفوعاً، واللفظ للبخاري .

يعرض نفسه عليهم فى موسم الحج، وفى أسواقهم العامة، الجامعة، كعكاظ وغيرها :  
 « ألا رجل يحملنى إلى قومه، فإن قريشاً منعونى أن أبلغ كلام ربى ؟ » (١) .

وما زال كذلك حتى قبض الله له نفرا من الأوس والخزرج، حملوه إلى المدينة المنورة، وبذلوا الأرواح والمهج فداءً له ولدعوته، حتى تمت كلمة ربه الحسنى، ودخل الناس فى دين الله أفواجا .

وإذا كان هذا هو المنهج الذى سلكه رسول الله ﷺ دون غيره فى إقامة دولة الإسلام، فإن الواجب والمفروض علينا أن نقتدى وأن نتأسى به ﷺ؛ حيث لم يرد دليل بأن هذا من خصوصياته ﷺ ولنا فى رسول الله الأسوة والقودة : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب] ،  
 ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران : ٣١] ،  
 ﴿ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (١٥٨) [الأعراف] .

جـ - ولأنه الطريق لقيام المسلم بالواجبات المفروضة عليه، ولاسيما واجب الدعوة إلى الله، والبلاغ . . . وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ولعل هذا هو السر فى توجيه الخطاب - بالنسبة لهذه الواجبات - إلى الجماعة كلها، لا إلى فرد بعينه، إذ يقول سبحانه : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] ، ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ ﴾ [الحج : ٧٨] ، ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [التوبة : ٤١] ، ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال : ٣٩] ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٠٢) [آل عمران] ، ويقول النبى ﷺ : « بلغوا عنى ولو آية » (٢)، «جاهدوا المشركين بأموالكم، وأنفسكم، وألستكم » (٣) إلى غير ذلك من النصوص .

(١) الحديث أخرجه أبو داود فى : السنن : كتاب السنة : باب فى القرآن ٤ / ٢٣٤ رقم (٤٧٣٤) ، والترمذى فى : السنن : كتاب فضائل القرآن : باب منه ٥ / ١٦٨ رقم (٢٩٢٥) ، وابن ماجه فى : السنن : المقدمة : باب فيما أنكرت الجهمية ١ / ٧٣ رقم (٢٠١) ، وأحمد فى : المسند ٣ / ٣٢٢ ، كلهم من حديث جابر ابن عبد الله مرفوعاً، وعقب الترمذى على حديثه قائلًا : « هذا حديث غريب صحيح » .

(٢) الحديث سيأتى تخريجه فى شرح الحديث السادس والعشرين إن شاء الله تعالى .

(٣) الحديث أخرجه أبو داود فى : السنن : كتاب الجهاد : باب كراهية ترك الغزو ٣ / ١٠ رقم (٢٥٠٤) ، والنسائى فى : السنن : كتاب الجهاد : باب فى وجوب الجهاد ٧ / ٦ رقم (٣٠٩٦٠) ، والدارمى فى : السنن : كتاب الجهاد : باب جهاد المشركين باللسان واليد ٢ / ٦٥٩ رقم (٢٣٤١) ، وأحمد فى : المسند ٣ / ١٢٤ ، ١٥٣ ، ٢٥١ ، والحاكم فى : المستدرک : كتاب الجهاد : باب ذكر ليلة أفضل من ليلة القدر ٢ / ٨١ ، كلهم من حديث أنس بن مالك مرفوعاً .

د - ولأن هناك طائفة من التشريعات يمكن للمسلم أن يؤديها بصورة فردية، بيد أن الإسلام أكد فيها على معنى الجماعية، وشدد على ذلك ، مثل صلاة الجماعة : بقوله ﷺ : « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة »<sup>(١)</sup> ، وفي رواية : « بخمس وعشرين درجة »<sup>(٢)</sup> ، « ولقد هممت أن أمر بالصلاة فتقام ، ثم أمر رجلا فيصلي بالناس ، ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة ، فأحرق عليهم بيوتهم بالنار »<sup>(٣)</sup>.

ومثل الصيام المفروض في رمضان ، فإنه مشاركة جماعية ، ومساواة في الجوع في فترة معينة من الزمان، مع أنه يمكن أن يقع بصورة فردية.

ومثل الحج ، فإنه ملتقى عام للمسلمين جميعا من كل عام، يجتمعون من كل أطراف الأرض على أقدس غاية ، وفي يوم واحد هو يوم عرفة ، حتى قال ﷺ : « الحجُّ الحجُّ يومُ عرفة ... »<sup>(٤)</sup>.

ومثل تعلّم العلم ، وتعليمه : « ... وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الجماعة والإمامة : باب فضل صلاة الجماعة / ١ / ٢٣١ ، ومسلم فى : الصحيح : كتاب المساجد ، ومواضع الصلاة : باب فضل صلاة الجماعة / ١ / ٤٥٠ ، ٤٥١ رقم ( ٢٤٩ ، ٢٥٠ ) ، كلاهما من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعا ، واللفظ للبخارى .

(٢) هذه الرواية أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الجماعة والإمامة : باب فضل صلاة الجماعة ، وباب فضل صلاة الفجر فى جماعة / ١ / ٢٣١ ، ٢٣٢ رقم ( ٦١٩ - ٦٢١ ) ، ومسلم فى : الصحيح : كتاب المساجد ، ومواضع الصلاة : باب فضل صلاة الجماعة / ١ / ٤٤٩ ، ٤٥٠ رقم ( ٢٤٥ - ٢٤٨ ) ، كلاهما من حديث أبى هريرة رضي الله عنه مرفوعا .

(٣) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الجماعة والإمامة : باب وجوب صلاة الجماعة ، وباب فضل العشاء فى الجماعة / ١ / ٢٣١ ، ٢٣٤ رقم ( ٦١٨ ، ٦٢٦ ) ، ومسلم فى : الصحيح : كتاب المساجد ، ومواضع الصلاة : باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد فى التخلف عنها / ١ / ٤٥١ ، ٤٥٢ رقم ( ٢٥١ - ٢٥٣ ) ، كلاهما من حديث أبى هريرة مرفوعا ، واللفظ لمسلم .

(٤) الحديث أخرجه أبو داود فى : السنن : كتاب المناسك : باب من لم يدرك عرفة / ٢ / ١٩٦ رقم ( ١٩٤٩ ) ، والترمذى فى : السنن : كتاب الحج : باب ما جاء فىمن أدرك الإمام بجمع فقد أدرك الحج / ٣ / ٢٣٧ رقم ( ٨٨٩ ) ، والنسائى فى : السنن : كتاب الحج : باب فرض الوقوف بعرفة ، وباب فىمن لم يدرك صلاة الصبح مع الإمام بالمزدلفة / ٥ / ٢٥٦ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ رقم ( ٣٠١٦ ، ٣٠٤٤ ) ، وابن ماجه فى : السنن : كتاب المناسك : باب من أتى عرفة قبل الفجر ليلة جمع / ٢ / ١٠٣ رقم ( ٣٠١٥ ) ، والدارمى فى : السنن : كتاب المناسك : باب بيم يتم الحج ؟ / ١ / ٤٨٨ رقم ( ١٨٢٧ ) ، وأحمد فى : المسند / ٤ / ٢٦١ ، ٢٦٢ ، كلهم من حديث عبد الرحمن بن يعمر الدبلى مرفوعا .

كتاب الله ويتدارسونهم بينهم ، إلا حفتهم الملائكة ، ونزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وذكرهم الله فيمن عنده « (١) ، وكان يمكن أن يؤدى بصورة فردية .

ومثل صلاة الجمعة، والعيدين، والاستسقاء، والكسوف والخسوف ونحوها .

وأبعد من هذا حرص الرسول ﷺ على أن يجتمع المسلمون حتى فى المظهر الشكلى، فقد رآهم يوماً، وهم يجلسون متفرقين، فقال لهم: « اجتمعوا »، فاجتمعوا، يقول راوى الحديث: فلو بسط عليهم ثوبه (لوسعهم) ... « (٢) .

وانطلاقاً من ذلك نستطيع القول بأنه إذا كانت الجماعة مؤكدة لازمة فى التشريعات التى يمكن أن تقع بصورة فردية، فإنها تكون - من باب أولى - أشد تأكيداً، وأكثر إلزاماً من تلك التى لا يمكن أن تقع كاملة إلا بصورة جماعية، مثل الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر والجهاد، ولاسيما فى هذا العصر، الذى أمسك فيه الباطل بزمام الحياة، وتعبد الناس بمنهج غير منهج الله - عز وجل - .  
وأما إنه ضرورة بشرية فلا أدلة، منها :

أ - أن الكفار والمنافقين - كما هو معلوم ومشاهد من أحوالهم - يقفون موقف التكتل، والتحزب من الإسلام، والدعوة إليه، فتراهم يحشدون، ويجمعون، ويتعاونون فيما بينهم فى شكل أحلاف عسكرية: (حلف وارسو سابقاً - حلف الأطلنطى)، وفى شكل أسواق تجارية: (السوق الأوروبية المشتركة)، وفى شكل برلمانات، وهيئات سياسية: (البرلمان الأوروبى)، وفى شكل اتحادات جمهورية، وولاياتية: ( جمهوريات الاتحاد السوفيتى سابقاً - الولايات المتحدة الأمريكية ) . كل هذا من أجل السيطرة على ديار المسلمين، لابتزاز ثرواتهم، وخيراتهم، وإذلالهم، واضطرارهم إلى أحد أمرين: إما الكفر، وإما القتل: ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ ﴾ [ التوبة : ٦٧ ] ، ﴿ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مَلَّتَهُمْ ﴾

(١) الحديث أخرجه مسلم فى: الصحيح : كتاب الذكر والدعاء: باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ٢٠٧٤/٤ رقم ( ٣٨ ، ٣٩ )، وأبو داود فى: السنن: كتاب الصلاة: باب فى ثواب قراءة القرآن ٧١/٢ رقم (١٤٥٦) ، والترمذى فى: السنن: كتاب القراءات : باب منه ١٧٩/٥ رقم (٢٩٤٥) ، وابن ماجه فى: السنن: المقدمة: باب فضل العلماء ٨٢/١ رقم ( ٢٢٥ )، وكتاب الأدب : باب فضل الذكر ١٢٤٥ /٢ رقم (٣٧٩١)، وأحمد فى : المسند ٢/٢٥٢ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٤٧ ، كلهم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً إلا أحمد فإنه عنده من حديث أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى .

(٢) الحديث سياتى تخريجه فى شرح الحديث الثالث والعشرين بإذن الله تعالى .

[البقرة : ١٢٠] ، ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ [ البقرة :  
 [ ٢١٧ ] ، ﴿ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدُوا ﴾ [٢١٧]  
 [ الكهف ] ، ﴿ إِنْ يَتَّقُواكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُرُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا  
 لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ [٢١٧] ﴿ [ المنحة ] .

والردُّ العملى على هؤلاء أن يلزم المسلم إخوانه، فتكون لهم جماعة قادرة على  
 مواجهة أهل الكفر والإلحاد ، وكبح جماحهم ، بل وعاملة على زحزحة وإزاحة هؤلاء  
 من طريق البشر ليعيشوا أحراراً ، وقد نبه الحق سبحانه وتعالى إلى ذلك حين قال :  
 ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [ التوبة :  
 [ ٧١ ] ، ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [٧٣] ﴿  
 [ الانفال ] ، ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾ [ التوبة : ٣٦ ] .

ب - وأن الإنسان لا يستطيع أن يعيش فى هذا الكون، وأن يكون سيداً فيه دون أن  
 يُعينه أو أن يعاونه الآخرون، وقد قدمنا على ذلك مثالا من الواقع ألا وهو رغبة  
 الخبز، أبسط شىء وأيسره فى هذه الحياة، فكيف إذا تعدى الأمر ذلك إلى العمل من  
 أجل حماية دين الله، ونشره فى العالمين. إن ذلك يفرض على المسلمين - كبشر يريدون  
 حق الحرية والحياة - أن يكونوا صفا واحدا يشد بعضه بعضا كالبنيان المرصوص .

وأما إنه سنة كونية :

فلما هو مشاهد فى هذا الوجود، أو هذا الكون من أن كل مجموعة متجانسة،  
 تتعاون وتتآزر فيما بينها لتحقيق ما خلقت له، فها هى المجموعة الشمسية ، تتعاون  
 لتوفير الضياء والدفء لسائر الكائنات الحية ، وها هى جماعة النحل تتعاون فى بناء  
 بيوتها، وتنظيفها، وتوفير الحماية لها ، ثم تسرح لتمتص رحيق الأزهار، ولتخرجه فى  
 النهاية عسلا مصفى، فيه شفاء للناس، وقل مثل ذلك فى جماعة النمل، وباقى  
 المخلوقات، الأمر الذى حدا بالشاعر أن يقول :

النمل تبنى قراها فى تماسكها والنحل تجنى رحيق الشهد أعوانا

وليس الإنسان بدعا من هذه المخلوقات ، وإنما هو واحد منها ، تقوم حياته -  
 بضرورياتها ، وكمالياتها - على معنى التعاون، والتآزر .

الناس للناس من بدو وحاضرة بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

وإذا كان هذا شأن الإنسان فى شئون الحياة الدنيا، وهى فانية، فأولى أن يكون كذلك فى شئون الآخرة الباقية، والتي إليها معاده، وفيها سعادته وشقاؤه، ونجاته وهلاكه.

وهكذا يظهر مما قدمنا أن لزوم الجماعة أمر حتمى، حتمية الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، يأثم من تركه بغير عذر، ويعظم إثمه، ويشدد جرمه حين يحارب الملتزمين به، يناصبهم العداوة والبغضاء.

يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى :

« والمراد بالميتة الجاهلية - وهى بكسر الميم - حالة الموت، كموت أهل الجاهلية على ضلال، وليس له إمام مطاع؛ لأنهم كانوا لا يعرفون ذلك، وليس المراد أنه يموت كافراً بل يموت عاصياً، ويحتمل أن يكون التشبيه على ظاهره ومعناه: أنه يموت مثل موت الجاهلى، وإن لم يكن هو جاهلياً، أو أن ذلك ورد مورد الزجر والتنفير، وظاهره غير مراد، ويؤيده أن المراد بالجاهلية التشبيه، قوله فى الحديث الآخر: « من فارق الجماعة شبراً، فكأنما خلع ربة الإسلام من عنقه » (١).

رابعاً: شبهات حول لزوم الجماعة، ومناقشة هذه الشبهات:

وقد يحلو لبعض القاعدين أو الخائفين من لزوم الجماعة، وما يجره عليهم هذا اللزوم من مشقات ومتاعب، أن يبرروا ععودهم أو خوفهم هذا بإثارة بعض الشبهات، ودونك هذه الشبهات ومناقشتها والرد عليها:

الشبهة الأولى:

أن لزوم الجماعة يلغى ذاتية المسلم، ويؤثر على شخصيته، فتتعدم مسؤوليته الفردية، ويبقى إمعة إن أحسن الناس أحسن، وإن أساءوا أساء.

وللرد على هذه الشبهة نقول: إن منهج الإسلام يقوم على دعوة الفرد أن يعيش فى كنف الجماعة، ويستظل بظلها، فى الوقت الذى يؤكد له أنه مسئول مسئولية كاملة عن كل تصرف يقع منه، فيقول سبحانه: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [فاطر: ١٨]، ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ [المدثر]، ﴿ وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾ [البقرة: ٤٨، ١٢٣]، ﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾ ﴾ [القيامة]، ﴿ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ [فاطر: ١٨].

(١) انظر: فتح البارى لابن حجر ١٣ / ٧.

وأن عليه أن يبذل النصيحة بشروطها وآدابها، لكل واحد فى الجماعة مهما علا كعبه، ومهما عظمت مكانته، فيقول ﷺ: «الدين النصيحة»، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم»<sup>(١)</sup>، «المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن، يكف عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه»<sup>(٢)</sup>، وفى رواية: «المؤمن مرآة أخيه، إن رأى فيه عيباً قومه»<sup>(٣)</sup>.

ولقد عاش الصحابة مع النبى ﷺ وعاش المسلمون الأولون بعضهم مع بعض، فما رأينا فردا ذابت شخصيته، أو تلاشت فرديته فى الجماعة، وإنما رأينا النصيحة، والشورى، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وما قول بعضهم لعمر: «لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا» عنا بعيد.

وبهذا المنهج ينشأ ويبنى فى نفس المسلم كيان داخلى متميز، واضح المعالم والحدود، وتبقى أعصابه صاحبة متبهة لكل ما يمسه، ولو من بعيد.

الشبهة الثانية.

أن النصوص الشرعية جاءت مادحة للعزلة، مرغبة فيها، حاضة عليها، إذ يقول ﷺ: «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، ومواقع القطر، يفرُّ بدينه من الفتن»<sup>(٤)</sup>، «من خير معاش الناس لهم: رجل ممسك عنان فرسه فى سبيل الله، يطير على متنه، كلما سمع هيعة أو فرعة طار عليه، يبتغى القتل والموت مظانته، أو رجل فى غنيمة فى رأس شعفة من هذه الشعف، أو بطن واد من هذه الأودية، يقيم الصلاة، ويؤتى الزكاة، ويعبد ربّه حتى يأتية اليقين، ليس من الناس إلا فى خير»<sup>(٥)</sup>، «إن الله يحب التقي، الغنى، الخفى...»<sup>(٦)</sup>، «أمسك عليك

(١) الحديث أخرجه أبو داود فى: السنن: كتاب الأدب: باب النصيحة ٢٨٦/٤ رقم (٤٩٤٤) من حديث تميم الدارى ﷺ مرفوعاً بنحوه.

(٢) الحديث أخرجه أبو داود فى: السنن: كتاب الأدب: باب فى النصيحة والحياطة ٢٨٠/٤ رقم (٤٩١٨) من حديث أبى هريرة ﷺ مرفوعاً.

(٣) هذه الرواية أخرجه البخارى فى: الأدب المفرد: باب المسلم مرآة أخيه ص ١٠٧ رقم (٢٣٨) من حديث أبى هريرة ﷺ موقوفاً عليه، ومرفوعاً إلى النبى ﷺ باللفظ الوارد عند أبى داود كما تقدم.

(٤) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب الإيمان: باب من الدين الفرار من الفتن ١١/١، وكتاب الفتن: باب التعرب فى الفتنة ٦٦/٩، من حديث أبى سعيد الخدرى مرفوعاً.

(٥) الحديث أخرجه مسلم فى: الصحيح: كتاب الإمارة: باب فضل الجهاد والرباط ١٥٠٣/٣، ١٥٠٤ رقم (١٢٥)، من حديث أبى هريرة مرفوعاً بهذا اللفظ.

(٦) الحديث أخرجه مسلم فى: الصحيح: كتاب الزهد والرقائق ٤ / ٢٢٧٧ رقم (١١)، من حديث أبى هريرة ﷺ مرفوعاً بهذا اللفظ.

لسانك ، وليسعك بيتك ، وابك على خطيبتك « (١) ، . . . فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعض بأصل شجرة ، حتى يدركك الموت ، وأنت على ذلك » (٢) .

وللرد على هذه الشبهة نقول : إنه كما جاءت النصوص الشرعية مادحة العزلة ، مرغبة فيها ، حاضرة عليها ، فقد جاءت نصوص شرعية أخرى داعية إلى السير تحت لواء الجماعة ، والعيش فى كنفها ، كقوله تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] ، ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة : ٢] ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانْتَهُم بَنِيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف] .

وكقوله ﷺ : « . . . عليكم بالجماعة ، وإياكم والفرقة ، فإن الشيطان مع الواحد ، وهو من الاثنين أبعد ، من أراد بحبوة الجنة فليزم الجماعة » (٣) ، « يد الله مع الجماعة » (٤) ، « وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن : بالجماعة ، والسمع ، والطاعة ، والهجرة ، والجهاد فى سبيل الله ، فإن من خرج من الجماعة قيد شبر ، فقد خلع ربة الإسلام من عنقه إلى أن يرجع » قالوا : يارسول الله ، وإن صلى ، وصام ؟ قال : « وإن صام ، وصلى ، وزعم أنه مسلم » (٥) .

والجمع بين هذه النصوص يقتضى أن يلزم المسلم الجماعة بادئ ذى بدء ، ولا يلجأ إلى العزلة أو التفرد إلا حين يستعصى عليه العلاج ، ويخشى على نفسه الفتنة ، وضياح الدين .

وعلى مثل هذا الفهم يحمل قول ابن مسعود رضي الله عنه : خالط الناس ، ودينك لا تكلمنه (٦) .

(١) الحديث أخرجه الترمذي فى : السنن : كتاب الزهد : باب ماجاء فى حفظ اللسان ٤ / ٥٢٣ رقم (٢٤٠٦) من حديث عقبة بن عامر قال : قلت : يا رسول الله ، ما النجاة ؟ قال : « أمسك عليك لسانك . . . » الحديث ، وعقب عليه قائلا : « هذا حديث حسن » ، وأحمد فى : المسند ٤ / ١٤٨ ، ١٥٨ ، ٢٥٩ / ٥ من حديث عقبة بن عامر مرفوعا .

(٢) الحديث سبق تخريجه ص ٢٠ . (٣) الحديث سبق تخريجه ص ١٣ .

(٤) الحديث سبق تخريجه ص ١٧ .

(٥) الحديث سياتى تخريجه بإذن الله تعالى فى شرح الحديث الثالث والعشرين .

(٦) الأثر أخرجه البخارى [ معلقا ] فى : الصحيح : كتاب الأدب : باب الانبساط إلى الناس ١ / ٥٢٦ بهذا اللفظ موقوفاً على ابن مسعود ، وحاول ابن حجر وصله فى فتح البارى ١٠ / ٥٢٦ فقال : « وهذا الأثر وصله الطبرانى فى الكبير من طريق عبد الله بن باباه ، عن ابن مسعود قال : خالطوا الناس ، وصافوهم بما يشتهون ، ودينكم لا تكلمنه ، وأخرجه ابن المبارك فى : كتاب البر والصلة من وجه آخر ، عن ابن مسعود بلفظ : خالطوا الناس ، وزابلوهم فى الأعمال ، وعن عمر مثله ، لكن قال : انظروا ألا تكلموا دينكم » .

وقول إبراهيم عليه السلام لقومه - كما حكى القرآن الكريم : ﴿ وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [ مريم : ٤٨ ] . وصنيع أبي ذرّ، وعبد الله بن عمر، وغيرهما من الصحابة، والتابعين حين اعتزلوا جماعة المسلمين، وعاشوا وحدهم لما وقعت الفتنة، صيانة لأيديهم، وألسنتهم، وقلوبهم أن تغمس في دماء زاكية ، طهرها الله عز وجل ، ولا يعرف من المصيب، ومن غير المصيب .

### الشبهة الثالثة :

أن الجماعة تشغل المسلم عن صرف الأوقات في العبادة من قراءة قرآن، وذكر، ودعاء، واستغفار، ومحاسبة، وزيارة قبور، واعتكاف . . . إلخ، وهذه ضرورة لتطهير النفس ، وتزكيتها .

وللرد على هذه الشبهة نقول : إن العبادة في الإسلام ليست مقصورة على مجرد الشعائر التعبديّة، بل هي كما يعرفها شيخ الإسلام ابن تيمية : « اسم أو كلمة جامعة لكل ما يحبه الله، ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة » (١) .

وعليه ، فحضور المسلم مجالس العلم مفيدا ، أو مستفيدا عبادة ، وعبادة المريض وتشجيع الجنائز عبادة، وزيارة الإخوان تأكيدا لمودّتهم، أو تهنئة بنعمة، أو تعزية في مصيبة عبادة ، وإرشاد الناس إلى الخير، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر عبادة، ومد يد المعاونة للآخرين، ومساعدتهم في سدّ حاجتهم وتقوية شوكتهم عبادة . . . وهلم جرا .

وعلى أن لزوم الجماعة لا يمنع أن تكون للمسلم أوقات يخلو فيها بنفسه ليؤدى واجبا، أو يتقرب إلى الله بنفل، أو يحفظ علما، أو يحقق مسألة أو يذكر، أو يتفكر، أو يحاسب نفسه ، وذلك معنى قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : خذوا حظكم من العزلة (٢) .

### الشبهة الرابعة :

أن الشر أصبح في هذا العصر مستطيرا، والفساد صار منتشرًا، بحيث بات من

(١) انظر : رسالة العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٣٨ بتصرف يسير .

(٢) الأثر أخرجه عبد الله بن المبارك في : الرقائق ص ٣ من حديث شعبة ، عن خبيب بن عبد الرحمن ، عن حفص بن عاصم ، عن عمر بن الخطاب موقوفا عليه بهذا اللفظ .

الصعب على المسلم أن يسلم فى دم ، أو مال ، أو عرض ، كأن الجماعة إذن تكاليف وتبعات .

وللردّ على هذه الشبهة نقول : إنه على الرغم من استطارة الشر وانتشار الفساد فى هذا العصر ، فإن الناس لازالوا بخير ، ولا زالت فيهم سلامة فطرة ، وسرعة استجابة ، غاية ما فى الأمر أنه لكثرة صوارف الحياة ، والدعايات الكاذبة اعترى الناس شىء من الغفلة والإعراض ، ويمكن القضاء على ذلك بقليل من البذل مع الإخلاص والصدق ، وشىء من التحمّل .

على أنّ الصدق فى أداء الأمانة ، والخروج من التكاليف التى كلفنا الله عزّ وجلّ بها ، لا يكون إلا بمخالطة الناس ، والعمل معهم ، ثم الصبر على أذاهم ويصدق ذلك قوله ﷺ : « الذى يخالط الناس ، ويصبر على أذاهم ، أعظم أجرا من الذى لا يخالط الناس ، ولا يصبر على أذاهم » (١) .

خاصا : أهم صفات الجماعة الجديرة بالاتباع واللزوم :

وللجماعة المسلمة الجديرة بالاتباع واللزوم صفات ، نذكر منها :

١ - أفراد الله عزوجلّ بالألوهية ، والربوبية ، والتشريع ، والسلطان ، قال تعالى : ﴿ فَاعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [ محمد : ١٩ ] ، ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١٨) [ آل عمران ] .

وتتجلى هذه الصفة فى سلوكيات ، وأعمال يومية كثيرة ، نوجز منها :

أ - قصده - سبحانه - والتوجه إليه وحده ، بكل الأقوال والأعمال ، من شعائر تعبديّة ، إلى نذر ، إلى حلف ، إلى استعانة ، إلى استعاذة ، إلى توكل ، إلى خوف ، إلى رجاء . . . ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٦٢) لا شريك له وبذلك أمرت ﴿ [ الأنعام ] ، ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١٧٥) ﴿ [ آل عمران ] ، « من حلف بغير الله فقد أشرك » (٢) .

(١) الحديث أخرجه الترمذى فى : السنن : كتاب صفة القيامة : باب منه ٤ / ٥٧٢ رقم (٢٥٠٧) ، وأحمد فى : المسند ٢ / ٤٣ ، ٥ / ٣٦٥ ، وابن ماجه فى : السنن : كتاب الفتن : باب الصبر على البلاء ٢ / ١٣٣٨ رقم (٤٠٣٢) ، كلهم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعا .

(٢) الحديث سياتى تخريجه بإذن الله تعالى فى شرح الحديث الثالث والعشرين .

ب - وخلع، ونبذ كل ولاء، إلا ولاء الله عز وجل ورسوله، والمؤمنين المستمسكين بهدى الله : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) ﴾ [ المائدة : ] ، ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢) ﴾ [ المجادلة : ] .

ج - وفهم الإسلام فهما وسطا، دون غلو أو تشدد، ودون تفريط أو إسراف، ثم العمل به كله من : لا إله إلا الله، إلى إمطة الأذى عن الطريق، من منطلق أنه شرع الله وأنه نظام ومنهاج يشمل الحياة جميعا على اختلاف البيئات وفي كل العصور ، إن في الحكم، وإن في المال، وإن في الاجتماع، وإن في التربية والتعليم ، وإن في الجهاد ، كما هو عقيدة صادقة ، وعبادة صحيحة سواء بسواء ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً ﴾ [ البقرة : ٢٠٨ ] ، أى فى الإسلام كله، « إنه لا يقوم بدين الله، إلا من حاطه من جميع جوانبه » (١) .

د - والتركيز على الجانب العملى أكثر من الجانب النظرى، من منطلق أن دين الله نزل ليعمل به، وليكون نورا هاديا فى الأرض، لا أن يتحول إلى ترف فكرى، أو معرفة ذهنية باردة، مشوبة بالجدل، والمرء : كئنا إذا حفظنا عشر آيات من القرآن لم نتجاوزها، حتى نعلم ما فيها من العلم ، والعمل ، قالوا: فتعلمنا القرآن ، والعلم ، والعمل جميعا (٢) ، و « ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه، إلا أوتوا الجدل » (٣) .

هـ - والاستعلاء على كل ماتعارفت عليه المناهج الأرضية من قيم وعادات ، وتقاليد وأنظمة، مادامت تخالف المنهج الإلهي ﴿ أَشَدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ ﴾ [الفتح : ٢٩] ، ﴿ أُعْزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ ، [ المائدة : ٥٤ ] ، ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) ﴾

[ آل عمران ]

(١) دلائل النبوة لأبى نعيم ١ / ٣٧٩ ، ٣٨٠ .

(٢) الحديث أورده شيخ الإسلام ابن تيمية فى : مقدمة فى أصول التفسير : فصل فى أن النبى ﷺ بين لأصحابه معانى القرآن ص ٣٥ ، ٣٦ ، ط دار القرآن الكريم، الكويت، الأولى ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م .

(٣) الحديث أخرجه الترمذى فى : السنن : كتاب التفسير ، تفسير سورة الزخرف : باب منه ٥ / ٣٥٣ رقم (٣٢٥٣) ، وابن ماجه فى : السنن : المقدمة : باب اجتناب البدع ، والجدل ١ / ١٩ رقم (٤٨) ، وأحمد فى : المستد ٥ / ٢٥٢ ، ٢٥٦ ، كلهم من حديث حجاج بن دينار، عن أبى غالب، عن أبى أمامة مرفوعا، وعقب الترمذى على حديثه بقوله : « هذا حديث حسن صحيح، إنما نعرفه من حديث حجاج ابن دينار، وحجاج ثقة مقارب الحديث » .

٢ - سلوك نفس الطريق التى سار فيها رسول الله ﷺ لتحرير النفس البشرية، وإقامة حكم الله فى الأرض ، إذ هو ﷺ الأسوة والقدوة لنا مصداقا لقوله سبحانه : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢١) [ الاحزاب ] .

ومظاهر هذا السلوك كثيرة متنوعة، ونذكر منها :

أ - العمل على إيجاد الشخصية المسلمة الجامعة لكل خصال الخير، المتأية على كل خصال الشر، المستأهلة لعون الله ، وتأيينه ، ونصره : ﴿ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ (٩٩) [ الحجر ] . ﴿ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (٦٦) [ الزمر ] ، ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ [ آل عمران : ١٠٣ ] ، «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ، ولا تعجز...» (١) .

ب - والتوسع فى إيجاد هذه الشخصية بحيث تنتشر، وتعم المجتمع كله، حواضره وبواديه، أحياءه ونجوعه، قصوره وخيامه، شوارعه ودروبه وحاراته، رجاله ونساءه، صغاره وشبابه، شيوخه وكهوله ...

ج - والربط بين هذه الشخصيات، بحيث تصدر عن رأى واحد، وتصير فكرا واحدا، وقلبا واحدا، وروحا واحدا، ومشاعر واحدة وإن تعددت منها الأجساد، فتصبح قادرة على نشر منهج الله فى الأرض، وحمايته من كيد الكائدين، وعبث العابثين : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ [ آل عمران : ١٠٣ ] ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَّرْصُومٌ ﴾ (٤) [ الصف ] ، ﴿ فَأُولَئِي لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ﴾ [ محمد ] .

د - والتخطيط الواعى الدقيق، المبني على دراسة وفهم الواقع باستمرار، ثم التعامل معه، بناء على هذه الدراسة، وعلى هذا الفهم، وبناء على ما يهدى ويرشد إليه منهج الله : ﴿ وَقُلْ اْعْمَلُوا فَيَسِّرَ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١٠٥) [ التوبة ] ، ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اْعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ ﴾ (١٢١) و﴿ اَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴾ (١٢٢) [ هود ] .

(١) الحديث سبق تخريجه فى الجزء الأول ص ٧ .

هـ - ورعاية بعض الأولويات في العمل ، على معنى أن تقدم بعض الأصول على بعض ، وتقدم الأصول على الفروع ، والفرائض على النوافل ، والمجمع عليه على المختلف فيه ، عند التزاحم ، وضيق الأوقات .

وفى السيرة النبوية نماذج كثيرة ، تشرح ذلك ، وتفسره مثل : تقديم النبي ﷺ تحطيم الأصنام الموجودة بداخل النفس البشرية ، على تحطيم الأصنام التي كانت موجودة على سطح الكعبة ، وفى جوفها .

و - وعدم التساهل ، أو التهاون فى الأصول المجمع عليها مع الإعذار فى الفروع المختلف فيها ، فإن كل واحد من الخلق يؤخذ منه ويرد عليه ، إلا المعصوم محمد ﷺ .

ز - وسد الباب فى وجه تساؤلات ، والشكوك ، والجدل ، والفراغ ، ونحو ذلك من الأمور التى يمكن أن تأكل الجماعة وتفتتها ، باتباع منهاج أو برنامج واضح الأركان محدّد المعالم ، يأخذ بيد الفرد من طور إلى طور ، ومن مرحلة إلى مرحلة ، فيشبع تطلعاته ، ويجيب على تساؤلاته ، ويرفع من مستواه .

ح - والصبر على مشاق ومتاعب الطريق ، والثبات فى وجه المحن والشدائد ، والصمود أمام الإرهاب ، والاستعلاء على الفتنة ، إذ أن الابتلاء سنة من سنن الله فى الجماعات ، لا بد منها لتتضح الرؤية ، وتبرز معالم الطريق : ﴿ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا (١٠) ﴾ [ المزمل ] ، ﴿ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) ﴾ ولَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣) ﴾ [ العنكبوت ] ، ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ (١٤٢) ﴾ [ آل عمران ] ، ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ ﴾ [البقرة : ٢١٤] ، ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ ﴾ [ التوبة : ١٦ ] ، ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ (٤٦) ﴾ [ محمد ] .

وسئل الشافعى رحمه الله : أيهما أفضل للرجل : أن يُمكن له أو يتلى ؟ فقال : لا يُمكن له حتى يتلى .

ط - والتأنى ، والترث ، أو التروى ، وعدم الاستعجال ، ذلك أن الباطل لم يفرض سلطانه فى يوم وليلة ، وإنما احتاج إلى زمن طويل يخطط ، وينفذ ، ويتابع ؛ لذا لا ينتظر أن يتم البناء فى يوم وليلة ، وإنما لابد من وقت كافٍ ، وزمن طويل ، لاسيما والبناء أشق وأصعب بكثير من الهدم .

وصدق رسول الله ﷺ حين قال لخباب بن الأرت - وقد جاءه شاكيا ، باكيا ، راجيا أن يلتمس لهم النصرة من الله : « . . . والذى نفس محمد بيده ، لیتمن الله - تعالى - هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ، ما يخاف إلا الله ، والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون . . . » (١) .

٣ - وأن يكون معها من يوجهها ، ويرشدها ، بحيث يرتب العمل ، وتوضع الأمور فى نصابها ، ولهذا الشرط سلوكيات ، ومظاهر تدل عليه ، منها :

أ - أن ينزل جميع أبنائها على رأى من يوجههم ، مادام فى المعروف .

ب - وأن يكون هناك التناصح بشروطه وآدابه ، وقبول هذا التناصح والرضا به .

ج - وأن تكون هناك الدقة والأمانة فى اختيار العاملين ؛ كي يقطع الطريق على المتربصين والمتآمرين : ﴿ وَالدِّينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً ﴾ [ النساء : ١٠٢ ] .

د - وأن يكون هناك الاتباع لا الابتداع : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (١١٥) [ الكهف ] .

هـ - وأن تكون هناك الطاعة فى المعروف ، إذ جاء فى الحديث : « السمع والطاعة على المرء المسلم ، فيما أحبّ وكره ، ما لم يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية ، فلا سمع ولا طاعة » (٢) ، « اسمعوا وأطيعوا وإن تأمر عليكم عبد حبشى ، كأن رأسه زبيبة » (٣) .

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الأنبياء : باب علامات النبوة فى الإسلام ٢٤٤/٤ ، وكتاب مناقب الأنصار : باب ما لقى النبی ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة ٥٦ / ٥ ، ٥٧ ، وكتاب الإكراه : باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر ٢٥/٩ ، ٢٦ من حديث خباب بن الأرت مرفوعا .  
(٢) ( ٣ ، ٢ ) سيأتى تخريجهما بإذن الله تعالى فى شرح الحديث الثالث والعشرين .

ما يستفاد من الحديث دعويا وتربويا :

ويستفاد من الحديث دعويا وتربويا ما يلي :

١ - لزوم الجماعة ، والعيش فى كنفها، أساليب ووسائل، أهدافا وغايات، ويعين المسلم على هذا الالتزام :

\* أن يدرك الخير الذى يمكن أن يعود عليه من وراء لزوم الجماعة على النحو الذى شرحناه آنفا .

\* وأن يعلم أن ذلك أمر الله ورسوله، وما على المسلم الصادق فى إسلامه إلا أن يمثل هذا الأمر، دون شك أو تردد ، يقول تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾ (٣٦) [ الأحزاب ] .

\* وأن يفهم أنه كذلك ضرورة بشرية، وسنة كونية لا تستقيم الحياة ، ولا تسعد إلا به .

\* وأن يتذكر أنه الطريق لحفظ هيبته، وجرمته، ووقاره .

٢- ضرورة التركيز على المعانى المجازية فى النواحي الدعوية والتربوية؛ نظرا لأنها تبرز المعنى المعقول فى صورة المحسوس، فيثبت فى النفس ولا ينسى .

٣- أن الانحراف عن الجماعة ، ولو بمقدار قيد شبر يعرض صاحبه لعقاب الله الشديد، الذى قد يصل أحيانا إلى أن يكون صورة من صور الجاهلية .

## الحديث الثاني والعشرون

قال رسول الله ﷺ:

« ثلاثة لا تسأل عنهم : رجل فارق الجماعة وعصى إمامه ومات عاصيا ، وأمة أو عبد أبق فمات ، وامرأة غاب زوجها قد كفاها مؤنة الدنيا ، فتبرجت بعده ، فلا تسأل عنهم » .

تخريجه :

الحديث أخرجه أحمد في : المسند ١٩ / ٦ ، واللفظ له ، والبخارى في : الأدب المفرد ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، والحاكم في : المستدرک : كتاب العلم : باب من فارق الجماعة واستدل الإمامة لقي الله ولا حجة له عند الله ١١٩ / ١ ، كلهم من حديث فضالة بن عبيد بن عبيد مرفوعا به ، بيد أن أحمد والبخارى زادا : « وثلاثة لا تسأل عنهم : رجل نازع الله - عز وجل - رداءه ، فإن رداءه الكبرياء وإزاره العزة ، ورجل شك في أمر الله ، والقنوط من رحمة الله » ، وعقب الحاكم على روايته قائلا : « صحيح على شرط الشيخين ، فقد احتجا بجميع رواته ، ولم يخرجاه ، ولا أعرف له علة » ، وأقره الذهبي على ذلك في : التلخيص .

وأورده السيوطي في : جامع الأحاديث (جمع الجوامع) ٦٨٥ / ٣ رقم (١٠٨٤٥) ، والجامع الصغير ٣ / ٣٢٤ ، ٣٢٥ رقم (٣٥٢١) ، ورمز له بالرموز التالية : « خد ، ع ، طب ، ك ، هب » يعنى : أخرجه البخارى في : الأدب المفرد ، وأبو يعلى الموصلى في : المسند ، والطبرانى في : المعجم الكبير ، والحاكم في : المستدرک ، والبيهقى في : شعب الإيمان ، من حديث : فضالة بن عبيد ، « صح » أى : صحيح .

وأورده الألبانى في : سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢ / ٧١ ، ٧٢ ، رقم (٥٤٢) ، وعزاه إلى : البخارى في : الأدب المفرد ، وابن حبان ، والحاكم ، وأحمد ، وابن أبى عاصم في : السنة ، وابن عساكر في : مدح التواضع وذم الكبر ، وعقب على هذا بقوله : « وقد وهما - يعنى الحاكم ، والذهبي - فى بعض ما قالوا ، فإن أبا على الجنبي لم يخرج له الشيخان فى : صحيحيهما ، وأبو هانئ ، واسمه حميد بن هانئ لم يخرج

له البخارى ، وقال ابن عساکر: حديث حسن غريب ، وتفرد به أبو هانئ، ورجال إسناده ثقات .

معناه :

يَمكّن الإسلام لنفسه فى هذه الأرض على أساس من قوّة الجماعة التى تحمله، وتتحرك به بين الناس ، ويرى أن قوة الجماعة تعود إلى عوامل شتى ، وأمور كثيرة، أهمها ومنبعها : النظام القائم على التعاون والإتقان ، بأن يكون لكل فرد فيها عمل، وأن يكون هذا العمل متناسبا مع قدراته ومواهبه ، وأن يبذل كل واحد أقصى ما فى وسعه ، وكل ما فى طاقته بغية إجادة وإحسان هذا العمل ، سواء أكان ذلك على مستوى الدولة ، أم على مستوى المجتمع ، أم على مستوى الأسرة.

فعلى مستوى الدولة : يجب أن يتفرغ الإمام أو الأمير لسياسة دنيا الناس بدين الله - عزّ وجلّ ، ويعينه الرعيّة بتنفيذ كل ما يكلفهم به، ما دام فى المعروف، وما دام فى حدود الوسع والطاقة.

وعلى مستوى المجتمع : ينبغى أن يتفرغ الوجهاء أو ذوو الرأى لإنجاز المهام المنوطة بهم، والتى يعود خيرها إلى الجماعة أولا، وقبل كلّ شىء ، ويكفيهم الخدم أو العمال مؤنة السعى بأنفسهم لإنجاز حاجاتهم الأسرية أو العائلية .

وعلى مستوى الأسرة : ينبغى أن يسعى الرجل ويكدح لتحقيق الكفاية لنفسه، ولأهله ، ولولده ، ولدويه ، وتحقق له المرأة السكن والمودة بلزومها داره لإعانتته فى خاصّة نفسه ، وتربية ولده ، حتى يكون هناك من يحمل الرسالة ، ويؤدى الأمانة فى المستقبل . كل هؤلاء يؤدّون واجبهم مع النصح ، وجهد النفس ، وتقوى الله ، فتقوى الجماعة، ويمكّن لدين الله .

والحديث الذى نحن بصدد شرحه وبيان مضمونه الآن، إنّما هو حصّّ وتحريض لثلاثة نفر أو لثلاثة أصناف من الأمة ، أن يلتزموا بهذا العامل، أعنى: النظام القائم على التعاون والإتقان، وألا يفرطوا فيه أو يضعوه قيد أئمة، أو مقدار شعرة، بل وأن يثبتوا أو يستمرّوا على ذلك حتى يأتيهم أمر الله .

أمّا الصنف الأول ( وهم الجند أو الرعيّة فى الأمة ) : فواجبهم لزوم الجماعة، المتمثّل فى طاعة أميرها فى العسر واليسر، والمنشط والمكره، والشدة والرخاء، وإلى آخر الزمان، مادامت هذه الطاعة فى المعروف، ولئن أغراهم شياطين الإنس والجن، وسوّلت

لهم نفوسهم مفارقة الجماعة، تلك التي تتمثل في شقّ عصا الطاعة، والخروج على الإمام، ومناصبته العداة من غير كفر بواح عندهم من الله فيه برهان، واستجابوا لذلك، وظلّوا هكذا حتى الموت، فإن مصيرهم إلى النار، وبئس القرار .

وأما الصنف الثاني ( وهم الخدم أو العمال ) : فواجبهم القيام بحقّ مخدميهم عليهم والتفاني في أداء هذا الحق، وعدم التخلّي عنه ساعة من نهار، ولئن زين لهم شياطين الإنس والجن، وطوعت لهم أنفسهم أن يفرّوا من الميدان، وأن يشرّدوا عن أداء الواجب دون مبرر شرعي مقبول، واستجابوا لذلك، وظلّوا على هذه الحال حتى الموت، فإن مأواهم النار، هي مولاهم، وبئس المصير .

وأما الصنف الثالث ( وهم النساء ) : فواجبهن لزوم دار الزوج، لإعانتته على أمره في نفسه، ومع ولده، ما دام قد هياً سبيل العيش، وكفى مؤنة التبرّج أو الخروج، ولئن اغواهن شياطين الإنس والجن، وأمّلت عليهن أهواؤهنّ التخلّي عن أداء الأمانة وتضييع الرسالة، بالتبرّج وترك دار الزوج بلا مبرر شرعي مقبول، واستجنبن لذلك، فسيصليهن عذاب السعير .

أجل ، لقد حضّ النبي ﷺ وحرّض كلّ واحد من هذا نفر، أو من هذه الأصناف الثلاثة، على أداء دوره، والقيام بواجبه دون تفریط أو تضييع، سالكا سبل التخويف والزجر، تلك التي تتمثل في دخول النار، بل وحجب أيّ من الناس : أن يسأل عنهم، أو أن يتعرف أخبارهم، فيتوسّط لهم، أو يشفع فيهم، فقال: « ثلاثة لا تسأل عنهم » وكررها في البدء والختام ، تأكيدا للأمر، علّ النفوس تصفو، والقلوب ترقّ، والأفئدة تعي، فتتحرك الجوارح، ويكون الالتزام، والالتزام الدقيق .

وحتى تبرز معالم وأبعاد الحديث بصورة أوضح، فإننا سنعرض للجوانب التالية:

الجانب الأول : بعض النصوص الأخرى الواردة في ذم معصية الإمام، والآثار المترتبة على هذه المعصية .

الجانب الثاني : بعض النصوص الأخرى الواردة في ذم إباق أو هرب الخدم ، والآثار المترتبة على هذا الإباق أو هذا الهرب .

الجانب الثالث : مفهوم التبرج وآثاره، وبعض النصوص الأخرى الواردة في ذمه والتحذير من وقوعه في المجتمع .

ودونك البيان :

أولاً : بعض النصوص الأخرى الواردة في ذم معصية الإمام ، والآثار المترتبة على هذه المعصية :

وردت نصوص أخرى غير حديث الباب ، تتضمن ذم معصية الإمام وتحذر من ذلك أشد التحذير ، من هذه النصوص :

قوله ﷺ : « من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن يعصني فقد عصى الله ، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ، ومن يعص الأمير فقد عصاني » <sup>(١)</sup> ، « من خرج من الطاعة ، وفارق الجماعة فمات ، مات ميتة جاهلية » <sup>(٢)</sup> ، « من فارق الجماعة ، واستذل الإمارة ، لقي الله ولا وجه له عنده » <sup>(٣)</sup> ، « من خلع يداً من طاعة ، لقي الله يوم القيامة ، ولا حجة له » <sup>(٤)</sup> ، « الغزو غزوان ، فأما من ابتغى وجه الله ،

(١) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب الجهاد : باب يقاتل من وراء الإمام ، ويتقى به ٦٠ / ٦١ ، وكتاب الأحكام : باب قوله تعالى : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ ٩ / ٧٧ ، ومسلم في : الصحيح : كتاب الإمارة : باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ٣ / ١٤٦٦ ، ١٤٦٧ رقم (٣٢ - ٣٤) ، والنسائي في : السنن : كتاب البيعة : باب الترغيب في طاعة الإمام ٧ / ١٥٤ ، وابن ماجه في : السنن : المقدمة : باب اتباع سنة رسول الله ﷺ ١ / ٤ رقم (٣) مع الاقتصار على الجزء الأول منه ، وقد وهم فيه الشيخ المرحوم محمد فؤاد عبد الباقي حين قال : « هذا الحديث مما تفرد به المصنف »؛ نظراً لمشاركة كثير من الأئمة له في إخرجه كما ترى ، وكتاب الجهاد : باب طاعة الإمام ٢ / ٩٥٤ رقم (٢٨٥٩) ، وأحمد في : المسند ٢ / ٢٤٤ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٧٠ ، ٣٤٢ ، ٤١٦ ، ٤٦٧ ، ٤٧١ ، ٥١١ ، كلهم من حديث أبي هريرة مرفوعاً به ، وبمثلها ، وبنحوه ، وزيادات في بعض طرقه ، واللفظ لمسلم .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في : الصحيح : كتاب الإمارة : باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن ٣ / ١٤٧٦ رقم (٥٣) ، والبيهقي في : السنن الكبرى : كتاب قتال أهل البغي : باب الترغيب في لزوم الجماعة ، والتشديد على نزع يده من الطاعة ٨ / ١٥٦ ، وعزاه إلى مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعاً به ، وزيادة : « ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة أو يدعو لعصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتله جاهلية ، ومن خرج على أمي يضرب برّها وفاجرها ، لا يتحاشى من مؤمنها ، ولا يفى لذي عهد عهده فليس مني ولست منه » .

(٣) الحديث أخرجه أحمد في : المسند ٥ / ٣٧٨ ، ٤٠٦ من حديث حذيفة رضي الله عنه مرفوعاً به ، وأورده الهيثمي في : مجمع الزوائد : كتاب الخلافة : باب لزوم الجماعة ٥ / ٢٢٢ ، وعقب عليه قائلًا : « رواه أحمد ورجالته ثقات » .

(٤) الحديث جزء حديث أخرجه مسلم في : الصحيح : كتاب الإمارة : باب وجوب ملازمة الجماعة المسلمة ٣ / ١٤٧٨ رقم (٥٨) من حديث عبد الله بن عمر مرفوعاً ، وتامه : « ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » ، وأحمد في : المسند ٣ / ٤٤٦ من حديث عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه مرفوعاً بنحوه .

وأطاع الإمام ، وأنفق الكريمة ، وياسر الشريك واجتنب الفساد فإن نومه ونهته أجر كله ، وأما من غزا فخرًا ورياء وسمعة ، وعصى الإمام ، وأفسد فى الأرض فإنه لا يرجع بالكفاف» (١) . وغير هذا كثير .

وإنما حذر الإسلام من مثل هذه المعصية ، أو الإصرار عليها ؛ لأن لها آثارا خطيرة وعواقب وخيمة ، وأهمها وأعظمها : وقوع الأمة فريسة بين أنياب أعدائها ؛ نظراً لأن هذه المعصية تجرئ على محاكاتها من الآخرين والنسج على منوالها ، فيفقد الإمام هيئته ، وتزول منزلته من الصدور ، وتكون الفرقة والتمزق ، وحينئذ تفسح الطريق أمام الأعداء ، فيسيطروا ويسودوا ، ويحولوا دون إقامة منهج الله فى الأرض ، وقد ألمح النبى ﷺ إلى هذا الأثر فى الحديث المذكور آنفاً : « من فارق الجماعة ، واستذل الإمارة ، لقي الله ولاوجه له عنده » ، وصرح به على ؓ إذ يقول رجل : كنت عريفاً فى زمن على فأمرونا بأمر ، فقال : أفعلتم ما أمرتكم ؟ قلنا : لا ، قال : والله لتفعلن ما تؤمرون به ، أو لتركبن أعناقكم اليهود والنصارى (٢) ، ويقول كذلك فى وضوح لا لبس معه ، وبيان لا تأويل فيه : إني لا أرى هؤلاء القوم إلا ظاهرين بترفركم عن حركم ، واجتماعهم على باطلهم (٣) .

كما صرح به حذيفة ؓ إذ قال : لا يمشين رجل منكم شبرا إلى ذى سلطان لينذله ، فلا والله لا يزال قوم أذلوا السلطان أذلاء إلى يوم القيامة (٤) .

(١) الحديث أخرجه أبو داود فى : السنن : كتاب الجهاد : باب فيمن يغزو يلتمس الدنيا ١٣/٣ ، ١٤ ، رقم (٢٥١٥) ، والنسائى فى : السنن : كتاب الجهاد : باب فضل الصدقة فى سبيل الله عز وجل ٤٨/٦ - ٥٠ ، وكتاب البيعة : باب التشديد فى عصيان الإمام ١٥٥/٧ ، والدارمى فى : السنن : كتاب الجهاد : باب الغزو غزوان ٢٠٨/٢ ، ٢٠٩ ، وأحمد فى : المسند ٢٣٤/٥ ، والحاكم فى : المستدرک : كتاب الجهاد : باب من ابتغى وجه الله وأطاع الإمام ٨٥/٢ ، كلهم من حديث معاذ بن جبل ؓ مرفوعاً به وبنحوه ، وعقب الحاكم على روايته قائلا : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » وأقره الذهبى على ذلك فى : التلخيص .

(٢) الأثر أخرجه ابن أبى شيبه فى : المصنف : كتاب الفتن ٥٧/١٥ رقم (١٩١٠٣) من حديث الأعمش ، عن شهر ، عن رجل موقوفاً على على ؓ به ، وعنه نقل علاء الدين الهندى فى : كنز العمال ٧٨٠/٥ رقم (١٤٣٦٧) .

(٣) الأثر أخرجه ابن أبى شيبه فى : المصنف : كتاب الفتن ٥٦/١٥ رقم (١٩١٠١) من حديث عبد الله بن المخارق بن سليم عن أبيه موقوفاً على على ؓ به ، وعنه نقل علاء الدين الهندى فى : كنز العمال ٧٨٠/٥ رقم (١٤٣٦٨) .

(٤) الأثر أخرجه ابن أبى شيبه فى : المصنف : كتاب الفتن ١٢٦/١٥ رقم (١٩٢٩٤) من حديث زياد بن علاقة ، عن قطبة بن مالك موقوفاً على حذيفة بن اليمان به ، وعنه نقل علاء الدين الهندى فى : كنز العمال ٧٨١/٥ رقم (١٤٣٧١) .

بيد أن كل ما ورد من النصوص في ذم معصية الإمام ، والوعيد عليها ، إنما هو محمول على ما إذا كان الإمام يقيم شرع الله في الأرض ، ولم يظهر منه الكفر البواح الذى عندنا من الله فيه برهان ، أما إذا كان الإمام عاريا من ذلك ، وكانت المعصية ، وكان الإنكار الذى تؤمن معه الفتنة ، وتصان به الدماء ، فلا ذم ولا وعيد ، إذ يقول النبى ﷺ : « على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ، إلا أن يؤمر بمعصية ، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » (١) ، « لا طاعة فى معصية الله ، إنما الطاعة فى المعروف » (٢) .

ويقول عبادة بن الصامت رضي الله عنه : دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه ، فكان فيما أخذ علينا : أن بايعنا على السمع والطاعة ، فى منشطنا ، ومكرهنا وعسرنا ويسرنا ، وأثرة علينا ، وألا ننازع الأمر أهله . قال : « إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان » (٣) .

ويلخص الإمام النووى - رحمه الله - مضمون الحديث الأخير قائلا : معنى

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الجهاد : باب السمع والطاعة للإمام ٦٠/٤ ، وكتاب الأحكام : باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية ٧٨/٩ ، ومسلم فى : الصحيح : كتاب الإمارة : باب وجوب طاعة الأمراء فى غير معصية ، وتحريمها فى المعصية ٣/١٤٦٩ رقم ٣٨ (١٨٣٩) ، وأبو داود فى : السنن : كتاب الجهاد : باب فى الطاعة ٣/٤٠ ، ٤١ رقم (٢٦٢٦) ، والترمذى فى : السنن : كتاب الجهاد : باب ماجاء لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ٤/١٨٢ رقم (١٧٠٧) ، وعقب عليه بقوله : « وفى الباب عن على ، وعمران بن حصين ، والحكم بن عمرو الغفارى ، وهذا حديث حسن صحيح » ، والنسائى فى : السنن : كتاب البيعة : باب جزاء من أمر بمعصية فأطاع ٧/١٦٠ ، وابن ماجه فى : السنن : كتاب الجهاد : باب لاطاعة فى معصية الله ٢/٩٥٦ رقم (٢٨٦٤) ، وأحمد فى : المسند ١٧/٢ ، كلهم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعا واللفظ لمسلم .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الأحكام : باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية ٧٨/٩ ، ٧٩ ، ومسلم فى : الصحيح : كتاب الإمارة : باب وجوب طاعة الأمراء فى غير معصية ٣/١٤٦٩ رقم (٣٩ ، ٤٠) ، والنسائى فى : السنن : كتاب البيعة : باب جزاء من أمر بمعصية فأطاع ٧/١٥٩ ، ١٦٠ ، كلهم من حديث على رضي الله عنه مرفوعا به ، وبنحوه ، وسببه كما جاء فى إحدى روايتى مسلم : أن رسول الله ﷺ بعث جيشا ، وأمر عليهم رجلا فأوقد نارا وقال : ادخلوها ، فأراد الناس أن يدخلوها ، وقال الآخرون : إنا قد فرنا منها ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال للذين أرادوا أن يدخلوها : « لو دخلتموها لم تزالوا فيها إلى يوم القيامة » ، وقال للآخرين قولا حسنا ، وقال : « لاطاعة فى معصية الله ... » الحديث .

(٣) الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الإمارة : باب وجوب طاعة الأمراء فى غير معصية ٣/١٤٧٠ ، ١٤٧١ من حديث عبادة بن الصامت مرفوعا به ، وعنه نقل البيهقى فى : السنن : كتاب قتال أهل البغى : باب السمع والطاعة ٨/١٥٥ .

الحديث : لا تنازعوا ولاية الأمور في ولايتهم ، ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكرا محققا تعلمونه من قواعد الإسلام، فإذا رأيتم ذلك فأنكروه عليهم وقولوا بالحق حيثما كنتم (١) .

ويؤكد الحافظ ابن حجر على ذلك قائلا : وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب ، والجهاد معه، وأن طاعته خير من الخروج عليه ، لما في ذلك من حقن الدماء ، وتسكين الدهماء ، ولم يستثنوا من ذلك إلا إذا وقع من السلطان الكفر الصريح ، فلا تجوز طاعته في ذلك ، بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها ، كما في الحديث (٢) .

ثانيا : بعض النصوص الأخرى الواردة في ذم إياق أو هرب الخادم ، والآثار المترتبة على هذا الإياق أو هذا الهرب :

وكما أن هناك نصوصا أخرى غير حديث الباب في ذم معصية الإمام ، والوعيد عليها ، فكذلك هناك نصوص أخرى غير حديث الباب في ذم إياق أو هرب الخادم من سيده ، والوعيد على ذلك، نذكر منها : قوله ﷺ :

« أيما عبد أبق فقد برئت منه الذمة » (٣) ، « إذا أبق العبد لم تقبل له صلاة » (٤) ، « ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة ، ولا تصعد لهم إلى السماء حسنة : السكران حتى يصحو ، والمرأة الساخط عليها زوجها ، والعبد الأبقر حتى يرجع فيضع يده في يد

(١) انظر : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للإمام النووي ٢٢٩/١٢ .

(٢) انظر : فتح الباري لابن حجر العسقلاني ٧/١٣ ، وعنه نقل الشوكاني في : نيل الأوطار ١٩٨/٧ ، ١٩٩ .

(٣) الحديث أخرجه مسلم في : الصحيح : كتاب الإيمان : باب تسمية العبد الأبقر ٨٣/١ رقم (١٢٣)

وأحمد في : المسند ٣٥٧/٤ ، ٣٦٢ ، ٣٦٥ ، وأبو بكر بن أبي شيبة في : المصنف : كتاب الجهاد : باب ما قالوا في العبيد يبقون إلى أرض العدو ٢٩٩/١٢ ، كلهم من حديث جرير مرفوعا به ، ومعنى « برئت منه الذمة » أي : لم تعد له ذمة ، وقد نقل الإمام النووي في شرح صحيح مسلم عن الحافظ أبي عمرو بن الصلاح (ت ٦٤٣هـ) تفسير الذمة فقال : « الذمة هنا يجوز أن تكون الذمة المفسرة بالذمام ، وهي الحرمة ، ويجوز أن يكون من قبيل ما جاء في قوله : « له ذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ » ، أي : ضمانه وأمانته ورعايته » .

(٤) الحديث أخرجه مسلم في : الصحيح : كتاب الإيمان : باب تسمية العبد الأبقر ٨٣/١ رقم (١٢٤) ،

والنسائي في : السنن : كتاب تحريم الدم : باب العبد يبق إلى أرض الشرك ١٠٢/٧ ، كلاهما من حديث جرير بن عبد الله مرفوعا به .

مواليه»<sup>(١)</sup> ، « اثنان لا تجاوز صلاتهما رؤوسهما : عبد أبى من مواليه حتى يرجع ، وامرأة عصت زوجها حتى ترجع »<sup>(٢)</sup> ، « ثلاثة لا تجاوز صلاتهم آذانهم : العبد الآبق حتى يرجع ، وامرأة باتت وزوجها ساخط عليها ، وإمام قوم وهم له كارهون »<sup>(٣)</sup> ، « أيما عبد مات فى إباقتة ، دخل النار ، وإن قتل فى سبيل الله »<sup>(٤)</sup> ، وغير هذا كثير .

وإنما ذم الإسلام إباق أو هرب الخدم من سادتهم ؛ نظرا لما يؤدى إليه هذا الإباق أو هذا الهرب من شغل وجهاء الأمة ، وذوى الرأى فيها بحاجياتهم الشخصية والأسرية عن واجباتهم العامة المنوطة بهم ، والتي يعود خيرها إلى الجماعة أولا وقبل كل شىء ، الأمر الذى يؤدى فى النهاية إلى ضعف الأمة ، وطمع الأعداء فيها ، بل ووقوعها فى قبضتهم . بيد أن ما ورد من نصوص فى هذا الشأن ، إنما هو محمول على ما إذا كان السيد يحسن معاملة خادمه ، ويترفق به : بأن يطعمه مما يطعم ، ويلبسه مما يلبس ، ولا يخيفه ولا يكلفه ما لا يطيق ، ولا يقبّح ولا يضرب الوجه ، إلى غير ذلك من صور الرفق ، وحسن المعاملة ، أما إذا كان الأمر عكس ذلك ، وأبق الخادم أو هرب ، فلا يتناول هذا الذم ، وذلك الوعيد .

(١) الحديث أورده المنذرى فى : الترغيب والترهيب : كتاب البيوع وغيرها : باب ترهيب العبد من الإباق من سيده ٢٨/٣ عن جابر مرفوعا ، وعزاه إلى الطبرانى قائلا : « رواه الطبرانى فى : الأوسط من رواية عبد الله ابن عقيل ، واللفظ له ، وابن خزيمة ، وابن حبان فى : صحيحهما ، من رواية زهير بن محمد » .

(٢) الحديث أورده المنذرى فى : الترغيب والترهيب : كتاب البيوع وغيرها : باب ترهيب العبد من الإباق من سيده ٢٨/٣ عن ابن عمر مرفوعا ، وعزاه إلى الطبرانى قائلا : « رواه الطبرانى فى الأوسط والصغير بإسناد جيد ، والحاكم » .

(٣) الحديث أورده الترمذى فى : السنن : كتاب الصلاة : باب ما جاء فىمن أم قوما هم له كارهون ، ١٩٣/٢ ، ١٩٤ ، رقم (٣٦٠) من حديث أبى غالب عن أبى أمامة مرفوعا به ، وعقب عليه قائلا : « هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه » ، وعلق الشيخ أحمد شاكر على تعقيب الترمذى هذا قائلا : « بل هو حديث صحيح ، فإن أبى غالب ثقة ، وثقه موسى بن هارون الحمال ، والدارقطنى ، وغيرهما » ، وفى التهذيب : « حسن الترمذى بعض أحاديثه ، وصحح بعضها » ، وقال الشارح (٢٨٧/١) : « وضعفه البيهقى ، قال النووى فى الخلاصة : والأرجح هنا قول الترمذى ، وهذا الحديث مما انفرد به الترمذى فلم أجده فى غيره » ، وأورده المنذرى فى : الترغيب والترهيب : كتاب البيوع وغيرها : باب ترهيب العبد من الإباق من سيده ٢٩/٣ من حديث أبى أمامة مرفوعا ، وعزاه إلى الترمذى قائلا : « رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن غريب » .

(٤) الحديث أورده المنذرى فى : الترغيب والترهيب : كتاب البيوع وغيرها : باب ترهيب العبد من الإباق من سيده ٢٩/٣ من حديث جابر مرفوعا ، وعزاه إلى الطبرانى قائلا : « رواه الطبرانى فى الأوسط ، من رواية عبد الله بن محمد بن عقيل ، وبقيّة رجاله ثقات » .

إذ جاء أن غلّمة لعبد الرحمن بن حاطب سرقوا بعيرا فانتحروه، فوجد عندهم جلده، فرفع أمره إلى عمر، فأمر بقطعهم، فمكثوا ساعة، وما نرى إلا قد فرغ من قطعهم، ثم قال عمر: علىّ بهم، ثم قال لعبد الرحمن: واللّه إنّي لأراك تستعملهم ثم تبيعهم وتساء إليهم، حتى لو وجدوا ما حرّم الله، عليهم حلّ لهم، ثم قال لصاحب البعير: كم كنت تعطى ببيعك؟ قال: أربعمائة، قال لعبد الرحمن بن حاطب: قم فاغرم له ثمانمائة درهم<sup>(١)</sup>.

فإذا كان عمر قد رأى لهم وجها في نحر البعير وأكله؛ لجوعهم، وسوء معاملتهم، مع العمل الشاق، بل ألزم سيدهم بغرامة مضاعفة ثمنا للبعير، فإنّ نرى من باب أولى هربهم فرارا من الظلم، وسدّا للرمق، لا إثم عليه، ولا وعيد فيه، كيف، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (٢٩) [النساء].

وقد نبّه لذلك الإمام المناوي - رحمه الله - فقال: «... إلا أن يكون إباقه لإضرار السيّد به، ولم يجد له ناصرا، كما قال بعض الأئمة»<sup>(٢)</sup>، أي فلا حرج ولا إثم عليه في هذا الإباق، أو هذا الهرب.

ثالثا: حقيقة وآثار التبرّج، وبعض النصوص الأخرى الواردة في ذمّه والتحذير من وجوده في المجتمع:

وحقيقة التبرّج في اللغة: التكبّف والظهور للعيون، ومنه قيل: سفينة بارح: أي مكشوفة لا غطاء عليها<sup>(٣)</sup>، أما التبرّج في اللسان الشرعي فهو: قصد المرأة وتكلفتها لإبراز ما يجب إخفاؤه من زينتها ومفاتها أمام الرجال الأجانب، سواء أكان ذلك موضعا في الجسم، أم حركة لعضو منه، أم طريقة في الكلام أو المشي، أم حلية مما يتزين بها النساء أو يلبسنه، أم غير ذلك.

ولهذا التبرّج صور ومظاهر شاعت في الجاهلية الأولى، وجاهلية هذا العصر.

فمما شاع منه في الجاهلية الأولى الاختلاط بالرجال، والتكسر في المشي والكلام، ولبس الخمار ونحوه على هيئة يبدو معها بعض محاسن البدن ومفاته<sup>(٤)</sup>.

(١) الأثر أورده علاء الدين الهندي في: كنز العمال ١٩٨/٩، ١٩٩ رقم (٢٥٦٥٣) من حديث يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن أبيه به، وعزاه إلى: عبد الرزاق في: الجامع، والبيهقي في: شعب الإيمان.

(٢) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ٣/٣٢٣.

(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي ٢/٢٣٥، والصحاح في اللغة والعلوم للمرعشليين ص ٦١، والمعجم الوسيط ١/٤٦، والحلال والحرام للدكتور القرضاوي ص ١٦٠.

(٤) انظر: الحلال والحرام للدكتور القرضاوي ص ١٦٠ بتصرف.

١٤٦ \_\_\_\_\_ توجيهات نبوية على الطريق  
ومما شاع منه فى جاهلية هذا العصر: ما يصوره الشيخ سيد سابق فى كتابه: « فقه  
السنة » إذ يقول :

« فأصبح من المعتاد أن يجد المسلم المرأة المسلمة، مبتذلة، عارضة مفاتنها خارجة  
عن زينتها، كاشفة عن صدرها، ونحرها، وظهرها، وذراعها، وساقها، ولا تجد  
أى غضاضة فى قص شعرها، بل تجد من الضرورى وضع الأصباغ، والمساحيق،  
والتطيب بالطيب، واختيار الملابس المغرية، وأصبح لموضات الأزياء مواسم خاصة  
يعرض فيها كل لون من ألوان الإغراء والإثارة .

وتجد المرأة من مفاخرها، ومن مظاهر رقيها، أن ترتاد أماكن الفجور والفسق،  
والمراقص والملاهى، والمسارح والسينما، والملاعب والأندية والقهاوى، وتبلغ منتهى  
هبوطها فى المصايف وعلى البلاج .

وأصبح من المألوف أن تعقد مسابقات الجمال، تبرز فيها المرأة أمام الرجل، ويوضع  
تحت الاختبار كل جزء من بدنها، ويقاس كل عضو من أعضائها، على مرأى  
ومسمع من المتفرجين والمتفرجات، والعاثين والعاثات» (١).

وكان تبرج الجاهلية الأولى لا يعدّ شيئا فى جنب جاهلية القرن العشرين، ولعل  
هذا هو ما حدا بالدكتور الشيخ يوسف القرضاوى لأن يقول: وقد رمتنا جاهلية هذا  
العصر بصور وألوان من التبرج، يعدّ معها تبرج الجاهلية الأولى ضربا من التصون  
والاحتشام (٢).

ولهذا التبرج آثاره السيئة، وعواقبه المدمرة؛ نظرا لما يودى إليه من إثارة الغرائز،  
وتحريك الكوامن، والوقوع فى الإثم والفواحش، فيهدم بنيان وكيان الشخصية  
المسلمة، وتصبح غير قادرة على القيام بمهامها وواجباتها، وأيضا لما يترتب عليه من  
انصراف الأم عن رعاية أولادها، والسهر على تربيتهم وإعدادهم، فيضيع حملة الأمانة  
فى المستقبل، ويؤثر ذلك فى النهاية على قوة الأمة وعزتها .

يقول الشيخ سيد سابق عن آثار هذا الانحراف الخلقى :

وكان من نتائج هذا الانحراف أن كثر الفسق، وانتشر الزنا، وانهدم كيان الأسرة،  
وأهملت الواجبات الدينية، وتركت العناية بالأطفال، واشتدّت أزمة الزواج، وأصبح

(١) انظر: فقه السنة ٢/٢١٣ .

(٢) انظر: الحلال والحرام للدكتور القرضاوى ص ١٦٠ .

الحرام أيسر حصولاً من الحلال ، وبالجمله فقد أدى هذا التهتك إلى انحلال الأخلاق وتدمير الآداب التي اصطلح الناس عليها في جميع المذاهب والأديان (١) .

ولعل ذلك هو سر الذم الشديد، والوعيد الضخم الوارد في حديث الباب وفي أحاديث أخرى، كقوله ﷺ لأئمة بنت رقيقة، وقد جاءت تباعه على الإسلام: «أبايعك على ألا تشركي بالله شيئاً، ولا تسرقى، ولا تزني، ولا تقتلي ولدك، ولا تأتي بهتان تفتريه بين يديك ورجليك، ولا تنوحى، ولا تبرجى تبرج الجاهلية الأولى» (٢) .

وكقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره عشر خلال : الصفرة - يعنى الخلق - وتغيير الشيب ، وجرّ الإزار، والتختم بالذهب، والضرب بالكعباب، والتبرج بالزينة لغير محلها، والرقي إلا بالمعوذات، وتعليق التمام، وعزل الماء بغير محله، وإفساد الصبي ، غير محرّمه (٣) .

وكقول موسى بن يسار: مرّت بأبى هريرة امرأة وريحها تعصف، فقال لها: أين تريدين يا أمة الجبار؟ قالت: إلى المسجد، قال: وتطيت؟ قالت: نعم، قال: فارجمي واغتسلي، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « لا يقبل الله صلاة من امرأة خرجت إلى المسجد وريحها تعصف حتى ترجع فتغتسل » (٤) .

(١) انظر: فقه السنة ٢١٣/٣ .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في: المسند ١٩٦ / ٢ من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعاً به .  
(٣) الحديث أخرجه أبو داود في: السنن: كتاب الخاتم: باب ما جاء في خاتم الذهب ٤ / ٨٩ ، ٩٠ رقم (٤٢٢٤) ، والنسائي في: السنن: كتاب الزينة: باب الخضاب بالصفرة ٨ / ١٤٢ ، وأحمد في: المسند ١ / ٣٨٠ ، ٣٩٧ ، ٤٣٩ ، كلهم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً به ، وبنحوه ، واللفظ للنسائي، وإفساد الصبي: هو إتيان المرأة الموضع، فإذا حملت فسد لبنها ، وكان من ذلك فساد الصبي، وقوله: « غير محرّمه »: أى أن النبي صلى الله عليه وسلم كره الخلة الأخيرة ولم يحرمها ، أو كره جميع ما ذكر في الحديث، ولم يحرمه، والتوجيه الأول أولى؛ نظراً لأن بعض المذكورات حرام . انظر: زهر الربى على المجتبى للسيوطي ٨ / ١٤٢ .

(٤) الحديث أخرجه أبو داود في: السنن: كتاب الترجل: باب في طيب المرأة للخروج ٤ / ٧٩ رقم (٤١٧٤) ، وابن ماجه في: السنن: كتاب الفتن: باب فتنة النساء ٢ / ١٣٢٦ رقم (٤٠٠٢) ، وأحمد في: المسند ٢ / ٢٤٦ ، ٤٦١ ، كلهم من حديث عاصم بن عبيد الله العمرى عن عبيد الله مولى أبى رهم ، عن أبى هريرة مرفوعاً بنحوه . وأورده المنذرى في: الترغيب والترهيب: كتاب النكاح: باب ترهيب المرأة أن تخرج من بيتها متعطرة متزينة ٣ / ٨٥ من حديث موسى بن يسار عن أبى هريرة مرفوعاً به ، وعقب عليه قائلا: « رواه ابن خزيمة في: صحيحه قال: باب إيجاب الغسل على المطية للخروج إلى المسجد، ونفى قبول صلاتها إن صلت قبل أن تغتسل ، إن صح الخبر . وإسناده متصل ، ورواته ثقات ، وعمرو بن هاشم البيروتي ثقة ، وفيه كلام لا يضر ، ورواه أبو داود وابن ماجه من طريق عاصم بن عبيد الله العمرى، وقد مشاه بعضهم ، ولا يحتج به » .

وكقول عائشة رضي الله عنها : بينما رسول الله ﷺ جالس في المسجد، دخلت امرأة من مزينة ترفل في زينة لها في المسجد، فقال النبي ﷺ : « يا أيها الناس، انهوا نساءكم عن لبس الزينة، والتبختر في المسجد، فإن بنى إسرائيل لم يلعنوا حتى لبس نساؤهم الزينة، وتبخترن في المساجد » (١).

فكل هذه النصوص - وغيرها كثير - ناطق بدمّ التبرج، ومتوعّد عليه أشدّ الوعيد، والتقييد في حديث الباب بغياب الزوج، وتوفير مؤن الحياة، لاي معنى أن الزوج إذا كان حاضراً، أو إذا لم يوفر مؤن الحياة، فإن للمرأة أن تتبرج، وإنما هو لفتة إلى أن غالب أسباب التبرج إنما تأتي من هذه الناحية، بأن يغيب الرجل عن أهله لسبب من الأسباب، أو يعجز عن توفير مؤن الحياة، فإذا بالشیطان يوسوس ويزين للمرأة الخروج للعمل، وكسب مؤن الحياة، وخلال ذلك يأخذ في إغرائها بالتبرج شيئاً فشيئاً، علماً تكسب ود الآخرين، وتستدر عطفهم عليها، فتظفر بحاجتها دون كبير جهد أو عناء، وحينئذ تسقط ناسية أو متناسية: أن الحرّة تجوع ولا تأكل بشديها .

فالتقييد في الحديث إذاً خرج مخرج الغالب، وإلا فالتبرج لغير الزوج حرام في كل الأحوال، وعلى كل المستويات، كما يدل على ذلك العموم الوارد في النصوص المذكورة آنفاً، وكما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ﴾ [ النور : ٦٠ ] ، ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾ [ الأحزاب : ٣٣ ] .

ولا يقال: الخطاب في الآية الأخيرة مخصوص بنساء النبي ﷺ فلا يتناول غيرهن؛ لأن هذا من باب التحريض على الالتزام، كأن الحق سبحانه يقول: إذا كنت أمرت نساء النبي بالعفة وعدم التبرج - وهو أمر لا يمكن أن يقع منهن - فغيرهن من نساء المؤمنين ممن يمكن أن يقع منه ذلك أولى بهذا الأمر وأجدد .

(١) الحديث أخرجه ابن ماجه في: السنن: كتاب الفتن: باب فتنه النساء ١٣٢٦/٢ رقم (٤٠٠١) من طريق موسى بن عبيدة عن داود بن مدرك، عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضی الله تعالى عنها مرفوعاً به، وعقب عليه البوصيري في: مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه ١٨١/٤ قائلا: « هذا إسناد ضعيف، داود بن مدرك قال فيه الذهبي في كتاب الطبقات: نكرة لا يعرف، وموسى بن عبيدة ضعيف، رواه محمد ابن يحيى بن أبي عمر في مسنده فذكره بالاسناد والمتن، ورواه ابن أبي شيبة في مسنده هكذا، ورواه أحمد بن منيع في مسنده عن مروان بن معاوية عن موسى بن عبيدة به » .

ما يستفاد من الحديث دعويًا وتربويًا :

ويستفاد من الحديث دعويًا وتربويًا عدة فوائد، نذكر منها:

١ - طاعة الإمام ومن ينيبه عنه ما دام يقيم حكم الله في الأرض، ومادام لا يأمر إلا بـمعروف ، ويعين على هذه الطاعة :

\* أن يتذكر المسلم أنها في الحقيقة طاعة لله ، وطاعة لرسوله ﷺ . وأن يستحضر فوائد وثمرات هذه الطاعة في الدنيا والآخرة وصدق الله : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ ثَبَاتًا ﴾ (٦٦) وَإِذَا لَاتَيْنَاهُمْ مِن لَدُنَّا أُجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ [ النساء ] .

\* وأن يستحضر عواقب التقصير فيها ، أو التضييع لها ، وقد مرّت كلمات على وحذيفة التي تصور هذه العواقب أدق تصوير .

\* وأن يديم النظر في سيرة السلف، وكيف كان حرصهم على هذه الطاعة، وتفانيهم في سبيل تحقيقها في أنفسهم وفي واقع الحياة .

\* وأن يلقى بنفسه في أحضان من عرفوا واشتهروا بذلك ، علّه يكون دافعاً إلى قوة الإرادة، وصدق العزيمة .

\* وأن يتذكر أنها من سمات أعداء الله ، وأعداء أوليائه ، وإذا كانت هذه هي سمتهم وهم على الباطل ، فأحرى وأجدر بنا - نحن المسلمين ، ونحن على الحق - أن نكون أحرص عليها منهم .

٢ - ملازمة العمال والخدم للأعمال أو المهام الموكولة إليهم ، وعدم تخليهم عنها بفرار أو هرب ، ويعينهم على ذلك :

\* أن يدرك العامل أو الخادم الأجر أو المثوبة المترتبة على ذلك في الدنيا والآخرة .

\* وأن يدرك عواقب التقصير أو التضييع لهذا الأمر في الدنيا والآخرة كذلك .

\* وأن يتذكر أن هذه الملازمة إنما هي في الحقيقة طاعة لله وطاعة لرسوله ﷺ .

٣ - ضرورة تحلى المرأة بخلق العفاف والطهر ، وعدم التخلي عنه إلى التبرج والتهاك تحت ضغط أى سبب من الأسباب، ويعينها على ذلك :

\* أن تتذكر أن هذا العفاف هو الذى يحفظ لها كرامتها وهيبتها ووقارها في المجتمع .

\* وأن تتذكر فوائد هذا العفاف وثمراته في الدنيا والآخرة، وصدق الله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ ﴾ [ الأحزاب : ٥٩ ] .

\* وأن تدرك عواقب التفریط فيه إلى التبرج، والتهتك، لاسيما تلك التي تكون في الآخرة .

\* وأن تلازم صحبة أهل العفاف والتقوى من الصالحات القانتات، الحافظات للغيب بما حفظ الله .

\* وأن تديم النظر في سير وأخبار المسلمات العفيفات، ومدى استجابتهن لأمر الله ورسوله ﷺ، إذ تقول عائشة رضي الله عنها عن نساء هذا الجيل الربانى الذى رباه رسول الله ﷺ: يرحم الله نساء المهاجرات الأول لما أنزل الله: ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ [ الأحزاب : ٣١ ] شققن أكفف (أكثف) مروطن فاختمرن بها<sup>(١)</sup>، وفى رواية أنها ذكرت نساء الأنصار فأنت عليهن، وقالت لهن معروفًا، وقالت: لما نزلت سورة النور عمدن إلى حجور أو حجوز فشققنهن فاتخذنه حمرا<sup>(٢)</sup>، وقالت أم سلمة رضي الله عنها: لما نزلت ﴿ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيهِنَّ ﴾ [الأحزاب: ٥٩] خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من الأكسية<sup>(٣)</sup>.

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب التفسير : باب ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ ١٣٦/٦، ١٣٧، وأبو داود فى : السنن : كتاب اللباس : باب فى قوله تعالى: ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ ٦١/٤ رقم (٤١٠٢)، من حديث عائشة رضي الله عنها، موقوفاً عليها واللفظ لأبى داود.

(٢) الحديث أخرجه أبو داود فى : السنن : كتاب اللباس : باب فى قوله تعالى: ﴿ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيهِنَّ ﴾ ٦١/٤ رقم (٤١٠٠) من حديث صفية بنت شيبة، عن عائشة رضي الله عنها موقوفاً عليها به .

(٣) الحديث أخرجه أبو داود فى : السنن : كتاب اللباس : باب فى قوله تعالى: ﴿ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيهِنَّ ﴾ ٦١/٤ رقم (٤١٠١) من حديث صفية بنت شيبة عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفاً عليها به، وأورده ابن حجر فى : فتح البارى ٤٩٠/٨ من طريق عبد الله بن عثمان بن خثيم عن صفية بلفظ: « ذكرنا عند عائشة نساء قريش وفضلهن ، فقالت : إن نساء قريش لفضلاء ، ولكنى والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار: أشد تصديقا بكتاب الله ، ولا إيمانا بالتنزيل، لقد أنزلت سورة النور: ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ فانقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل فيها ، ما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها، فأصبحن يصلين الصبح معتجرات كأن على رؤوسهن الغربان » ، وعزاه إلى ابن أبى حاتم، ثم جمع بين هذه الرواية والتي قبلها، وبين الرواية الأولى الواردة فى شأن النساء المهاجرات فقال: « ويمكن الجمع بين الروایتين بأن نساء الأنصار بادرن إلى ذلك » .

\* وأن تعلم أن أهل الكفر والإلحاد صاروا ينادون الآن بالعفاف، بعد ماسموا  
حياة التبرج والفسق والفجور :

هذه كاتبة أمريكية فى الخامسة والعشرين من عمرها ، وقد زارت جميع بلاد العالم  
تكتب مقالا عقب زيارتها لمصر فى الستينات تحت عنوان : « امنعوا الاختلاط ، وقيدوا  
حرية المرأة » تقول فيه :

إن المجتمع العربى مجتمع كامل وسليم ، ومن الخلق بهذا المجتمع أن يتمسك  
بتقاليده التى تقيد الفتاة والشاب فى حدود المعقول ، وهذا المجتمع يختلف عن المجتمع  
الأوروبى والأمريكى ، فعندكم تقاليد موروثه تحتم تقيد المرأة ، وتحتم احترام الأب والأم ،  
وتحتم أكثر من ذلك عدم الإباحية الغربية التى تهدد اليوم المجتمع والأسرة فى أوروبا  
 وأمريكا ، ولذلك فإن القيود التى يفرضها المجتمع العربى على الفتاة الصغيرة - وأقصد  
ما تحت سنّ العشرين - هذه القيود صالحة ونافعة ، لهذا أنصح بأن تتمسكوا  
بتقاليدكم وأخلاقكم ، وامنعوا الاختلاط ، وقيدوا حرية الفتاة ، بل وارجعوا إلى عصر  
الحجاب ، فهذا خير لكم من إباحية وانطلاق ومجون أوروبا وأمريكا . امنعوا الاختلاط  
قبل سن العشرين ، فقد عانينا منه فى أمريكا الكثير ، لقد أصبح المجتمع الأمريكى  
مجتمعا معقدا ، مليئا بكل صور الإباحية ، والخلاعة ، وأن ضحايا الاختلاط والحرية قبل  
سن العشرين ، يملأون السجون والأرصفة ، والبارات والبيوت السرية . إن الحرية التى  
أعطيناها لفتياتنا وأبنائنا الصغار ، قد جعلت منهم عصابات أحداث ، وعصابات  
«جيمس دين » ، وعصابات للمخدرات والرقيق . إن الاختلاط والإباحية والحرية فى  
المجتمع الأوروبى والأمريكى ، هدد الأسر ، وزلزل القيم والأخلاق . فالفتاة الصغيرة تحت  
سن العشرين فى المجتمع الحديث تخالط الشبان ، وترقص « تشاتشا » ، وتشرب الخمر  
والسجائر ، وتتعاطى المخدرات باسم المدنية والحرية والإباحية ، تلهو وتعاشر من نشاء  
تحت سمع عائلتها وبصرها ، بل وتتحدى والديها ومدرسيها ، والمشرفين عليها ،  
تتحداهم باسم الحرية والاختلاط ، تتحداهم باسم الإباحية والانطلاق ، تتزوج فى  
دقائق ، وتطلّق بعد ساعات ، ولا يكلفها هذا أكثر من إمضاء ، وعشرين قرشا ، وعريس  
ليلة أولبضع ليال ، وبعدها الطلاق وربما الزواج ، فالطلاق مرة أخرى<sup>(١)</sup> .

(١) انظر : فقه السنة ٣/ ٢١٨ ، ٢١٩ ، نقلا عن صحيفة الجمهورية المصرية الصادرة يوم السبت الموافق

\* وأن يعينها أولو الأمر والمجتمع ، على ما يحفظ عليها عفتها وكرامتها ، وذلك بنشر الفضيلة ، ومحاربة الرذيلة بكل ما يمكن من أساليب ووسائل .

٤ - أهمية الإنذار والتخويف في الدعوة إلى الله ، والتربية والاستقامة على الطريق ، وحسبنا أن الإنذار تكرر في القرآن الكريم بصيغ مختلفة مائة وعشرين مرة ، على حين لم يذكر التبشير فيه إلا ثلاثا وخمسين مرة ، منها ثمانية تحمل اسم التبشير ، لكنها تتضمن معنى الإنذار والتخويف مثل قوله تعالى : ﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) ﴾ [ التوبة ] ، وما ذلك إلا لأهمية الإنذار في الدعوة ، والتربية والتوجيه (١) .

٥ - أن الإسلام فوق أنه دين ، فهو منهج للحياة ، ينظمها ويسيرها في كل شأن من شئونها ، وفي كل ناحية من نواحيها ، وحسبنا هنا تحديده لواجب الرعية نحو الإمام ، والخدم والعمال نحو وجهاء الأمة ، وذوى الرأى فيها ، والمرأة نحو زوجها ، وأولادها ، إن هذا وحده خير ردّ على من يزعمون أن الإسلام دين المحارِب ، ولا شأن له بالحياة ، وأنه لا دخل للدين في السياسة ، ولا للسياسة في الدين ، ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥) ﴾ [ الكهف ] .

(١) انظر : مذكرة مبحث العقيدة الإسلامية ، للدكتور يحيى هاشم فرغل ص ٣١ بتصرف .

## الحديث الثالث والعشرون

قال رسول الله ﷺ :

« أمركم بثلاث ، وأنهاكم عن ثلاث : أمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وتعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، وتطيعوا لمن ولاة الله عليكم أمركم ، وأنهاكم عن : قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال .»

تخريجه :

الحديث أورده الألبانى فى سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣٠٤/٢ رقم (٦٨٥) ، وعزاه إلى ابن حبان قائلاً : « أخرجه ابن حبان (١٤٥٣) من طريق عمرو بن الحارث : أن بكيراً حدثه ، أن سهيل بن ذكوان حدثه ، أن أباه حدثه عن أبى هريرة ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : فذكره » ، وعقب عليه بقوله : وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم .

وأخرج مسلم نحوه فى : الصحيح : كتاب الأقضية : باب النهى عن كثرة المسائل من غير حاجة ٣ / ١٣٤٠ ، ١٣٤١ رقم ١٠ ، ١١ (١٧١٥) من طريق جرير ، عن سهيل ، عن أبيه ، عن أبى هريرة ، ولفظه : قال رسول الله ﷺ : « إن الله يرضى لكم ثلاثاً ، ويكره لكم ثلاثاً ، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ، ولا تفرقوا ، ويكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال » ، ومن طريق أبى عوانة عن سهيل بهذا الإسناد مثله ، غير أنه قال : « ويسخط لكم ثلاثاً » ، ولم يذكر : « ولا تفرقوا » ، ورقم ١٢ ، ١٣ ، ١٤ من حديث المغيرة بن شعبه .

وكذا أخرج أحمد نحوه فى : المسند ٢ / ٣٢٧ ، ٣٦٠ من طريق حماد بن سلمة ، و٣ / ٣٦٧ من طريق خالد ، كلاهما عن سهيل بهذا الإسناد .

معناه :

يتوقف نجاح الإنسان فى أدائه لمهمته على ظهر هذه الأرض ، وسعادته فى الحياة الدنيا على أمور عدة ، أهمها :

\* حسن الصلة بالله عز وجل ، تلك التى تتمثل فى عبوديته سبحانه ، عبودية

خالصة من أى شائبة شرك أو ابتداء، فإن حسن الصلة هذا يكون سببا فى عونهِ سبحانه وتأييده لهذا الإنسان.

✽ ووحدة الصف تلك التى تتمثل فى الاستمساك بهدى الله، والتجرد من حظوظ النفس، فإنها تكون سببا فى التراحم والتعاون والتكافل، بل وصيانة الدماء والأموال، والأعراض.

✽ وطاعة ولى الأمر تلك التى تتمثل فى سرعة التنفيذ لما يراه دون هواده أو لين، ما دام ذلك فى المعروف، فإنها تكون سببا فى القوة، مع توفير الوقت والجهد، وحفظ اللسان، ذلك الذى يتمثل فى ترك الدخول فيما لا يعنى، وكذلك فى الإقلال من السؤال إلا ما تدعو إليه الحاجة، وتفرضه الضرورة، فإنه يكون سببا فى الترابط والمحبة.

✽ وحفظ المال، ذلك الذى يتمثل فى صرفه فى وجوهه المشروعة، وعدم تعريضه للتلف أو للضياع، فإن ذلك يكون سببا فى الاستقلال، والتحرر من التبعية للغير بدون وجه حق.

والحديث الذى نحن بصدد شرحه وبيانه الآن، إنما هو دعوة صريحة من رسول الله ﷺ إلى الالتزام، والالتزام الدقيق بهذه الأمور الخمسة المذكورة آنفا.

وقد حَفَلَتْ هذه الدعوة منه ﷺ بصيغة الأمر والنهى: « أمركم بثلاث وأنهاكم عن ثلاث... » كى تقطع الطريق على الشيطان، فلا يتسرب إلى النفس، ويزين لها القعود أو التوانى، بحجة أن الالتزام بهذه الأمور ليس واجبا، وإنما هو نافلة أو تطوع.

ذلك أن أمره ﷺ من أمر الله، ونهيه من نهى الله، وصدق الله: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) ﴾ [النجم]، ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر: ٧].

ويعضد هذا قوله ﷺ فى بعض روايات الحديث عند مسلم وأحمد:

« إن الله يرضى لكم ثلاثا، ويكره لكم ثلاثا... » .

ولكى تتضح معالم الحديث بصورة أجلى وأظهر، فإننا سنعرض للجوانب التالية:

الجانب الأول : مفهوم العبادة، وصورها، وعناصرها، وأقسامها، ومبرراتها، مع بعض النصوص التي تدعو إليها وتذمّ الشرك.

الجانب الثانى : بعض صور الشرك التي حذر الإسلام منها، والعوامل التي تساعد على العبودية ونبذ الشرك.

الجانب الثالث : بعض النصوص الأخرى الواردة فى فضل الوحدة وذمّ الفرقة، مع بيان العوامل التي تساعد على تحقيق هذه الوحدة.

الجانب الرابع : مفهوم طاعة ولى الأمر ، ومظاهر كمال هذه الطاعة وفوائدها مع بعض النصوص الواردة فى هذا الشأن.

الجانب الخامس : حقيقة النهى عن القيل والقال، وكثرة السؤال، مع بعض النصوص الواردة فى هذا الشأن، وبيان العوامل التي تساعد على حفظ اللسان.

الجانب السادس : حقيقة النهى عن إضاعة المال ، مع بعض النصوص الأخرى الواردة فى هذا الشأن ، ومع بيان العوامل التي تساعد على حفظ المال.

ودونك البيان :

أولا : مفهوم العبادة ، وصورها ، وعناصرها ، وأقسامها ومبرراتها ، مع بعض النصوص التي تدعو إليها ، وتذمّ الشرك :

يعرف شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم - المعروف بابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ - العبادة ، ويحدد صورها وعناصرها بقوله : « العبادة : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأعمال الظاهرة والباطنة، فالصلاة والزكاة، والصيام والحج عبادة. وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبرّ الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود عبادة، والدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، والجهد للكفر والمنافقين عبادة . والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل ، والخدام ، والرحمة بالضعيف والرفق بالحيوان عبادة. وكذلك حب الله، ورسوله، وخشية الله، والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء فى رحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك كله عبادة.

بل الدين كله داخل فى معنى العبادة، إذ الدين يتضمن معنى الخضوع، والذل، يقال: أدنته فدان، أى: أذلته فذلّ، ويقال: يدين الله، ويدين لله؛ أى يعبد الله، ويطيعه، ويخضع له، فدين الله: عبادته، وطاعته، والخضوع له.

والعبادة أصل معناها: الذل أيضا، يقال: طريق معبد، إذا كان مذلا قد وطأته الأقدام، لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل، ومعنى الحب، فهى تتضمن غاية الذل لله، بغاية المحبة له.

ومن خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عبدا له، ومن أحب شيئا ولم يخضع له لم يكن عبدا له، كما قد يحب الرجل ولده، وصديقه.

ولهذا لا يكفى أحدهما فى عبادة الله تعالى، بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء، وأن يكون الله أعظم عنده من كل شيء، بل لا يستحق المحبة، والذل التام إلا الله، وكل ما أحب لغير الله فمحبته فاسدة، وما عظم بغير أمر الله فتعظيمه باطل<sup>(١)</sup>.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ [ التوبة : ٢٤ ] .

هذا هو تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية للعبادة، وتحديد له لصورها وعناصرها، وهو بذلك لم يعد ما فى كتاب الله عز وجل، وسنة النبي ﷺ وعمل السلف.

وحسبنا أن نرجع إلى المصحف الشريف، أو إلى أى ديوان من دواوين الحديث الصحيحة المشهورة كصحيح البخارى، أو كصحيح مسلم مثلا، وسنجد فيهما: أن كل شيء فى هذه الحياة - حتى معاشره الرجل أهله - يعدّ عبادة، وعلى هذا مضى سلوك المسلمين حتى عصور الضعف، والانحلال والانحطاط، غاية ما فى الأمر أن هذه العبادة تنقسم إلى قسمين:

### القسم الأول:

حدّه الشارع وبينه، وهو ما يعرف فى الفقه الإسلامى بالشعائر التعبديّة أو بالعبادة المخصوصة، كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والذكر والدعاء،

(١) انظر: العبادة فى الإسلام للدكتور الشيخ يوسف القرضاوى ص ٣١، ٣٢ نقلا عن رسالة العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية.

والاستغفار ونحو ذلك ، وهذا القسم لا يقبل عند الله ولا يعتد به إلا إذا صاحبه :  
الإخلاص له سبحانه ، واتباع السنّة ، قال تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ  
عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (١١٠) ﴿ [ الكهف ] .

### القسم الآخر :

أطلقه الشارع ، وهو ما يتناول جميع أعمال الإنسان اليومية ، ويقال له : العبادّة  
المطلقة ، أو العبادّة بمعناها العام ، وهذا القسم لا يقبل عند الله إلا إذا قصد به وجه الله  
تعالى ومرضاته ، ولم يتعارض مع روح الإسلام ونصوصه ، وكان من ورائه منفعة  
أومصلحة تعود على الفرد والجماعة .

ولما كان الله موصوفاً بالكمال التام ، والجلال المطلق ، ومفضلاً بكل النعم ، ما  
ظهر منها وما بطن : ما علمنا منها وما لم نعلم ، وكان هذا التفضل مستمرا لا ينقطع  
أبداً ، لما كان سبحانه كذلك كانت العبادّة حقّه وحده ، لا يشاركه فيها أحد ، وقد جاءت  
بذلك نصوص كثيرة - غير حديث الباب .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ  
(٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ  
رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢٢) ﴿ [ البقرة ] ، ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ  
وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ  
يُدِيرُ الْأَمْرَ فَيَسْأَلُونَكَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (٣١) ﴿ [ يونس ] ، ﴿ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ  
وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١٣) ﴿ قُلْ أَعْيَبَ اللَّهُ آتِخَذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ  
إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١٤) ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي  
عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (١٥) ﴿ [ الأنعام ] ، ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (٦٢) ﴿ لَهُ  
مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٦٣) ﴿ قُلْ أَفَغَيَّرَ اللَّهُ  
تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ (٦٤) ﴿ [ الزمر ] ، ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ  
يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٤٠) ﴿ [ الروم ] ، ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (١١) ﴿ [ لقمان ] ، ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ  
أَنْصَارٍ ﴾ (٧٢) ﴿ [ المائدة ] .

وقال ﷺ: « يا معاذ، أندري ما حقّ الله على العباد ؟ ». قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « حقّ الله على العباد : أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً »<sup>(١)</sup> .

وقال أيضا : « إن الله أمر يحيى بن زكريا ﷺ بخمس كلمات أن يعمل بها، ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، وأنه كاد أن يبطن بها، فقال له عيسى ﷺ : إن الله أمرك بخمس كلمات لتعمل بها، وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، فإذا أن تأمرهم وإما أن آمرهم، فقال يحيى: أخشى إن سبقتني بها أن يخسف بي وأعذب، فجمع يحيى الناس في بيت المقدس، فامتألاً المسجد ، وقعد على الشرف فقال : إن الله - تبارك وتعالى - أمرني بخمس كلمات أن أعملهن ، وأمركم أن تعملوا بهن : أولهن : أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله بذهب أو ورق، فقال له: هذه داري وهذا عملي، فاعمل وأدّ إليّ، فكان يعمل ويؤدى إلى غير سيده، فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك... » الحديث<sup>(٢)</sup> .

(١) الحديث جزء حديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الجهاد : باب اسم الفرس والحمار ٣٥/٤ ، وكتاب اللباس : باب إرداف الرجل خلف الرجل ٢١٨/٧ ، وكتاب الاستئذان : باب من أجاب بليّك وسعديك ٧٤/٨ ، وكتاب الرقاق : باب من جاهد نفسه فى طاعة الله ١٣٠/٨ ، ١٣١ ، وكتاب التوحيد : باب ما جاء فى دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ١٤٠/٩ ، ومسلم فى : الصحيح : كتاب الإيمان : باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا ٥٨/١ ، ٥٩ رقم (٤٨ - ٥١) ، والترمذى فى : السنن : كتاب الإيمان : باب ما جاء فى افتراق هذه الامة ٢٦/٥ ، ٢٧ رقم (٢٦٤٣) ، وابن ماجه فى : السنن : كتاب الزهد : باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة ١٤٣٥/٢ ، ١٤٣٦ رقم (٤٢٩٦) ، كلهم من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعا ، وعقب الترمذى على روايته بقوله : « هذا حديث حسن صحيح ، وروى من غير وجه عن معاذ بن جبل » .

(٢) الحديث جزء حديث أخرجه الإمام أحمد فى : المسند ٢٠٢/٤ ، والترمذى فى : السنن : كتاب الأمثال : باب ما جاء فى مثل الصلاة والصيام والصدقة ١٣٦/٥ ، ١٣٧ رقم (٢٨٦٣) كلاهما من حديث الحارث الأشعري مرفوعا وقامه : « ... وإن الله أمركم بالصلاة فإذا صليتم فلا تلتفتوا فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده فى صلاته ما لم يلتفت ، وأمركم بالصيام فإن مثل ذلك كمثل رجل فى عصابة، ومعه صرة فيها مسك، فكلهم يعجب أو يعجبه ريحها، وإن ريح الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وأمركم بالصدقة، فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فأوثقوا يده إلى عنقه، وقدموه ليضربوا عنقه، فقال: أنا أفديه منكم بالقليل والكثير، ففدى نفسه منهم، وأمركم أن تذكروا الله وإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو فى أثره سراعاً، حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله، قال النبي ﷺ : « وأنا أمركم بخمس، الله أمرني بهن : السمع والطاعة، والجهاد، والهجرة، والجماعة، فإن من فارق الجماعة قيد شبر، فقد خلع ربة الإسلام من عنقه إلا أن يرجع، ومن ادعى دعوى الجاهلية فإنه من جثا جهنم - يعنى من المحكوم عليهم بالنار، والعياذ بالله » فقال رجل: يا رسول الله، وإن صلى وصام ؟ قال : « وإن صلى وصام، فادعوا بدعوى الله الذى سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله»، وعقب عليه الترمذى بقوله : « هذا حديث حسن صحيح غريب » .

كما قال ﷺ: « يقول الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، ومن عمل عملاً أشرك معي فيه غيري، تركته وشركه»<sup>(١)</sup>، وفي رواية: « فأنا منه برىء، وهو للذي أشرك»<sup>(٢)</sup>.

وقال ﷺ أيضاً: « يقول الله تبارك وتعالى: أنا خير شريك، فمن أشرك معي شريكاً فهو لشريكه، يأبها الناس أخلصوا أعمالكم لله - عز وجل - فإن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما أخلص له، ولا تقولوا هذا لله وللرحم، فإنها للرحم وليس لله منها شيء، ولا تقولوا هذا لله ولوجوهكم، فإنها لوجوهكم، وليس لله منها شيء»<sup>(٣)</sup>.

كما قال ﷺ: « إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه، نادى مناد: من كان أشرك في عمل عمله لله أحداً، فليطلب ثوابه من عند غير الله عز وجل، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك»<sup>(٤)</sup> إلى غير ذلك من النصوص.

ثانياً: بعض صور الشرك التي حذر الإسلام منها، والعوامل التي تساعد على العبودية ونبد الشرك:

هذا وهناك صور كثيرة للشرك، ذمها الإسلام وحذر من الوقوع فيها، وأهمها:

١- اتخاذ الأنداد مع الله تبارك وتعالى:

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا

(١) الحديث أخرجه مسلم في: الصحيح: كتاب الزهد والرفائق: باب من أشرك في عمله غير الله، وفي نسخة: باب تحريم الرياء ٤ / ٢٢٨٩ رقم (٢٩٨٥)، وابن ماجه في: السنن: كتاب الزهد: باب الرياء والسمعة ٢ / ١٤٠٥ رقم (٤٢٠٢) كلاهما من حديث أبي هريرة، مرفوعاً به وبنحوه، واللفظ لمسلم، وأورده البوصيري في: مصباح الزجاجة ٤ / ٢٣٦، وعقب عليه قائلًا: « هذا إسناد صحيح، رجاله موثقون، رواه ابن خزيمة في صحيحه، والبيهقي... ».

(٢) هي رواية ابن ماجه المشار إليها منذ قليل في تخريج حديث: « أنا أغنى الشركاء عن الشرك ».

(٣) الحديث أورده المنذرى في: الترغيب والترهيب: باب الترغيب في الإخلاص والصدق والنية الصالحة ١ / ٥٥ رقم (٨) من حديث الضحاك بن قيس مرفوعاً به، وعقب عليه قائلًا: « رواه البزار بإسناد لا بأس به، والبيهقي، لكن الضحاك بن قيس مختلف في صحبته»، وأورده ابن رجب في: جامع العلوم والحكم ص ١٣، وعزاه إلى البزار في: المسند.

(٤) الحديث أخرجه الترمذى في: السنن: كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة الكهف ٥ / ٢٩٤ رقم (٣١٥٤)، وقال عقبه: « هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن بكر»، وابن ماجه في: السنن: كتاب الزهد: باب الرياء والسمعة ٢ / ١٤٠٦ رقم (٤٢٠٣)، وأحمد في: المسند ٣ / ٤٦٦، ٤ / ٢١٥، كلهم من حديث أبي سعد بن أبي فضالة، وكان من الصحابة مرفوعاً.

أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴿ [البقرة: ١٦٥] ، ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [ ق ] .

وسئل عليه السلام : أى الذنب أعظم ؟ قال : « أن تجعل لله ندا وهو خلقك . . . » الحديث (١) .

وقال عليه السلام لخصين : « كم تعبد من إله ؟ » قال : سبعا فى الأرض وواحدا فى السماء ، قال : « فإذا أصابك الضرّ من تدعو؟ » قال : الذى فى السماء ، قال : « فإذا هلك المال من تدعو؟ » قال : الذى فى السماء ، قال : « فيستجيب لك وحده ، وتشركهم معه ، أرضيته فى الشكر أم تخاف أن يغلب عليك ؟ » قال : لا واحدة من هاتين ، قال : وعلمت أنى لم أكلم مثله ، قال : « يا خصين أسلم تسلم . . . » الحديث (٢) .

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب التفسير : باب قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ ﴿ ١٣٧/٦ ، ١٣٨ ، وكتاب الأدب : باب قتل الولد خشية أن يأكل معه ٩/٨ ، وكتاب المحاريب : باب إثم الزنا ٨ / ٢٠٤ ، وكتاب الديات : باب قول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمَ ﴿ ٢/٩ ، وكتاب التوحيد : باب قول الله تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا ﴿ ١٨٦/٩ ، ومسلم فى : الصحيح : كتاب الإيمان : باب كون الشرك أقيح الذنوب ، وبيان أعظمها بعده ٩٠ / ١ ، ٩١ ، رقم (١٤١ ، ١٤٢) ، أبو داود فى : السنن : كتاب الطلاق : باب فى تعظيم الزنا ٢ / ٢٩٤ رقم (٢٣١٠) ، والترمذى فى : السنن : كتاب التفسير : باب ومن سورة الفرقان ٥ / ٣١٤ ، رقم (٣١٨٣ ، ٣١٨٢) ، وعقب عليه بقوله : « هذا حديث حسن صحيح » ، والنسائى فى : السنن : كتاب تحريم الدم : باب ذكر أعظم الذنب ٧ / ٨٩ ، ٩٠ من طريق سفيان ، عن واصل ، عن أبى وائل ، عن عمرو بن شرجيل ، عن عبد الله ابن مسعود ، ومن طريق سفيان عن وائل ، عن أبى وائل عن عبد الله بن مسعود ، ومن طريق يزيد ، عن شعبة ، عن عاصم ، عن أبى وائل ، عن عبد الله بن مسعود ، ثم عقب على الطريق الأخيرة قائلا : « هذا خطأ ، والصواب الذى قبله ، وحديث يزيد هذا خطأ ، إنما هو واصل ، والله تعالى أعلم » ، وأحمد فى : المسند ١ / ٣٨٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٤ ، ٤٦٤ ، كلهم من حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا ، ولفظه كما فى إحدى روايات البخارى : قلت : يا رسول الله ، أى الذنب أعظم ؟ قال : « أن تجعل لله ندا وهو خلقك » ، قال : ثم أى ؟ قال : « أن تقتل ولدك خشية أن يأكل - أو يطعم - معك » قال : ثم أى ؟ قال : « أن تزانى حليلة جارك » ، وأنزل الله تصديق قول النبى صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴿ الآية .

(٢) الحديث جزء من حديث طويل أورده ابن حجر فى : الإصابة ١ / ٣٣٧ ، ٣٣٨ رقم (١٧٣٥) وتامه : « قال ابن خزيمة : حدثنا رجاء العذرى ، حدثنا عمران بن خالد بن طليق بن محمد بن عمران بن حصين قال : حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن جدّه أن قريشا جاءت إلى الحصين - وكانت تعظمه - فقالوا له : كَلِّمْ لَنَا هَذَا الرَّجُلَ ، فإنه يذكر آلهتنا ويسبهم ، فجاءوا معه حتى جلسوا قريبا من باب النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « أوسعوا للشيوخ » - وعمران وأصحابه متوافرون - فقال : حصين : ما هذا الذى بلغنا عنك أنك تشتم آلهتنا وتذكرهم ، وقد كان أبوك حصينة - أى عاقلا متحصنا بدين آبائه وأجداده ، ومعتمداتهم - وخيرا ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « يا حصين ، إن أبى وأباك فى النار ، يا حصين ، كم تعبد من إله ؟ . . . » الحديث وفى آخره : أن حصينا قال : إن لى قوما وعشيرة ، فماذا أقول ؟ قال : « قل : اللهم أستهديك لأرشد أمرى ، وزدنى =

## ٢ - الاستعانة أو الاستغاثة بغير الله تبارك وتعالى :

قال عليه السلام لابن عباس: «... إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء ، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء ، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف » (١).

فإذا دعا الإنسان مع الله غيره فقد أشرك، إذ الاستعانة أو الاستغاثة لا تكون إلا بالله، فقد كان في زمن النبي عليه السلام منافق يؤذى المؤمنين ، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله عليه السلام من هذا المنافق، فقال النبي عليه السلام: «إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله» (٢).

## ٣ - الغلو أو المبالغة في تعظيم الأشخاص ، ولاسيما الموتى منهم :

إذ جاء عنه عليه السلام قوله: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله» (٣)، «ولا تجعلوا بيوتكم قبورا، ولا تجعلوا قبري عيدا، وصلوا عليّ ، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم» (٤).

= علما ينفعني»، فقالها حصين، فلم يقم حتى أسلم، فقام إليه عمران فقبل رأسه ويديه ورجليه، فلما رأى ذلك النبي عليه السلام بكى، وقال: «بكيت من صنع عمران، دخل حصين وهو كافر، فلم يقم إليه عمران، ولم يلتفت ناحيته، فلما أسلم قضى حقه، فدخلني من ذلك الرقة» فلما أراد حصين أن يخرج، قال لأصحابه: «قوموا فشيّعوه إلى منزله»، فلما خرج من سدة الباب رآته قريش، فقالوا: صبا وتفرقوا عنه، وعنه نقل الشيخ محمد يوسف في: حياة الصحابة ١/٧٥، ٧٦.

(١) الحديث أخرجه الترمذي في السنن: كتاب صفة القيامة: باب منه ٤/٥٧٥، ٥٧٦ رقم (٢٥١٦)، وأحمد في: المسند ١/٢٩٢، ٣٠٣، ٣٠٧، ٣٠٨، كلاهما من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه مرفوعا، واللفظ للترمذي، وقال عقيبه: «هذا حديث حسن صحيح».

(٢) الحديث بهذا اللفظ أورده شيخ الإسلام ابن تيمية في: مجموع الفتاوى ١/٣٠٣، وعزاه إلى الطبراني في: المعجم الكبير من حديث أبي بكر رضي الله عنه، وعنه نقل الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي في: العبادة في الإسلام ص ٧٧، وأخرج أحمد نحوه في: المسند ٥/٣١٧ قال: حدثنا موسى بن داود: حدثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن علي بن رباح: أن رجلا سمع عبادة بن الصامت يقول: خرج علينا رسول الله عليه السلام فقال أبو بكر رضي الله عنه: قوموا نستغيث برسول الله عليه السلام من هذا المنافق، فقال رسول الله عليه السلام: «لا يقام لي إنما يقام لله - تبارك وتعالى».

(٣) الحديث أخرجه البخاري في: الصحيح: كتاب أحاديث الأنبياء: باب قول الله: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرِيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ ٤/٢٠٤، وكتاب المحارِبين: باب رجم الجلي من الزنا إذا أحصنت ٨/٢٠٨ - ٢١١، والدارمي في: السنن: كتاب الرقاق: باب قول النبي عليه السلام: «لا تطروني» ٢/٣٢٠، وأحمد في: المسند ١/٢٣، ٢٤، ٤٧، ٥٥، ٥٦، كلهم من حديث ابن عباس عن عمر مرفوعا به، بيد أن البخاري ساقه في: كتاب المحارِبين على أنه قطعة من حديث السقيفة، وكذا أحمد في روايته الأخيرة.

(٤) الحديث أخرجه أبو داود في: السنن: كتاب المناسك (الحج): باب زيارة القبور ٢/٢١٨ رقم (٢٠٤٢)، وأحمد في: المسند ٢/٣٦٧ كلاهما من حديث أبي هريرة مرفوعا، واللفظ لأبي داود.

وجاء أناس إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله، يا خيرنا وابن خيرنا، وسيّدنا وابن سيّدنا، فقال: « يا أيها الناس ، قولوا بقولكم ، ولا يستهوينكم الشيطان ، أنا محمد ، عبد الله ورسوله ، ما أحبّ أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله - عزّ وجلّ » ، وفي رواية: أنه قال لهم : « السيّد الله - تبارك وتعالى » (١) .

#### ٤ - الحلف بغير الله تعالى :

إذ الحلف تعظيم ، والتعظيم لا يكون إلا للحق تبارك وتعالى :

قال عليه الصلاة والسلام : « من كان حالفا فلا يحلف إلا بالله » (٢) ، « ومن حلف بغير الله فقد أشرك » (٣) .

#### ٥ - الذبح لغير الله تعالى :

إذ إن هذا الذبح قربة ، والقربة لا تكون إلا لله سبحانه وتعالى : قال ﷺ : « لعن الله من ذبح لغير الله » (٤) .

(١) الحديث أخرجه أحمد في: المسند ٣/١٥٣ ، ٢٤١ ، ٢٤٩ من حديث أنس بن مالك مرفوعا بهذا اللفظ ، ٢٥/٤ بنحوه من حديث عبد الله بن الشخير ، وكذا أبو داود في: السنن : كتاب الأدب: باب في كراهية التماذج ٤/٢٥٤ رقم (٤٨٠٦) .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في: الصحيح: كتاب الشهادات: باب كيف يستحلف ٣/٢٥٣، كتاب الإيمان والنذور: باب لا تحلفوا بأبائكم ٨/١٦٤ ، ومسلم في: الصحيح: كتاب الإيمان: باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى ٣/١٢٦٧ رقم (٣ ، ٤) ، وأبو داود في: السنن: كتاب الإيمان والنذور: باب كراهية الحلف بالأباء ٣/٢٢٢ رقم (٣٢٤٩) ، والترمذي في: السنن: كتاب النذور والإيمان: باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله ٤/١١٠ رقم ١٥٣٤ ، والنسائي في: السنن: كتاب الإيمان والنذور: باب التشديد في الحلف بغير الله تعالى ٧/٤ ، والدارمي في: السنن: كتاب النذور والإيمان: باب النهي عن الحلف بغير الله ٢/١٨٥ ، ومالك في: الموطأ: كتاب النذور والإيمان: باب جامع الإيمان ص ٣٢٠ رقم (١٠٣١) ، وأحمد في: المسند ٢/٩٨ ، كلهم من حديث عبد الله بن عمر عن عمر مرفوعا ، واللفظ لمسلم ، وعقب الترمذي على حديثه قائلا: « هذا حديث حسن صحيح » .

(٣) الحديث أخرجه أبو داود في: السنن: كتاب الإيمان والنذور: باب في كراهية الحلف بالأباء ٣/٢٢٣ رقم (٣٢٥١) ، والترمذي في: السنن: كتاب النذور والإيمان: باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله ٤/١١٠ رقم (١٥٣٥) ، وأحمد في: المسند ١/٤٧ ، ٣٤/٢ ، ٦٧ ، ١٢٥ كلهم من حديث عبد الله ابن عمر مرفوعا ، واللفظ لأبي داود ، وعقب الترمذي على حديثه قائلا: « هذا حديث حسن » .

(٤) الحديث جزء حديث أخرجه مسلم في: الصحيح: كتاب الأصاحي: باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله ٣/١٥٦٧ رقم (٤٣ - ٤٥) ، والنسائي في: السنن: كتاب الضحايا: باب من ذبح لغير الله تعالى ٧/٢٣٢ ، وأحمد في: المسند ١/١٠٨ ، ١١٨ ، ١٥٢ ، ٣٠٩ ، ٣١٧ ، كلهم من حديث علي رضي الله عنه وقامه كما في مسلم: أن أبا الطفيل عامر بن واثلة قال: كنت عند علي بن أبي طالب، فأتاه رجل فقال: ما كان النبي ﷺ يسر إليك؟ قال: فغضب، وقال: ما كان النبي ﷺ يسر إلى شيئا يكتبه الناس، غير أنه قد حدثني بكلمات أربع، قال: فقال: ما هن يا أمير المؤمنين؟ قال: قال: « لعن الله من لعن والده، ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من أوى محدثا، ولعن الله من غير منار الأرض » وزاد أحمد رواية أخرى عن ابن عباس.

ولأجل هذا نهى الله عن أكل كل ما ذبح لغير الله ، فقال : ﴿ قُلْ لَأَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رَجَسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ [ الأنعام : ١٤٥ ] ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾

[ الأنعام : ١٢١ ]

٦ - اتخاذ بعض البشر من رجال الدين أو من رجال الدنيا مصدر تشريع ، يحرمون ويحلون بغير ما أذن الله ، ثم طاعتهم في كل ما يشرعون ، وإن خالفوا ما شرع الله :

عن عدى بن حاتم أنه سمع رسول الله ﷺ يقرأ هذه الآية : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [ التوبة : ٣١ ] فقلت له - أى للنبي ﷺ : إنا لسنا نعبدهم ، فقال عليه الصلاة والسلام : « أليسوا يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله فتحلونه ؟ » قلت : بلى ، قال : « فلتك عبادتهم إياهم » (١) .

ولعل مما يساعد على تحقيق معنى العبودية لله تعالى فى النفس ، ونبذ الشرك :

أ - أن يتأمل الإنسان حقيقة النعم التى تغمره وتحيط به ، وينظر فى مصدرها ، وستهديه الفطرة ، ويرشده العقل - بإذن الله تعالى - إلى أن ذلك كله مردّه إلى الله ، وإذا فمن النكوص والنكران أن يأكل نعمة الله ، ثم يتوجّه بالعبادة إلى غير الله .

ب - وأن يتأمل واقع الذين يتخذهم أندادا مع الله ، وسيجد أن هؤلاء لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ، ولا موتاً ، ولا حياة ، ولا نشوراً ، فضلاً عن أن يملكوا ذلك لغيرهم : ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا

(١) الحديث أخرجه الترمذى : فى السنن : كتاب تفسير القرآن : باب ومن سورة التوبة ٢٧٨/٥ رقم (٣٠٩٥) ، قال : حدثنا الحسين بن يزيد الكوفى ، حدثنا عبد السلام بن حرب ، عن غطف بن أعين ، عن مصعب بن سعد ، عن عدى بن حاتم ، قال : أتيت النبي ﷺ وفى عنقى صليب من ذهب ، فقال عليه الصلاة والسلام : « يا عدى ، اطرح عنك هذا الوثن » ، وسمعتة يقرأ فى سورة براءة : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ قال : « أما أنهم لم يكونوا يعبدونهم ، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه ، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه » ثم عقب عليه بقوله : « هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب ، وغطف بن أعين ليس بمعروف فى الحديث » ، وأورده ابن كثير فى : تفسير القرآن العظيم ٢ / ٣٤٨ ، ٣٤٩ على أنه قطعة من حديث طويل قاتلا : « روى الإمام أحمد والترمذى وابن جرير من طرق عن عدى بن حاتم رضي الله عنه أنه لما بلغته دعوة رسول الله ﷺ فرأى إلى الشام . . . الحديث .

وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ [الفرقان] ، ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ [الاعراف] .

وإذا فمن الجحود أن يشرك الإنسان هؤلاء مع الله، وهم لا حول لهم ولا قوة، كما جاء في قصة إسلام عمرو بن الجموح رضي الله عنه إذ يقول ابن إسحاق رضي الله عنه :

« وكان عمرو بن الجموح من سادات بنى سلمة وأشرافهم، وكان قد اتخذ صنما من خشب في داره يقال له : مناة ، كما كانت الأشراف يصنعون ، يتخذها إلهها يعظمه ، ويطهره ، فلما أسلم فتيان بنى سلمة ابنه معاذ، ومعاذ بن جبل، كانوا يدبجون بالليل على صنم عمرو ذلك ، فيحملونه فيطرحونه في بعض حفر بنى سلمة ، وفيها عذر الناس منكسا على رأسه ، فإذا أصبح عمرو قال : ويلكم ، من عدا على إلهنا هذه الليلة؟ ثم يغدو ويلتمسه حتى إذا وجده غسله وطيبه ، وطهره ، ثم قال : أما والله لو أعلم من فعل به هذا لأخزينه ، فإذا أمسى ونام عمرو ، عدواً عليه ففعلوا مثل ذلك ، فيغدو فيجده في مثل ما كان فيه من الأذى ، فيغسله ويطيبه ويطهره ، ثم يعدون عليه إذا أسى ، فيفعلون به مثل ذلك ، فلما أكثروا عليه استخرجوه من حيث ألقوه يوماً ، فغسله ، وطهره ، وطيبه ، ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ، ثم قال له : إني والله ما أعلم من يصنع بك ما أرى ، فإن كان فيك خير فامتنع ، هذا السيف معك ، فلما أمسى ، ونام عمرو ، عدوا عليه ، فأخذوا السيف من عنقه ، ثم أخذوا كلبا ميتا فقرنوه به بحبل ، ثم ألقوه في بئر من آبار بنى سلمة فيها عذر من عذر الناس ، وغدا عمرو بن الجموح فلم يجده في مكانه الذي كان به ، فخرج يتبعه ، حتى إذا وجده في تلك البئر منكسا مقرونا بكلب ميت ، فلما رآه أبصر شأنه ، وكلمه من أسلم من قومه ، فأسلم برحمة الله ، وحسن إسلامه ، فقال حين أسلم ، وعرف من الله ما عرف ، وهو يذكر صنمه ذلك ، وما أبصر من أمره ، ويذكر الله الذي أنقذه مما كان فيه من الغي والضلالة ، ويقول :

والله لو كنت إلهاً لم تكن	أنت وكلب وسط بئر في قرن
أف لملقاك إلهاً مستدن	الآن فتشناك عن سوء الغبن
الحمد لله العلى ذى المنن	الواهب الرزاق ديسان الدين
هو الذى أنقذنى من قبل أن	أكون فى ظلمة قبر مرتهن <sup>(١)</sup>

(١) القصة أوردها المحافظ ابن كثير فى: السيرة النبوية ٢/٢٠٧، ٢٠٨ نقلا عن ابن إسحاق.

ج - وأن يتذكر أن عاقبة الشرك في الدنيا فضيحة وتشهير، وفي الآخرة خزي وعذاب جهنم وبئس المصير، وهذا هو الخسران المبين.

د - وأن يلازم صحبة من سيماهم الإخلاص، والصدق، فإن صحبة هؤلاء تحمل على الاقتداء والتأسي أوعلى الأقل المحاكاة والتشبه، على حد قول القائل :

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالصالحين فلاح

هـ - وأن يُذكرُ بذلك دائماً، فإن دأب الإنسان النسيان، وعلاج هذا النسيان التذكير، وصدق الله : ﴿ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى (٩) ﴾ [ الأعلى ] ، ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (٥٥) ﴾ [ الفرقان ] .

ثالثاً : بعض النصوص الأخرى الواردة في فضل الوحدة ، ودم الفرقة، مع بيان العوامل التي تساعد على تحقيق هذه الوحدة :

أما عن فضل الوحدة، فقد وردت نصوص أخرى كثيرة تدعو إليها، وتدم الفرقة، نذكر منها قول الله تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ [ آل عمران : ١٠٣ ] ، ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [ المائدة: ٢ ] ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ﴾ [ الانعام ] ، ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [ آل عمران ] ، ﴿ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٣٢) ﴾ [ الروم ] .

ونذكر منها كذلك قوله ﷺ : « إنه ستكون هنات وهنات<sup>(١)</sup> ، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة، وهي جميع، فاضربوه بالسيف ، كائنا من كان »<sup>(٢)</sup> ، « من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم<sup>(٣)</sup> أو يفرق جماعتكم

(١) الهنات جمع هنة ، تأنيث هن ، وقيل : واحدها هنت ، وتطلق في الأصل على كل شيء ، والمراد بها هنا : الفتن والشور والحادثة ، انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٤ / ٢٥٦ .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في : الصحيح : كتاب الإمارة : باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع ٣ / ١٤٧٩ رقم (٥٩) ، وأبو داود في : السنن : كتاب السنة : باب في قتل الخوارج ٤ / ٢٤٢ رقم (٤٧٦٢) ، وأحمد في : المسند ٤ / ٣٤١ كلهم من حديث عرفجة بن شريح رضي الله عنه مرفوعاً به .

(٣) يشق عصاكم : يعني : يفرق جماعتكم كما تفرق العصاة المشقوقة ، وذلك عبارة عن اختلاف الكلمة وتنافر النفوس ، انظر : النهاية ٣ / ١٠٣ بتصرف .

فاقتلوه»<sup>(١)</sup>، « من فارق الجماعة شبرا، فقد خلع ربة الإسلام من عنقه »<sup>(٢)</sup>، « ثلاثة لا تسأل عنهم : رجل فارق الجماعة، وعصى إمامه، ومات عاصيا . . . »<sup>(٣)</sup>.

وقال أبو ثعلبة الخشني : كان الناس إذا نزل رسول الله ﷺ منزلا ، تفرقوا في الشعاب والأودية، فقال رسول الله ﷺ : « إن تفرقكم في هذه الشعاب والأودية، إنما ذلكم من الشيطان » ، فلم ينزل بعد ذلك منزلا إلا انضم بعضهم إلى بعض، حتى يقال: لو بسط عليهم ثوب لعمهم<sup>(٤)</sup>.

وقال عمر رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « . . . عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد ، من أراد بحبوة الجنة فليلزم الجماعة . . . »<sup>(٥)</sup>. إلى غير ذلك من النصوص .

هذا، وهناك عوامل تساعد على تحقيق الوحدة، نذكر منها :

١- حسن الصلة بالله - عزّ وجلّ - تلك التي تتمثل في اتباع منهجه وإخلاص الوجهة له ، فإن هذه إن توافرت ، جرّدت النفس من كل حظوظها، وحينئذ يكون الربط على القلوب، والتأليف بين النفوس . وقد جاءت نصوص كثيرة تدعو إلى ذلك وتحضّ عليه، منها قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [ آل عمران : ٣١ ] .

وقوله تبارك وتعالى : « يقول الله تعالى في الحديث القدسي : مَنْ عَادَى لِي وَلِيَا فَقَدْ آذَنَنِي بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتَهُ عَلَيَّ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحْبَبَهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتَهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يَبْصُرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ ، وَمَا تَرَدَّدَتْ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ ، تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ ، يَكْرَهُ

(١) الحديث أخرجه مسلم في : الصحيح : كتاب الإمارة : باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع ١٤٨٠ / ٣ رقم (٦٠) من حديث عرفة بن شريح مرفوعا به .

(٢) الحديث سبق تخريجه ص ٧ .

(٣) الحديث سبق تخريجه ص ٣٧ .

(٤) الحديث أخرجه أبو داود في : السنن : كتاب الجهاد : باب ما يؤمر من انضمام العسكر وسعته ٤١ / ٣ رقم (٢٦٢٨) ، وأحمد في : المسند ٤ / ١٩٣ ، كلاهما من حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه مرفوعا به .

(٥) الحديث سبق تخريجه ص ١١ .

الموت، وأنا أكره مساءته»<sup>(١)</sup>، «إن الله إذا أحب عبدا دعا جبريل، فقال: إني أحب فلانا فأحبّه، قال: فيحبه جبريل، ثم ينادى في السماء فيقول: إن الله يحب فلانا فأحبّوه، فيحبه أهل السماء، قال: ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبدا دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلانا فأبغضه، قال: فيبغضه جبريل، ثم ينادى في أهل السماء: إن الله يبغض فلانا فأبغضوه، قال: فيبغضونه، ثم يوضع له البغضاء في الأرض»<sup>(٢)</sup>، «وما توادّ رجلان في الله عزّ وجلّ فتفرق بينهما إلا يحدث يحدث أحدهما والمحدث شرّ، والمحدث شرّ، والمحدث شرّ»<sup>(٣)</sup>.

٢ - ورعاية الآداب الاجتماعية من التزاور، والسؤال عند الغياب، وبذل النصيحة، وطلاقة الوجه، والهدية، والمواساة، وإظهار المحاسن، وإخفاء المعاييب، والوفاء بحق الصحبة، والعفو عن الهفوات والزلات، وترك التكلف، وإفشاء السلام، وإجابة الدعوة، وكل ما هو حق للأخ على أخيه، فإن هذه إذا روعيت أثمرت المحبة والمودة، وحيثئذ يكون الترابط والوحدة.

- إذ جاء عنه عليه السلام: «أن رجلا زار أخا له في قرية أخرى، فأرصد الله له على مدرجته ملكا، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخا لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربّتها؟ قال: لا، غير أنني أحببته في الله عزّ وجلّ قال: إني رسول الله إليك بأن الله قد أحبّك كما أحببته فيه»<sup>(٤)</sup>، «لا تدخلون الجنة حتى

(١) الحديث أخرجه البخاري في: الصحيح: كتاب الرقاق: باب التواضع ٨ / ١٣١ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا به، وأخرج أحمد نحوه في: المسند ٦ / ٢٥٦ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله عز وجل: من أذل لي ولينا فقد استحل محاربي، وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء الفرائض، وما يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، وإن سألتني أعطيت، وإن دعاني أجبت، وما ترددت عن شيء أنا فاعله، ترددي على وفاته؛ لأنه يكره الموت».

(٢) الحديث أخرجه البخاري في: الصحيح كتاب الأدب: باب المقت من الله تعالى ٨ / ١٧، ومسلم في: الصحيح: كتاب البر والصلة والآداب: باب إذا أحب الله عبدا حبّبه إلى عباده ٤ / ٢٠٣٠ رقم (٢٦٣٧) كلاهما من حديث أبي هريرة مرفوعا واللفظ لمسلم ولم يذكر البخاري البغض.

(٣) الحديث أخرجه أحمد في: المسند ٥ / ٧١ من حديث الحسن بن علي بن فضال عن رجل من بني سليل قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في أزفة من الناس، فسمعت يقول: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، والتقوى ها هنا - وأشار بيده إلى صدره - وما توادّ رجلان في الله - عز وجل - فتفرق بينهما إلا يحدث أحدهما، والمحدث شرّ...» الحديث، وأورده الهيثمي في: مجمع الزوائد: كتاب الزهد: باب ما توادّ اثنان فيفرق بينهما إلا الذنب ١٠ / ٢٧٥ عن رجل من بني سليل ثم عقب عليه بقوله: «رواه أحمد وإسناده حسن».

(٤) الحديث أخرجه مسلم في: الصحيح: كتاب البر والصلة والآداب: باب في فضل الحب في الله ٤ / ١٩٨٨ رقم (٣٨)، وأحمد في: المسند ٢ / ٢٩٢، ٤٠٨، ٤٦٢، ٤٨٢، ٥٠٨ كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا، واللفظ لمسلم.

تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»<sup>(١)</sup>، «ما من مسلمين التقيا أخذ أحدهما بيد صاحبه إلا كان حقا على الله عز وجل أن يحضر دعاءهما، ولا يفرق بين أيديهما حتى يغفر لهما»<sup>(٢)</sup>، « تصافحوا يذهب الغلُّ، وتهادوا تحابوا، وتذهب الشحناء»<sup>(٣)</sup>، وغير ذلك من النصوص كثير.

٣- والتدبر في ثمرات الوحدة، وعواقب الفرقة في الدنيا والآخرة، فإن هذا كفيل بدفع أصحاب العقول السليمة، والفطرة المستقيمة من المسلمين، إلى الحفاظ على الوحدة، ونبذ الفرقة، مهما تكن التضحيات والتكاليف.

٤- والتأمل في واقع أعداء الله، فإن هؤلاء - كما قدمنا في حديث لزوم الجماعة - حريصون كل الحرص على التلاقي فيما بينهم، والوحدة في شكل أحلاف عسكرية (حلف وارسو، الأطلنطي)، أو برلمانات سياسية (البرلمان الأوربي المشترك)، أو أسواق تجارية (السوق الأوربية المشتركة)، أو اتحادات جمهورية وولياتية (جمهوريات الاتحاد

(١) الحديث أخرجه مسلم في: الصحيح: كتاب الإيمان: باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن إفشاء السلام سبب لحصولها ٧٤/١ رقم (٩٣، ٩٤)، وأبو داود في: السنن: كتاب الأدب: باب في إفشاء السلام ٣٥٠/٤ رقم (١٥٩٣). والترمذي في: السنن: كتاب الاستئذان: باب ما جاء في إفشاء السلام ٥٢/٥ رقم (٢٦٨٨)، وابن ماجه في: السنن: المقدمة: باب في الإيمان ٢٦/١ رقم (٦٨)، وكتاب الأدب: باب إفشاء السلام ١٢١٧/٢، ١٢١٨ رقم (٣٦٩٢)، وأحمد في: المسند ١/١٦٤، ١٦٥، ١٦٧، ٢ / ٤٤٢، ٤٧٧، ٤٩٥، ٥١٢ كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا، واللفظ لمسلم، وعقب الترمذي على حديثه قائلا: «هذا حديث حسن صحيح» وزاد أحمد رواية أخرى من حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه بلفظ: «دب إليكم داء الأمم قبلكم، الحسد، والبغضاء، والبغضاء هي الحالقة، حالقة الدين، لا حالقة الشعر، والذي نفس محمد بيده لا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أنبئكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم: أفشوا السلام بينكم».

(٢) الحديث أخرجه أبو داود في: السنن: كتاب الأدب: باب المصافحة ٣٥٤/٤ رقم (٥٢١١، ٥٢١٢)، وابن ماجه في: السنن: كتاب الأدب: باب المصافحة ١٢٢٠/٢ رقم (٣٧٠٣)، وأحمد في: المسند ٤/٢٨٩، ٢٩٣، ٢٩٤، ٣٠٣، والترمذي في: السنن: كتاب الاستئذان: باب ما جاء في المصافحة ٧٤/٥، ٧٥ رقم (٢٧٢٧)، كلهم من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه مرفوعا، واللفظ لأحمد، وأخرج أبو يعلى نحوه في: المسند ٥/٣٣٤ رقم (٢٠٥)، (٢٩٦٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ولكن أعلاه الهشيم في: مجمع الزوائد ١٠/٢٧٥ بأن فيه: (درست بن حمزة)، وهو ضعيف، ثم عاد فأورد له متابعات ٨/٣٦ عند أحمد والبيهقي، وعقب قائلا: «ورجال أحمد رجال الصحيح غير ميمون بن عجلان، وثقه ابن حبان، ولم يضعفه أحد».

(٣) الحديث أخرجه مالك في: الموطأ: كتاب الجامع: باب ما جاء في المهاجرة ص ٦٥٣ رقم (١٦٤٢) من حديث عطاء بن أبي مسلم عبد الله الخرساني مرسلا، وعطاء هذا: «صدوق يهيم كثيرا، ويرسل ويدلس» كما في: التقريب لابن حجر ٢ / ٢٣.

السوفيتى سابقا ، الولايات المتحدة الأمريكية). وهم يحرصون كل الحرص على ذلك رغم أنهم على الباطل، ورغم ما بينهم من خلافات جوهرية، تمس أصول العقيدة.

لعل هذا التأمل يدفع عقلاء المسلمين، وذوى الضمائر الحية منهم، أن يحرصوا على الوحدة، وأن ينبذوا الفرقة، لاسيما وأنهم على الحق، وأن ليس بينهم من الخلافات العقيدية مثل ما عند خصومهم أو أعدائهم، وإلى هذا يشير الحق سبحانه وتعالى:

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ (٧٣)

[ الأنفال ]

٥ - وطاعة ولى الأمر أو الإمام فى العسر واليسر، والشدة والرخاء ، والمنشط والمكره، وإلى آخر الزمان، ما دامت هذه الطاعة فى المعروف، فإن هذه الطاعة تؤدى إلى الوحدة، ونبذ الفرقة، وسيأتى بعد قليل تفصيل القول فى هذا العامل.

٦- والتذكير الدائم بضرورة الحفاظ على الوحدة، ونبذ الفرقة، حتى تظل الأمة عزيزة الجانب، مسموعة الكلمة، محروسة بعين الله ورعايته ، فإن الإنسان بطبيعته ينسى، ولا علاج لهذا النسيان إلا بالتذكير.

٧- التجوال الدائم فى سيرة السلف، وكيف كان حرصهم على الوحدة ، ونبذ الفرقة رغم ما كان يقع بينهم من اختلاف فى رأى ووجهات النظر ، إذ كانوا يؤمنون ويوقنون أن الخلاف لا يفسد للود قضية.

وحسبنا فى هذا المقام ما أثرعن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، إذ جاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: وأبا بكر، وعمر، وعثمان - صدرا من خلافته رضي الله عنهم كانوا يصلون بمكة ومنى ركعتين ، ثم إن عثمان رضي الله عنه صلاها أربعاً، فبلغ ذلك ابن مسعود فاسترجع، ثم قام فصلى أربعاً، فقيل له: استرجعت ثم صليت أربعاً؟ قال: « الخلاف شر » .

وما أثرعن أبى ذر رضي الله عنه ، إذ يقول رجل: كنا قد حملنا لأبى ذر رضي الله عنه شيئاً نريد أن نعطيه إياه، فأتينا الربذة فسألنا عنه فلم نجده، قيل: استأذن فى الحج فأذن له، فأتيناه بالبلدة وهى منى، فبينما نحن عنده إذ قيل له: إن عثمان رضي الله عنه صلى أربعاً، فاشتد ذلك عليه، وقال قولاً شديداً وقال: صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم: فصلى ركعتين ، وصليت مع

الأثر أورده الشيخ محمد يوسف فى حياة الصحابة ٣/٢ نقلا عن كنز العمال، وعزاه إلى عبد الرزاق فى: المصنّف من حديث قتادة رضي الله عنه به، وأخرجه أبو داود فى: السنن: كتاب المناسك (الحج): باب الصلاة بمنى ١٩٩/٢ رقم (١٩٦٠) من حديث الأعمش، عن إبراهيم، عن عبد الرحمن بن يزيد قال: صلى عثمان بمنى أربعاً... الأثر.

أبى بكر وعمر رضي الله عنهما ، ثم قام أبو ذر رضي الله عنه فصلى أربعاً، فقيل له: عبت على أمير المؤمنين شيئاً، ثم تصنعه؟ قال: الخلاف أشدّ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبنا وقال: «إنه كائن بعدى سلطان فلا تذلوهُ، فمن أراد أن يذله فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، وليس بمقبول منه توبة حتى يسد ثلمته، وليس بفاعل، ثم يعود فيكون فيمن يعززه، أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يغلبونا على ثلاث: نأمر بالمعروف، ونهَى عن المنكر، ونعلم الناس السنن»<sup>(١)</sup>.

هذان النموذجان - وغيرهما كثير - ينتهيان بالمسلم العاقل الغيور إلى الحرص على الوحدة، وبذ الفرقة، وإن خالف ذلك هواه، ومراده.

### رابعاً : مفهوم طاعة ولي الأمر، ومظاهر كمال هذه الطاعة وفوائدها مع بعض النصوص الواردة في هذا الشأن :

وأما مفهوم طاعة ولي الأمر فتتلخص في النزول على حكمه، وتنفيذ ما يصدر عنه تَوْأً على النحو الذي صدر منه، وإن خالف هوى النفس والرأى ، ما دام في المعروف، وما دام في حدود الطاقة والوسع، إذ يقول صلى الله عليه وسلم: «على المرء المسلم السَّمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»<sup>(٢)</sup>، «لا طاعة في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف»<sup>(٣)</sup>.

(١) الأثر أخرجه أحمد في: المسند ١٦٥/٥ عن رجل قال: كنا قد حملنا لأبى ذر رضي الله عنه شيئاً نريد أن نعطيهاه... الأثر، وأورده الهيثمي في: مجمع الزوائد ٢١٦/٥ وعزاه إلى أحمد عن رجل، ثم عقب بقوله: «فيه راو لم يُسم، وبقية رجاله ثقات».

(٢) الحديث أخرجه البخارى في: الصحيح : كتاب الأحكام : باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية ٧٨ / ٩ ، ومسلم في: الصحيح : كتاب الإمارة : باب وجوب طاعة الأمراء ٣ / ١٤٦٩ رقم ٣٨ (١٨٣٩).

(٣) الحديث جزء حديث طويل ، أخرجه البخارى في: الصحيح: كتاب المغازى: باب سرية عبد الله بن حذافة السهمي ٢٠٣/٥ ، ٢٠٤، وكتاب الأحكام: باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية ٧٨/٩، ٧٩، وكتاب الأحاد: باب ما جاء في إجازة خير الواحد الصدوق ١٠٩/٩، ومسلم في: الصحيح: كتاب الإمارة: باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية ٣/١٤٦٩، ١٤٧٠ رقم (٣٩، ٤٠)، وأبو داود في: السنن: كتاب الجهاد: باب في الطاعة ٣/٤٠ رقم(٢٦٢٥)، والنسائي في: السنن: كتاب البيعة: باب جزء من أمر بمعصية فاطاع ١٥٩/٧، ١٦٠، وأحمد في: المسند ٨٢/١، ٩٤، ١٢٤، كلهم من حديث على بن أبى طالب رضي الله عنه مرفوعاً، وتماه - كما في: مسلم - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية، واستعمل عليهم رجالاً من الأنصار، وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا، فأغضبوه في شيء، فقال: اجتمعوا لى خطبا، فجمعوا له، ثم قال: أوقدوا ناراً، فأوقدوا، ثم قال: ألم يأمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تستمعوا لى وتطيعوا؟ قالوا: بلى، قال: فادخلوها، قال: فنظر بعضهم إلى بعض، فقالوا: إنما فررنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النار، فكانوا كذلك، وسكن غضبه وطففت النار، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: «لو دخلوها ما خرجوا منها، إنما الطاعة في المعروف»، وفي رواية أخرى له - أى لمسلم أيضاً : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للذين أرادوا أن يدخلوها: «لو دخلتموها لم تزالوا فيها إلى يوم القيامة» وقال للأخرين قولاً حسناً، وقال: «لاطاعة في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف».

ويقول أبو الوليد عبادة بن الصامت رضي الله عنه : دعانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعناه ، فكان فيما أخذ علينا : أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا ، وعسرنا ويسرنا ، وأثرة علينا ، وألا ننازع الأمر أهله ، قال : « إلا أن تروا كفراً بواحدٍ عندكم من الله فيه برهان »<sup>(١)</sup> .

ويقول عبد الله بن عمر رضي الله عنه : كان النبي صلى الله عليه وسلم يبايع على السمع والطاعة ، ثم يقول : « فيما استطعت »<sup>(٢)</sup> ، ويقول صلى الله عليه وسلم : « ... ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده ، وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع ... »<sup>(٣)</sup> .

وأما المظاهر التي تدل على كمال هذه الطاعة فكثيرة ، أهمها :

١- إطلاع القيادة بأقصى سرعة على آخر التطورات المتعلقة بالأمر الصادر ، وإن عظمت التكاليف ، وازدادت التضحيات :

ولعل خير تنظير لهذا المظهر ، ما أثر عن مصعب بن عمير رضي الله عنه حين عاد من المدينة المنورة ، بعد غياب سنة داعياً إلى الإسلام ، ومعلماً للقرآن ، ومربياً لمن دخل في هذا الدين ، فإنه حين عاد إلى مكة بدأ برسول الله صلى الله عليه وسلم على أمه ، ليحكي له أبعاد مهمته ، وليحظى بشرف رؤيته والاستماع إليه ، وليلتقي منه آخر التوجيهات ، مع أنه لم يكن

(١) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب الفتن : باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : « سترون بعدي أموراً تكرونها » ٩ / ٥٩ ، ومسلم في : الصحيح : كتاب الإمامة : باب وجوب طاعة الأمراء ٣ / ١٤٧٠ رقم (٤٢) .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في : المسند ٩ / ٢ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه مرفوعاً به .

(٣) الحديث جزء حديث أخرجه مسلم في : الصحيح : كتاب الإمامة : باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول ٣ / ١٤٧٢ - ١٤٧٤ رقم (٤٦ ، ٤٧) ، والنسائي في : السنن : كتاب البيعة : باب ذكر ما على من بايع الإمام وأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه ٧ / ١٥٢ - ١٥٤ ، وابن ماجه في : السنن : كتاب الفتن : باب ما يكون من الفتن ٢ / ١٣٠٦ ، ١٣٠٧ ، وأحمد في : المسند ٢ / ١٦١ ، ١٩١ ، ١٩٣ كلهم من حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنه وعنه - كما في مسلم : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ، فنزلنا منزلاً ، فمنا من يصلح خبائه ، ومنا من يتنزل ، ومنا من هو في جشره ، إذ نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم : الصلاة جامعة ، فاجتمعنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ، وينذرهم شر ما يعلمه لهم ، وإن أنتمكم هذه جعل عافيتها في أولها ، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها وتحمي فتنه ، فيرقق بعضها بعضاً ، وتحمي الفتنه فيقول المؤمن : هذه مهلكتي ، ثم تنكشف وتحمي الفتنه فيقول المؤمن هذه هذه ، فمن أحب أن يزرح عن النار ، ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأت للناس الذي يحب أن يؤتى إليه ، ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده ... الحديث .

بمكة - يومئذ - شاب أبرّ بأمه منه، ومن سعد بن أبي وقاص، حتى أرسلت إليه أمه تعاتبه في ذلك وتقول له: يا عاق، أتقدم بلداً أنا فيه لا تبدأ بي؟ فقال: ما كنت لأبدأ بأحد قبل رسول الله ﷺ، ثم لما سلم على رسول الله ﷺ وأخبره بما أخبره، ذهب إلى أمه ليؤدى لها حق البر والصلّة<sup>(١)</sup>.

٢- والصبر والتحمل حتى يقع التنفيذ للأمر على النحو الذى صدر به دون إخلال أو تعطيل:

ولعل خير ما يشرح هذا المظهر، ما يرويه جندب بن مكيث الجهنى عن نفسه، إذ يقول: «بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله الكلابى إلى بنى الملوحة بالكديد، وأمره أن يغير عليهم، وكنت فى سريره، فعمدت إلى تلّ يطلعنى على الحاضر فانبطحت عليه، وذلك قبل غروب الشمس، فخرج رجل منهم، فنظر فرأى منبطحا على التلّ، فقال لامرأته: إني لأرى سوادا على هذا التلّ ما رأيت فى أول النهار، فانظري لا تكون الكلاب اجترت بعض أوعيتك؟ فنظرت فقالت: والله ما أفقد منها شيئا، قال: فناوليني قوسى وسهمين من نبلى، فناولته فرماني بسهم فى جنبى أو قال: فى جيبى، فنزعته، فوضعت ولم أتحرك، ثم رماني بالآخر فوضعه فى رأس منكبى، فنزعته فوضعت ولم أتحرك، فقال لامرأته: أما والله لقد خالطه سهامى، ولو كان ريةً لثرك، فإذا أصبحت فابتغى سهمى فخذيهما لا تمضغهما على الكلاب، قال: فأمهلنا حتى إذ راحت روايحهم، وحتى احتلبوا وعطنوا وسكنوا، وذهبت عتمة من الليل، شنتا عليهم الغارة، فقتلنا واستقنا النعم»<sup>(٢)</sup>.

٣- وفهم الأمر الصادر فهما دقيقا، ضمانا لسلامة ودقة التنفيذ:

فهذا على ﷺ يعطيه الرسول ﷺ الراية يوم خيبر، ثم يقول له: «اذهب فقاتل حتى يفتح الله عليك ولا تلتفت»، ويدرك على ﷺ بعد مضيّة لأداء مهمته أن التكليف الذى كلف به غير واضح فى ذهنه، فيعود بظهره امثالاً للأمر، ويسأل النبى عليه الصلاة

(١) القصة أوردها ابن سعد فى: الطبقات الكبرى ١١٩/٣.

(٢) الحديث أخرجه الواقدي فى: المغازى: باب سرية أميرها غالب بن عبد الله بالكديد فى صفر سنة ثمان ٧٥٠/٢ - ٧٥٢. قال: «حدثنا عبد الله بن جعفر، عن عبد الواحد بن أبى عون عن يعقوب بن عتبة عن مسلم بن عبد الله الجهنى، عن جندب بن مكيث الجهنى قال: بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله الليثى أحد بنى كلب بن عوف فى سرية كنت فيهم، وأمره أن يشن الغارة على بنى الملوحة بالكديد...» الحديث، وابن كثير فى: البداية والنهاية ٢٢٢/٤، ٢٢٣ نقلا عن ابن إسحاق به.

والسلام قائلاً: علام أقاتل الناس؟ فيرد النبي ﷺ: «قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منا دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله» (١).

٤- والاستجابة الفورية للأمر، وإن كان على خلاف الرأي وما تهوى النفس:

يقول حذيفة رضي الله عنه: «لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب، وأخذتنا ريح شديدة، وقرّ، أي برد، فقال رسول الله ﷺ: «ألا رجل يأتينا بخير القوم، جعله الله معي يوم القيامة؟» فسكتنا فلم يجبه منا أحد، ثم قال: «ألا رجل يأتينا بخير القوم، جعله الله معي يوم القيامة؟» فسكتنا فلم يجبه منا أحد، فقال: «ألا رجل يأتينا بخير القوم، جعله الله معي يوم القيامة؟» فسكتنا فلم يجبه منا أحد، فقال: «قم يا حذيفة فأتنا بخير القوم»، فلم أجد بداً إذ دعاني باسمي أن أقوم، فقال: «أذهب فأنتي بخير القوم، ولا تدعهم على» (٢).

٥ - بذل النصيحة:

ولعل أفضل ما يشرح لنا هذا المظهر ما كان يوم الحديبية: إذ دعى النبي ﷺ عمر بن الخطاب لبيعته إلى أهل مكة، فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له، فقال:

يا رسول الله، إني أخاف قريشا على نفسي، وليس بمكة من بنى عدى أحد يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتى إياها، وغلظتى عليها، ولكنني أدلك على رجل أعزّ بها مني: عثمان بن عفان. فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش، يخبرهم أنه لم يأت للحرب، وإنما جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحرمة.

(١) الحديث أخرجه البخاري في: الصحيح: كتاب الجهاد: باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة ٥٧/٤، ٥٨، وباب فضل من أسلم على يديه رجل ٧٣/٤، وكتاب أصحاب النبي ﷺ: باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ٢٢/٥، ٢٣، وكتاب المغازي: باب غزوة خيبر ١٧١/٥، ومسلم في: الصحيح: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ١٨٧١/٤ - ١٨٧٣ رقم (٣٣ - ٣٥)، والترمذي في: السنن: كتاب المناقب: باب علي بن أبي طالب رضي الله عنه ٦٣٨/٥ رقم (٣٧٢٤) كلهم من حديث عامر بن سعد مرفوعاً بنحوه، وبمثل، وزاد مسلم روايتين، إحداهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، والأخرى من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، وعقب الترمذي على حديثه بقوله: «هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه».

(٢) الحديث أخرجه مسلم في: الصحيح: كتاب الجهاد والسير: باب غزوة الأحزاب ١٤١٤/٣، ١٤١٥ رقم (٩٩) (١٧٨٨)، وأحمد في: المسند ٣٩٢/٥، ٣٩٣ كلاهما من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه مرفوعاً، واللفظ لمسلم، ومعنى «لا تدعهم على»: لا تعلمهم بنفسك وامش في خفية؛ لئلا ينفروا منك ويقبلوا على. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٤٦/٢.

وهناك سبب ثانٍ لبذل عمر هذه النصيحة، وهو أن الحكومة يومها في قريش كانت لبني أمية، وعثمان بن عفان أموي، وكان للوشائج القبلية في هذا المجتمع الجاهلي نصيب، وأى نصيب، وظهر هذا واضحا في استقبال قريش لسيدنا عثمان رضي الله عنه، إذ قالوا له حين بلغهم رسالة رسول الله ﷺ: إن شئت أن تطوف بالبيت فطُف، فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ.

وسبب ثالث، وهو أن سيدنا عثمان رضي الله عنه كان رقيقا ليئا، محبباً إلى قريش، حتى كانت المرأة إذا دللت ولدها تقول:

أحبك والرحمن حبَّ قريش عثمان

لهذا كله بذل عمر النصيحة، واستحسنها رسول الله ﷺ، فنزل عليها وأخذ بها<sup>(١)</sup>.

## ٦- الاستئذان:

وهو أخذ الإذن عند أي تصرف من شأنه أن يُخلَّ بوحدة الصفِّ، وتماسكه، يقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ ﴾ [النور: ٦٢].

وسبب نزول الآية معروف، إذ يحكى ابن إسحاق أنه لما جاء المشركون، وحاصروا المدينة في غزوة الأحزاب، أمر النبي ﷺ بعمل خندق حول المدينة بمشورة سلمان وبدأ المسلمون في العمل، وعمل معهم نبيهم، وإمامهم محمد ﷺ مواساةً لهم، وطمعا في الأجر والثوبة، وتخلف طائفة من المنافقين يعتذرون بالضعف، ومنهم من ينسل خفيةً بغير إذنه، ولا علمه ﷺ، فأنزل الله الآية<sup>(٢)</sup>.

وقد تمثل الصحابة رضي الله عنهم هذا المظهر عمليا، وحسبنا موقف عمر رضي الله عنه إذ يقول: أستأذنت النبي ﷺ في العمرة، فأذن لي، وقال: «لا تنسنا يا أخي من دعائك» فقال عمر: كلمة

(١) القصة أوردها ابن كثير في: السيرة النبوية ٣/٣١٨، ٣١٩ وعزاها إلى ابن إسحاق.

(٢) انظر: السيرة النبوية لابن كثير ٣/١٨٢، ١٨٣ نقلا عن ابن إسحاق.

ما يسرنى أن لى بها فى الدنيا<sup>(١)</sup>. يعنى هذه كلمة عظيمة لا تعدلها الدنيا، وما فيها.

### ٧- الاستفسار عن كيفية التنفيذ :

وهو السؤال عن الطريقة التى يتم بها التنفيذ، أهى بعينها كما صدرت عن القيادة، أو يمكن تغييرها على ضوء الواقع؟ والقصة التالية خير ما يشرح هذا المظهر:

إذ يقول على رضي الله عنه : أكثروا على مارية أم إبراهيم فى قبضى ابن عم لها يزورها، ويختلف إليها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خذ هذا السيف، فانطلق، فإن وجدته عندها فاقتله »، قال: قلت: يا رسول الله، أكون فى أمرك إذ أرسلتني كالسكة المحماة لا يثينى شىء حتى أمضى لما أمرتني به أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ».

فأقبلت متوشحا السيف، فوجدته عندها، فاخترطت السيف، فلما رأتى عرف أنى أريده، فأتى نخلة فرقى فيها، ثم رمى بنفسه على قفاه. ثم شال رجله فإذا به أجب أسخ، ماله مما للرجال، لا قليل ولا كثير، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته، فقال: « الحمد لله الذى صرف عنا أهل البيت ».

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن سعيد قال: حدثنا سفيان، قال: حدثني محمد ابن عمر بن على بن أبى طالب، عن على رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، إذا بعثتني أكون كالسكة المحماة أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب؟ قال: « الشاهد يرى ما لا يرى الغائب »<sup>(٢)</sup>.

ولما اشتد الحصار على المسلمين يوم الخندق استشار النبي صلى الله عليه وسلم السعديين: سعد بن معاذ، وسعد بن عباد وهما سيدا الأوس والخزرج أن يصلح المشركين على ثلث ثمار المدينة على أن يرجعوا عنه، وعن أصحابه، فقالا: يا رسول الله، أمرنا تحب فنصنعه، أم شيئا أمرك الله به لا بد لنا من العمل به، أم شيئا تصنعه لنا؟ فقال: « بل شىء أصنعه

(١) الحديث أخرجه أبو داود فى: السنن: كتاب الصلاة: باب الدعاء ١٦٩/٢ رقم (١٤٩٨)، والترمذى فى: السنن: كتاب الدعوات: باب منه ٥٥٩/٥، رقم (٣٥٦٢)، وابن ماجه فى: السنن: كتاب الحج: باب فضل دعاء الحاج ٩٦٦/١ رقم (٢٨٩٤) كلهم من حديث عمر مرفوعا وقال عنه الترمذى: « حديث حسن صحيح ».

(٢) الحديث أورده الحافظ ابن كثير فى: السيرة النبوية ٦٠٢/٤، ٦٠٣، وعزاه إلى ابن إسحاق، وأورد له شاهدا عند الإمام أحمد، وعقب عليه بقوله: « هكذا رواه مختصرا ». وهو أصل الحديث الذى أورده، وإسناد رجاله ثقات ».

لكم، والله ما أصنع ذلك، إلا لأتّى رأيتُ العرب رمتكم عن قوس واحدة، وكاليوكم من كل جانب، فأردتُ أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما» .

فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله، قد كنّا وهؤلاء على الشرك بالله، وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرةً واحدة إلا قرى أو بيعاً، أفحين أكرمنا الله بالإسلام، وهدانا له وأعزّنا بك، وبه، نعطيهم أموالنا؟ ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف، حتى يحكم الله بيننا وبينهم، فقال النبي ﷺ: « أنت وذاك »<sup>(١)</sup>.

#### ٨ - الحرص على أمن وسلامة القيادة:

جاء عن سعد بن معاذ أنه قال للنبي ﷺ يوم بدر: يا نبي الله، ألا نبني لك عريشا تكون فيه، ونعدُّ عندك ركائبك، ثم نلقى عدونا، فإن أعزّنا الله، وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن ورائنا من قومنا، فقد تخلف عنك أقوام ما نحن بأشد حبا لك منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حربا، ما تخلفوا عنك، يمنك الله بهم، يناصحونك ويجاهدون معك، فأثنى عليه النبي ﷺ خيرا، ودعا له بخير، ثم بُني لرسول الله ﷺ عريش كان فيه<sup>(٢)</sup>.

ولما هزم المشركون في بدر، جلس عمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن أمية في الحجر بعد مصاب أهل بدر بيسير، وكان عمير بن وهب شيطانا من شياطين قريش، ومن كان يؤذى رسول الله ﷺ وأصحابه، ويلقون منه عناءً، وهو بمكة، وكان ابنه وهب بن عمير من أسارى بدر، فذكر أصحاب القلب، ومصابهم، فقال صفوان: والله ما إن في العيش بعدهم خير، فقال له عمير: صدقت، أما والله لولا دين عليّ ليس عندي قضاؤه، وعيال أحشى عليهم الضيعة بعدى لركبتُ إلى محمد حتى أقتله فإن لى فيهم علّة، ابني أسير في أيديهم، فاغتنمها صفوان بن أمية فقال: علىّ دينك أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أو أسيهم ما بقوا، لا يسعني شيء، يعجز عنهم، فقال له عمير: فاكتم عليّ شأنى وشأنك، قال: سأفعل.

قال : ثم أمر عمير بسيفه فشحذ له، وسَمَّ، ثم انطلق حتى قدم المدينة، فبينما عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر، ويذكرون ما أكرمهم الله

(١) الحديث أورده الحافظ ابن كثير في: السيرة النبوية ٣/٢٠١، ٢٠٢، وعزاه إلى ابن إسحاق .

(٢) القصة أوردها الحافظ ابن كثير في: السيرة النبوية ٢/٤٠٣، ٤٠٤، وعزاه إلى ابن إسحاق .

به، وما أراهم في عدوهم، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب وقد أناخ على باب المسجد متوشحاً بالسيف، فقال: هذا الكلب عدو الله، عمير بن وهب ما جاء إلا لشر، وهو الذي حرش بيننا وحذرنا - أي قدرنا - للقوم يوم بدر ثم دخل على رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله، هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه، قال: « فأدخله عليّ » قال: فأقبل عمر حتى أخذ حمالة سيفه في عنقه، فلبيه بها، وقال لمن كان معه من الأنصار: ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده، واحذروا عليه من هذا الخبيث، فإنه غير مأمون، ثم دخل به على رسول الله ﷺ فلما رآه رسول الله ﷺ وعمر أخذ بحمالة سيفه في عنقه، قال: « أرسله يا عمر، ادن يا عمير »، فدنا ثم قال: أنعم صباحاً، وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم، فقال رسول الله ﷺ: « قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير، بالسلام تحية أهل الجنة »، قال: أما والله يا محمد إن كنت بها لحديث عهد. قال: « فما جاء بك يا عمير؟ » قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه.

قال: « فما بال سيف في عنقك؟ »، قال: قبحها الله من سيوف وهل أغنت شيئاً.

قال: « أصدقني ما الذي جئت له؟ »، قال: ما جئت إلا لذلك، قال: « بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر، فذكرتما أصحاب القليب من قريش، ثم قلت: لولا دين عليّ، وعيال عندي، لخرجت حتى أقتل محمداً، فتحمل لك صفوان بن أمية بدينك، وعيالك، علي أن تقتلني له، والله حائل بينك وبين ذلك ».

فقال عمير: أشهد أنك رسول الله، قد كنا نكذبك يا رسول الله بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام، وساقني هذا المساق، ثم شهد شهادة الحق<sup>(١)</sup>.

#### ٩- المبادرة بطرح أو اقتراح ما هو نافع ومفيد:

جاء في الخبر أن رسول الله ﷺ لما خرج لملاقاة المشركين في بدر أخذ يباردهم إلى الماء، حتى جاء أدنى ماء من بدر فنزل به، فقال له الحباب بن المنذر: يا رسول الله، أرايت هذا المنزل، أنزله الله ليس لنا أن نتقدمه، ولا نتأخر عنه أم هو الرأي، والحرب، والمكيدة؟ .

(١) القصة أوردتها المحافظ ابن كثير في: السيرة النبوية ٢/٤٨٦، ٤٨٧، نقلها عن ابن إسحاق .

قال: « بل هو الرأى والحرب والمكيدة ».

قال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فامض بالناس حتى تأتى أذى ماء من القوم، فنتزله، ثم نغور ما وراءه من القلب، ثم نبني عليه حوضا، فنملؤه ماء، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله ﷺ: « لقد أشرت بالرأى » (١)، ونفذ ما قال الحباب.

### ١٠- ترك الاجتهاد مع النص :

جاء فى الخبر أن رسول الله ﷺ لما صالح قريشا يوم الحديبية جاءه عمر، فقال: ألسنت نبى الله حقا؟ قال: « بلى »، قال: ألسنا على الحق، وعدونا على الباطل؟ قال: « بلى »، قال: فلم نعطى الدنيا فى ديننا إذن؟ قال: « إئى رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصرى » قلت: أو لست كنتَ تحدثنا أنا سنأتى البيت فنطوف به؟ قال: « بلى، فأخبرتكَ أنا نأتية العام؟ » قلتُ: لا، قال: « فإنك آتية، ومطوَّف به ».

قال: فأتيت أبا بكر، فقلتُ: يا أبا بكر، أليس هذا نبى الله حقا؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق، وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قال: قلت: فلم نعطى الدنيا فى ديننا إذن؟ قال: أيها الرجل إنه لرسول الله، وليس يعصى ربّه، وهو ناصره فاستمسك بغرزه، فوالله إنه على الحق (٢).

ولطاعة ولىّ الأمر فوائد جمّة، وأهم هذه الفوائد:

### ١- العزّة والسيادة :

فإن هذه الطاعة طريق الوحدة، والوحدة طريق القوة، والقوة تعنى العزّة والسيادة. وقد صرح بذلك سيدنا علىّ ﷺ، إذ يقول رجل: كنت عريفا فى زمن علىّ، فأمرنا بأمر، فقال: « أفعلتم ما أمرتكم؟ » قلنا: لا، قال: « والله لتفعلنّ ما تؤمرون به، أو لتركبنّ أعناقكم اليهود والنصارى » (٣).

(١) القصة أوردتها الحافظ ابن كثير فى: السيرة النبوية ٢/٤٠٢، ٤٠٣، نقلنا عن ابن إسحاق.

(٢) الحديث أوردته الحافظ ابن كثير فى: السيرة النبوية ٣/٣٣٤، نقلنا عن الزهري.

(٣) الأثر أخرجه ابن أبى شيبّة فى: المصنّف: كتاب الفتن ١٥/٥٧ رقم (١٩١٠٣) من حديث الأعمش عن شهر، عن رجل موقوفا علىّ علىّ ﷺ به، وعنه نقل علاء الدين الهندي فى: كنز العمال ٥/٧٨٠ رقم (١٤٣٦٧).

كما صرّح به أيضاً حذيفة رضي الله عنه ، إذ يقول : « لا يمّشين رجل منكم شبراً إلى ذى سلطان ليذّله، فلا والله لا يزال قوم أذّلّوا السلطان أذلاء إلى يوم القيامة » <sup>(١)</sup>.

## ٢- عدم فوات الدنيا لا في نفس، ولا في مال :

فقد يظن بعض الناس أنه بالطاعة ربما يضارّ في نفسه، أو في ماله، أو فيهما معاً، والحقيقة ليست كذلك.

وفي قصة حذيفة بن اليمان التي ذكرنا طرفاً منها آنفاً، درس عملي لكل من تسول له نفسه عدم طاعة وليّ الأمر بحجة فوات الدنيا، أو شيء منها، إذ يقول: فلما وليت من عنده - أي من عند النبي صلّى الله عليه وآله - جعلت كأنما أمشي في حمّام حتى أتيتهم ، فرأيت أبا سفيان يصلي ظهره بالنار، فوضعت سهما في كبد القوس، فأردت أن أرميه، فذكرت قول رسول الله صلّى الله عليه وآله: « ولا تدعهم على » ولو رميته لأصبته، فرجعت وأنا أمشي في مثل الحمّام، فلما أتيتهم، فأخبرته بخبر القوم، وفرغت، قررت <sup>(٢)</sup> ، فألبسني رسول الله صلّى الله عليه وآله من فضل عبادة كانت عليه يصلي فيها، فلم أزل نائماً حتى أصبحت، فلما أصبحت قال : « قم يا نومان » <sup>(٣)</sup>.

ومعنى هذا الكلام - كما يقول الإمام النووي : « أنه لم يجد البرد الذي يجده الناس، ولا من تلك الريح الشديدة شيئا، بل عافاه الله ببركة إجابته للنبي صلّى الله عليه وآله وذهابه فيما وجهه إليه، ودعائه صلّى الله عليه وآله ، واستمر ذلك اللطف به ومعافاته من البرد ، حتى عاد إلى النبي صلّى الله عليه وآله ، فلما رجع ووصل عاد إليه البرد الذي يجده الناس وهذا من معجزات رسول الله صلّى الله عليه وآله » <sup>(٤)</sup>.

وكذلك في قصة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يوم بدر مثل هذا الدرس: إذ يقول: لما كان يوم بدر، قتل أخي عمير، وقتلت سعيد بن العاص، وأخذت سيفه وكان يسمى ذا الكتيفة، فأتيت به النبي صلّى الله عليه وآله قال : « اذهب فاطرحه في القبض »، قال : فرجعت وبى

(١) الأثر أخرجه ابن أبي شيبة في: المصنّف: كتاب الفتن ١٥/١٢٦ رقم (١٩٢٩٤) من حديث زياد بن علاقة عن قطبة بن مالك موقوفاً على حذيفة بن اليمان رضي الله عنه به، وعنه نقل علاء الدين الهندي في: كنز العمال ٥/٧٨١ رقم (١٤٣٧١).

(٢) قررت - بضم القاف وكسر الراء : أي بردت، انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للإمام النووي ٤/٤٢٩، والنهاية في غريب الحديث والأثر ٣/٢٤١.

(٣) الحديث سبق تخريجه ص ٧٤.

(٤) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للإمام النووي ٤/٤٣٠.

ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخى، وأخذ سلبى، قال: فما جاوزت إلا يسيرا حتى نزلت سورة الأنفال، فقال لى رسول الله ﷺ: « اذهب فخذ سيفك »<sup>(١)</sup>.

وفى بعض الروايات أن سعدا قال: يا رسول الله، قد شفانى الله من المشركين، فهب لى هذا السيف، قال: «إن هذا السيف ليس لك، ولا لى، ضعه» قال: فوضعتة، ثم رجعت قلت: عسى أن يعطى هذا السيف اليوم لمن لم يبيل بلائى، قال: إذ رجل يدعونى من ورائى، فقلت: قد أنزل فى شىء، قال: « كنت سألتنى هذا السيف، وليس هو لى، وإنه قد وهب لى، فهو لك » قال: وأنزلت هذه الآية: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرُّسُولِ ﴾<sup>(٢)</sup> [ الأنفال: ١ ].

٣- الهداية إلى الصراط المستقيم، لاسيما فى الأمور المشككة، والمواقف المباغطة:

فإن هذه الطاعة تعنى مجاهدة النفس، والانتصار على ميولها وأهوائها، وقد وعد الله من جاهدوا أنفسهم فى ذات الله أن يوفقهم إلى طريق الهداية والخلاص، فقال سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [ العنكبوت: ٦٩ ].

٤- المزيد من الثبات على الطاعة، والاستمساك بحبل الله المتين:

فإن مجرد وقوع هذه الطاعة، يعنى مناصبة أعداء الله العداء، والمسلم الواعى العاقل يخشى أنه إذا نكص على عقبيه، وخلع رداء هذه الطاعة، فقد فتح الطريق أمام أعداء الله ليتمكنوا منه ومن إخوانه المسلمين، وحيثئذ تضع عليه وعليهم ثمرات جهادهم وطاعتهم، وتتحول الأرض إلى بؤرة من الشر والفساد، وحتى يفوت مثل ذلك على أعداء الله، فإنه يجاهد نفسه أن تواصل هذه الطاعة، وأن تظل مستمسكة بحبل الله المتين، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن الله عز وجل كما يعاقب على المعصية بالوقوع فى معصية أخرى، فإنه يثبت على الطاعة بطاعة أخرى، وهكذا تتكاثر أشجار الطاعات، كل طاعة تثمر أخرى، حتى يأتى الله بالنصر والفرج القريب كما يقول سبحانه: ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾ [ مريم: ٧٦ ]، ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ (١٧) [ محمد ] .

(١) (٢) الحديثان أخرجهما أحمد فى: المسند ١/ ١٧٨، ١٨٠، ١٨١ من حديث سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه مرفوعا به .

٥ - الأجر العظيم المتمثل في رضوان الله عز وجل وجنته ومرافقة الصالحين :

إذ يقول ﷺ: « كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى » قالوا : ومن يأبى يا رسول الله؟ قال : « من أطاعنى دخل الجنة، ومن عصانى فقد أبى »<sup>(١)</sup> ، « ومن يطع الأمير فقد أطاعنى، ومن أطاعنى فقد أطاع الله، ومن يعصى الأمير فقد عصانى، ومن عصانى فقد عصى الله »<sup>(٢)</sup> .

ولقد جمع الحق تبارك وتعالى كل فوائد الطاعة التي ذكرنا في قوله سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا (٦٦) وَإِذَا لَاتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (٦٧) وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٦٨) وَمَنْ يَطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (٦٩) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا (٧٠)﴾ [ النساء ] .

هذا، وقد وردت نصوص كثيرة في شأن طاعة ولى الأمر - غير حديث الباب، وغير ما ورد مبثوثاً في هذا الشرح - نذكر منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩)﴾ [ النساء ] .

وقوله ﷺ: « عليك السمع والطاعة في عسرك، ويسرك، ومنشطك، ومكرهك، وأثرة عليك »<sup>(٣)</sup> ، « إنه لم يكن نبي قبلى إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة : باب الاقتداء بسنة رسول الله ﷺ . . . ١١٤/٩ ، وأحمد فى : المسند ١٦١/٢ ، كلاهما من حديث أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً، واللفظ للبخارى، وله شاهد عند أحمد من حديث أبى أمامة الباهلى ٢٥٨/٥ ولفظه: « ألا كلكم يدخل الجنة إلا من شرد على الله شراد البعير على أهله» .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح: كتاب الجهاد والسير: باب يقاتل من وراء الإمام ويتقى به ٦٠/٤ ، ٦١ ، وكتاب الأحكام: باب قوله تعالى: ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ ٧٧/٩ ، ومسلم فى : الصحيح: كتاب الإمارة: باب وجوب طاعة الأمراء فى غير معصية، وتحريمها فى المعصية ١٤٦٦/٣ ، ١٤٦٧ ، رقم (٣٢ - ٣٤) ، والنسائى فى : السنن: كتاب البيعة: باب الترغيب فى طاعة الإمام ١٥٤/٧ ، وأحمد فى : المسند ٢٤٤/٢ ، ٢٤٥ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٧٠ ، ٣١٣ ، ٣٤٢ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٤١٦ ، ٤٦٧ ، ٤٧١ ، ٥١١ ، كلهم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً، واللفظ للبخارى .

(٣) الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح: كتاب الإمارة: باب وجوب طاعة الأمراء فى غير معصية، وتحريمها فى المعصية ١٤٦٧/٣ ، رقم ٣٥ (١٨٣٦) ، والنسائى فى : السنن: كتاب البيعة: باب البيعة على الأثرة ١٣٨/٧ ، وأحمد فى : المسند ٣٨١/٢ ، ٣٢١/٥ ، كلهم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً، ومن حديث عبادة بن الصامت فى الرواية الأخيرة لأحمد .

ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاء، وأمور تنكرونها، وتجيء فتنة فيرقق<sup>(١)</sup> بعضها بعضاً، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه مهلكتي، ثم تنكشف، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه، فمن أحب أن يرحل عن النار، ويدخل الجنة، فلتأته منيته وهو يؤمن بالله، واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه، ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده، وثمرة قلبه، فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه، فاضربوا عنق الآخر<sup>(٢)</sup>، «إن أمر عليكم عبد مجدع<sup>(٣)</sup> يقودكم بكتاب الله، فاسمعوا له، وأطيعوا»<sup>(٤)</sup>، إلى غير ذلك من النصوص.

**خامساً : حقيقة النهي عن القيل والقال ، وكثرة السؤال ، مع بعض النصوص الواردة في هذا الشأن وبيان العوامل التي تساعد على حفظ اللسان :**

وحقيقة النهي عن القيل والقال ، وكثرة السؤال ، قد اختلفت فيها الأنظار والعبارات، فقيل: معنى (قيل وقال) : النهي عن الخوض في أخبار الناس، وحكايات ما لا يعنى من أحوالهم وتصرفاتهم، واختلفوا في حقيقة هذين اللفظين على قولين: أحدهما: أنهما فعلان، (قيل) مبنى للمجهول أو لما لم يسم فاعله، و (قال) : فعل

(١) فيرقق بعضها بعضاً: هذه اللفظة رويت - كما يقول الإمام النووي في شرحه على مسلم ١٢/٢٣٣ - على أوجه: « أحدها وهو الذي نقله القاضي عن جمهور الرواة: يرقق بضم الياء وفتح الراء، ويقافين، أى يصير بعضها رقيقاً لعظم ما بعده، فالثاني يجعل الأول رقيقاً، وقيل: معناه: يشبه بعضها بعضاً، وقيل: يدور بعضها في بعض ويذهب ويحيى» ، وقيل: معناه: يسوق بعضها إلى بعض بتحسينها وتسويلها، والوجه الثاني: فيرقق بفتح الياء وإسكان الراء، ويعدها فاء مضمومة، والثالث: فيدقق بالبدال المهملة الساكنة، وبالفاء المكسورة، أى يدفع ويصب، والدقق الصب».

(٢) الحديث سبق تخريجه ص ٧٢.

(٣) مجدع: أى مقطوع الأعضاء، والمراد: اسمع وأطع الأمير، وإن كان ذنباً النسبة، بل لو كان عبداً أسود، مقطوع الأطراف، فإن طاعته واجبة ما دامت في المعروف، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ١/١٤٨، والمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي ١٢/٢٢٥.

(٤) الحديث جزء حديث طويل، أخرجه مسلم في: الصحيح: كتاب المساجد ومواضع الصلاة: باب استحباب التكبير بالصبح في أول وقتها ١/٤٤٨ رقم (٢٣٩) من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعاً، وكتاب الحج: باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر ركباً... ٢/٩٤٤ رقم (٣١١، ٣١٢) ، من حديث أم الحصين رضي الله عنها مرفوعاً، وكتاب الإمارة: باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية ٣/١٤٦٧ ، ١٤٦٨ رقم ٣٦ (١٨٣٧) من حديث أبي ذر وأم الحصين ٣٧ (١٨٣٨) من حديث أم الحصين، والترمذي في: السنن: كتاب الجهاد: باب ما جاء في طاعة الإمام ٤/٢٠٩ رقم (١٧٠٦) من حديث أم الحصين، وعقب عليه بقوله: « وفي الباب عن أبي هريرة، وعرباض بن سارية، وهذا حديث حسن صحيح، وقد روى من غير وجه عن أم الحصين»، وابن ماجه في: السنن: كتاب الجهاد: باب طاعة الإمام ٢/٩٥٥ رقم (٢٨٦٠ - ٢٨٦٢) من حديث أنس بن مالك، وأم الحصين، وأبي ذر رضي الله عنه وأحمد في: المسند ٤/٧٠، ٥/٣٨١، ٦/٤٠٢، ٣/٤٠٣ من حديث أم الحصين، ٥/١٦١، ١٧١ من حديث أبي ذر، وهذا اللفظ لمسلم.

ماض، والثانى: أنهما اسمان مجروران منونان؛ لأن القيل، والقال، والقول، والقالة، كله بمعنى، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ (١٢٢) ﴿ [النساء]، ومنه قولهم: كثر القيل والقال، وقيل: معنى (كثرة السؤال): النهى عن التنطع فى المسائل، والإكثار من السؤال عما لم يقع، ولا تدعو إليه حاجة، وقيل: المراد به: النهى عن سؤال الناس أموالهم وما فى أيديهم، وقيل: يحتمل أن يكون المراد به النهى عن كثرة سؤال الإنسان عن حاله وتفصيل أمره، فيدخل ذلك فى سؤاله عما لا يعنيه، ويتضمن ذلك حصول الحرج فى حق المستؤل، فإنه قد لا يؤثر إخباره بأحواله، فإن أخبره شق عليه، وإن كذبه فى الإخبار أو تكلف التعريض لحقته المشقة، وإن أهمل جوابه ارتكب سوء الأدب، وعندى أنه لا مانع أن تكون هذه المعانى كلها مرادة، ما دام النص عاما، وما دامت القرائن الدالة على التخصيص معدومة<sup>(١)</sup>.

على أنه قد جاءت نصوص كثيرة - غير حديث الباب - بكل ما قدمنا، نذكر منها قوله عليه السلام: « كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع »<sup>(٢)</sup>.

وقول أسود بن أصرم رضي الله عنه، قلت: يا رسول الله، أوصنى، قال: « تملك يدك » قلت: فماذا أملك إذا لم أملك يدي؟ قال: « تملك لسانك » قلت: فماذا أملك إذا لم أملك لساني؟ قال: « لا تبسط يدك إلا إلى الخير، ولا تقبل بلسانك إلا معروفا »<sup>(٣)</sup>.

وقول عقبه بن عامر رضي الله عنه، قلت: يا رسول الله، ما النجاة؟ قال: « أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك وابك على خطيئتك »<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للإمام النووي ١١/١٢.

(٢) الحديث أخرجه أبو داود فى: السنن: كتاب الأدب: باب فى التشديد فى الكذب ٤/٢٩٧، ٢٩٨ رقم (٤٩٩٢)، فقال: حدثنا حفص بن عمر، ثنا شعبة، وثنا محمد بن الحسين، ثنا على بن حفص، قال: ثنا شعبة، عن خبيب بن عبد الرحمن، عن حفص بن عاصم، قال ابن حسين فى حديثه: عن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: « كفى بالمرء إثما... » ثم عقب عليه قائلا: « ولم يذكر حفص أبى هريرة، ولم يسنده إلا هذا الشيخ - يعنى على بن حفص المدائنى، ومسلم فى: الصحيح: المقدمة: باب النهى عن الحديث بكل ما سمع ١/١٠، ١١ رقم (٥) من حديث أبى هريرة مرفوعا، ومن حديث عمر موقوفا.

(٣) الحديث أورده المنذرى فى: الترغيب والترهيب: كتاب الأدب وغيره: باب الترغيب فى الصمت إلا عن خير، والترهيب من كثرة الكلام ٣/٥٣٠، من حديث أسود بن أصرم هذا، وعقب عليه بقوله: « رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى بإسناد حسن، والبيهقى ».

(٤) الحديث أخرجه الترمذى فى: السنن: كتاب الزهد: باب ما جاء فى حفظ اللسان ٤/٦٠٥ رقم (٢٤٠٦) من حديث عقبه بن عامر مرفوعا، وعقب عليه بقوله: « هذا حديث حسن »، وأورده المنذرى فى: الترغيب والترهيب: كتاب الأدب وغيره: باب الترغيب فى الصمت إلا عن خير، والترهيب من كثرة الكلام ٣/٥٢٤ من حديث عقبه بن عامر، وعقب عليه بقوله: « رواه أبو داود والترمذى وابن أبى الدنيا فى العزلة، وفى الصمت، والبيهقى فى كتاب الزهد وغيره، كلهم من طريق عبید الله بن زحر، عن على بن يزيد عن القاسم، عن أبى أمامة عنه »، وقال الترمذى: « حديث حسن غريب ».

وقوله ﷺ: « من يضمن لى ما بين لحيه، وما بين رجله أضمن له الجنة»<sup>(١)</sup>،  
 «ذرونى ما تركتكم، فإنما أهلك ما كان قبلكم كثرة سؤالهم، واختلافهم على  
 أنبيائهم»<sup>(٢)</sup>، «يا قبيصة، إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمل حمالة فحلت  
 له المسألة حتى يصيبها ثم يمك، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة  
 حتى يصيب قواما من عيش - أو قال: سدادا من عيش - ورجل أصابته فاقة حتى يقوم  
 ثلاثة من ذوى الحج من قومه: لقد أصابت فلانًا فاقة، فحلت له المسألة حتى يصيب  
 قواما من عيش - أو قال: سدادا من عيش - فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحتا  
 يأكلها صاحبها سحتا»<sup>(٣)</sup>.

وعن معاوية أنه ﷺ: « نهى عن الغلوطات »<sup>(٤)</sup>، والغلوطات - كما فسرها  
 الأوزاعى - شداد المسائل وصعابها<sup>(٥)</sup>.

(١) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب الرقاق: باب حفظ اللسان ١٢٥/٨، والترمذى فى:  
 السنن: كتاب الزهد: باب ما جاء فى حفظ اللسان ٦٠٦/٤ كلاهما من حديث سهل بن سعد مرفوعا،  
 واللفظ للبخارى، وعقب عليه الترمذى بقوله: « وفى الباب عن أبى هريرة وابن عباس، وحديث سهل  
 حديث حسن صحيح غريب من حديث سهل بن سعد»، وأورده المنذرى فى: الترغيب والترهيب: كتاب  
 الأدب: باب الترغيب فى الصمت إلا عن خير... ٥٢٤/٣، ٥٢٥، وعزاه إلى البخارى والترمذى عن  
 سهل بن سعد.

(٢) الحديث جزء حديث أخرجه مسلم فى: الصحيح: كتاب الحج: باب فرض الحج مرة فى العمر ٩٧٥/٢  
 رقم (٤١٢)، كتاب الفضائل: باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه ١٨٣٠/٤، ١٨٣١  
 رقم (١٣٠، ١٣١)، والنسائى فى: السنن: كتاب المناسك: باب وجوب الحج ١١٠/٥، ١١١، وابن  
 ماجه فى: السنن: المقدمة: باب اتباع سنة رسول الله ﷺ ٣/١ رقم (٢)، وأحمد فى: المسند ٢٤٧/٢،  
 ٥١٧، ٥٠٨، ٤٩٥، ٤٨٢، ٤٦٧، ٤٥٧، ٤٥٦، ٤٤٨، ٤٤٧، ٤٢٨، ٣١٤، ٣١٣، ٢٥٨  
 كلهم من حديث أبى هريرة روى مرفوعا، واللفظ لمسلم.

(٣) الحديث جزء حديث أخرجه مسلم فى: الصحيح: كتاب الزكاة: باب من تحل له المسألة ٧٢٢/٢ رقم  
 (١٠٩)، وأبو داود فى: السنن: كتاب الزكاة: باب ما تجوز فيه المسألة ١٢٠/٢ رقم (١٦٤٠)، والنسائى  
 فى: السنن: كتاب الزكاة: باب الصدقة لمن تحمل بحمالة ٨٨/٥ - ٩٠، والدارمى فى: السنن: كتاب  
 الزكاة: باب من تحل له الصدقة ٣٩٦/١، وأحمد فى: المسند ٦٠/٥، كلهم من حديث قبيصة بن  
 مخارق الهلالى بلفظ: تحملت حمالة فأتيت رسول الله ﷺ أسأله فيها، فقال: « أقم حتى تأتينا الصدقة  
 فنأمر لك بها» ثم قال: « يا قبيصة، إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة... » الحديث.

(٤) الحديث أخرجه أبو داود فى: السنن: كتاب العلم: باب التوقى فى الفتيا ٣٢١/٣ رقم (٣٦٥٦) من  
 حديث معاوية مرفوعا، وأحمد فى: المسند ٤٣٥/٥ عن رجل من أصحاب النبى ﷺ وعن معاوية  
 مرفوعا.

(٥) تفسير الأوزاعى للغلوطات أورده أبو داود فى: السنن: كتاب العلم: باب التوقى فى الفتيا ٣٢١/٣،  
 وأحمد فى: المسند ٤٣٥/٥.

وأما العوامل التي تساعد على حفظ اللسان حتى لا يقع في القيل والقال وكثرة السؤال فكثيرة، أهمها :

١- أن يضع المسلم في حسابه أنه إذا اشتغل بذلك مما لا يعنيه، ومما فيه مشقة على الناس، فسيفوته ما يعنيه، وستقع الكراهية بينه وبين الناس، الأمر الذي يؤدي إلى الفرقة والفشل، وصدق القائل: «من اشتغل بما لا يعنيه فاتته ما يعنيه»<sup>(١)</sup>.

٢- وأن يضع في حسابه كذلك أن كل ما يتفوه به إنما هو محسوب عليه ومحصى، وسيسأل وسيحاسب عليه بين يدي الله عز وجل : ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩) ﴾ [ الشعراء ] ، ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨) ﴾ [ ق ] ، فإن ذلك يحمل على حفظ اللسان وصيانتها، كما جاء في الخبر : « ومن حسب كلامه من عمله، قلّ كلامه إلا فيما يعنيه... »<sup>(٢)</sup>.

٣- وأن يدرك أن كثرة الكلام تؤدي إلى قسوة القلوب، وذلك مما يبعد العبد عن ربه: « لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله: فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب، وإن أبعد الناس من الله تعالى القلب القاسى »<sup>(٣)</sup>.

٤- وأن يديم النظر في سيرة السلف الصالح ، وكيف كان حرصهم على الصمت إلا عن الخير، فقد دخل عمر يوماً على أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأبو بكر يجيد لسانه، فقال عمر : « مَهْ، غفر الله لك » ، فقال له أبو بكر: « إن هذا أوردني شر الموارد »<sup>(٤)</sup>.

(١) هذا مشهور على الألسنة، ولم أجده فيما تحدى من مصادر.

(٢) الحديث جزء حديث طويل أورد المنذرى قطعة منه في: الترغيب والترهيب: كتاب القضاء : باب الترهب من الظلم... ١٨٨/٣ - ١٩٠ من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، ما كانت صحف إبراهيم؟ قال: «كانت أمثالا كلها...» الحديث، ثم عقب عليه قائلا: « رواه ابن حبان في صحيحه، واللفظ له، والحاكم، وقال: صحيح الإسناد ».

(٣) الحديث أخرجه الترمذى في: السنن: كتاب الزهد : باب منه ٦٠٧/٤، ٦٠٨ رقم (٢٤١١) من حديث عبد الله بن عمر مرفوعاً بهذا اللفظ، وأخرج مالك نحوه في الموطأ: باب ما يكره من الكلام بغير ذكر الله ص ٦٩٨ ( بلغه) أن عيسى ابن مريم كان يقول: « لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتفسو قلوبكم ، فإن القلب القاسى بعيد من الله ، ولكن لا تعلمون... » وعقب الترمذى على حديثه قائلا: « هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث إبراهيم بن عبد الله بن حاطب ».

(٤) الحديث أخرجه مالك في: الموطأ: باب ما جاء فيما يخاف من اللسان ص ٦٩٩ رقم (١٨١٠) من حديث زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر دخل على أبي بكر الصديق وهو يجيد لسانه - أى يجذب - فقال =

٥- وأن يقف على النصوص الواردة في فضيلة الصمت، وذم كثرة الكلام، فإنها تساعد على أن يخزن المسلم لسانه إلا فيما يرضى الله سبحانه وتعالى.

٦- وأن يشغل نفسه بالطاعات، فإنه إن نجح في ذلك، لم يعد لديه وقت ولا مجال ليشغل بالقليل والقال، وكثرة السؤال، فما جعل الله لرجل من قلوبين في جوفه.

سادسا: حقيقة النهي عن إضاعة المال، مع بعض النصوص الأخرى الواردة في هذا الشأن، ومع بيان العوامل التي تساعد على حفظ المال :

وحقيقة النهي عن إضاعة الأموال ، تدو رحول تحريم إنفاقه في غير وجهه المأذون فيه شرعا، سواء أكان ذلك في الحرام أم في الحلال، ولكن مع الإسراف والتبذير.

وقد جاءت نصوص شرعية كثيرة - غير حديث الباب - تحذر من إضاعة المال، منها: قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴾ [ النساء : ٥ ] ، ﴿ وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا ﴾ (٢٦) إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿ (٢٧) ﴾ [الإسراء] ، ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ (٢٩) [الإسراء] ، ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ (٦٧) [ الفرقان ] .

وقوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص - وقد أراد أن يوصى بماله كله أو بثلثيه وهو في مرض الموت - قوله له : « ... فالثلث ، والثلث كثير، إنك أن تدع ورثتك أغنياء، خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس في أيديهم... » (١) .

= له عمر : « مة... » الحديث، وأورده المنذرى في: الترغيب والترهيب: كتاب الأدب: باب الترغيب في الصمت إلا عن خير ٥٣٤/٣ من حديث أسلم عن عمر، وعقب عليه بقوله : « رواه مالك، وابن أبي الدنيا، والبيهقي ».

(١) الحديث جزء حديث طويل أخرجه البخارى في: الصحيح: كتاب الجنائز: باب رثى النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن خولة ١٠٣/٢، وكتاب الوصايا : باب أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففوا الناس، وباب الوصية بالثلث ٣/٤، ٤، وكتاب مناقب الأنصار: باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم أمض لأصحابي هجرتهم »، ومرثيته لمن مات بمكة ٥/٨٧، ٨٨، وكتاب المغازي: باب حجة الوداع ٥/٢٢٥، وكتاب النفقات: باب منه ٧/٨٠، ٨١، وكتاب المرضى: باب قول المريض: إني وجع... ٧/١٥٥، وكتاب الدعوات: باب الدعاء برفع الوباء والوجع ٨/٩٩، وكتاب الفرائض: باب ميراث البنات ٨/١٨٧، ١٨٨، ومسلم في: الصحيح: كتاب الوصية: باب الوصية بالثلث ٣/١٢٥٠ - ١٢٥٣ رقم (٥ - ٩) ، وأبو داود في: السنن: كتاب الوصايا: باب ما جاء فيما يؤمر به من الوصية ٣/١١٢، ١١٣ رقم (٢٨٦٤)، والترمذي في: السنن: كتاب الجنائز: باب ما جاء في الوصية بالثلث والرابع ٣/٣٠٥، ٣٠٦ رقم (٩٧٥)، والنسائي في: السنن: كتاب الوصايا: باب الوصية بالثلث ٦/٢٤١ - ٢٤٤، وابن ماجه: في السنن: كتاب الوصايا: باب الوصية بالثلث ٢/٩٠٣، ٩٠٤ رقم (٢٧٠٨) ، والدارمي في: السنن: كتاب الوصايا : =

وحدث جابر بن عبد الله رضي الله عنه إذ يقول: بينما نحن عند رسول الله صلوات الله عليه إذ جاءه رجل بمثل البيضة من ذهب، فقال: يا رسول الله، خذها صدقة، فوالله لا أملك غيرها، فأعرض عنه رسول الله صلوات الله عليه: ثم أتاه من بين يديه، فقال: «هاتها» مغضبا، فأخذها منه، ثم حذفه بها بحيث لو أصابته لأوجعته ثم قال: «يأتيني أحدكم بماله لا يملك غيره، ثم يجلس يتكفف الناس، إنما الصدقة عن ظهر غنى، خذها لا حاجة لنا فيها» (١)، وغير ذلك كثير.

ولعل مما يعين على التصرف في المال بحكمة، وعدم إضاعته بإتلاف أو تبذير أو إنفاق في محرّم:

- ١- أن يتذكر المسلم أن المال هو عصب هذه الحياة، به قيامها واستمرارها، كما قال الحق تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ [النساء: ٥].
- ٢- وأن يستحضر أننا بإضاعتنا لأموالنا، وحفاظ أعدائنا على أموالهم صرنا رهينة لهم، وفريسة بين أيابهم، وفي قبضة أيديهم.
- ٣- وأن يوقن أنه مسئول عن هذا المال بين يدي الله تبارك وتعالى، كما قال سبحانه: ﴿ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ النَّعِيمَ﴾ [التكاثر: ٨]، وكما قال رسول الله صلوات الله عليه: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة، حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيما فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفق، وعن جسمه فيم أبلاه» (٢).
- ٤- وأن يقف على النصوص التي تأمر بالحفاظ على الأموال، وتحذر من إضاعتها على أي صورة من الصور.

= باب الوصية بالثلث ٤٠٧/٢، ومالك في: الموطأ: كتاب الأفضية: باب الوصية في الثلث لا يتعدى ص ٥٤١ رقم (١٤٥٢)، وأحمد في: المسند ١٧٦/١ كلهم من حديث سعد بن أبي وقاص مرفوعا، وعقب الترمذى على حديثه بقوله: «حديث سعد حديث حسن صحيح» وأوله كما عند البخارى في الجناز: أن سعدا قال: كان رسول الله صلوات الله عليه يعودنى عام حجة الوداع من وجع اشتد بى، فقلت: إني قد بلغ بى من الوجع، وأنا ذو مال، ولا يرئى إلا ابنة، أفأتصدق بثلثى مالى... الحديث.

(١) الحديث أخرجه أبو داود في: السنن: كتاب الزكاة: باب الرجل يخرج من ماله ١٢٨/٢ رقم (١٦٧٣)، والدارمى في: السنن: كتاب الزكاة: باب النهى عن الصدقة بجميع ما عند الرجل ٣٩١/١، كلاهما من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه مرفوعا.

(٢) الحديث أخرجه الترمذى في: السنن: كتاب صفة القيامة: باب في القيامة ٦١٢/٤ رقم (٢٤١٧) من حديث أبى برزة الأسلمى مرفوعا بهذا اللفظ، وعقب عليه بقوله: «هذا حديث حسن صحيح».

ما يستفاد من الحديث دعويا وتربويا :

يستفاد من الحديث دعويا وتربويا الفوائد التالية :

- ١- مجاهدة النفس حتى تصل إلى أعلى مراتب العبودية، من نبذ للشرك، والنزول على حكم الله ورسوله ، فى كل ما تأتى ، وما تذر.
- ٢- الحرص الشديد على لزوم الجماعة، فإنها طريق التمكين لمنهج الله فى الأرض، بل وحمايته من كيد الكائدين، وعبث العابثين.
- ٣- طاعة ولى الأمر فى كل الظروف وعلى كل الأحوال ، ما دامت فى المعروف ، إذ هى طريق العزة والسيادة، وصدق عبد الله بن المبارك إذ يقول:

الله يدفع بالسلطان معضلة      عن ديننا رحمة منه ورضوانا

لولا الأئمة لم يؤمن لنا سبل      وكان أضعفنا نهيا لأقوانا<sup>(١)</sup>

- ٤- اجتناب الوقوع فى القيل والقال، وكثرة السؤال، لما يترتب على ذلك من الشحناء والقطيعة والفرقة، الأمر الذى يكون معه الذل والهوان.
- ٥- الحفاظ على المال، وعدم إنفاقه إلا فيما يرضى الله، وفيما تكون به سعادة الفرد والجماعة.

- ٦- الاستمسك بهذا الدين، والعضّ عليه بالنواجذ، إذ هو الصراط المستقيم، الجامع لخيرى الدنيا والآخرة : ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٤٣) ﴿ [ الزخرف ] وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [ الزمر : ٥٥ ] .

- ٧- النزول على حكمه ﷺ فى كل ما تأتى وما ندع ، إذ حكمه ﷺ هو حكم الله ، ولم لا يكون كذلك وقد قال الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) ﴾ [ النجم ] ، ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [ الحشر : ٧ ] ، وقال رسول الله ﷺ فى حديث الباب : « أمركم بثلاث . . . وأنهاكم عن ثلاث . . . » .

(١) البيتان أوردهما الحافظ أبو نعيم فى حلية الأولياء ١٦٤/٨ ضمن قصيدة طويلة تكشف عن عقيدة ابن المبارك وفهمه العميق للإسلام ، وعنه نقل محمد عثمان جمال فى : (عبد الله بن المبارك الإمام القدوة ص ٢٨٥).

## الحديث الرابع والعشرون

قال رسول الله ﷺ:

« سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل ، وشاب نشأ في عبادة ربه ، ورجل قلبه معلق في المساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله ، ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه . »

تخريجه :

الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب الأذان: باب مَنْ جلس فى المسجد ينتظر الصلاة، وفضل المساجد ١/١٦٨، وكتاب الزكاة: باب الصدقة باليمين ٢/١٣٨، وكتاب الرقاق: باب البكاء من خشية الله ٨/١٢٥، ١٢٦، وكتاب الحدود: باب فضل مَنْ ترك الفواحش ٨/٢٠٣ من حديث أبى هريرة مرفوعا بهذا اللفظ فى الروایتين الأولى والثانية، ومقتصرًا على صنف البكائين فى الرواية الثالثة، وبتقديم بعض هذه الأصناف على بعض فى الرواية الأخيرة.

ومسلم فى: الصحيح: كتاب الزكاة: باب فضل إخفاء الصدقة ٢/٧١٥، ٧١٦ رقم (٩١) من حديث أبى هريرة على القطع مع تقديم اليمين على الشمال فى التخفى بالصدقة ومن حديث أبى سعيد وأبى هريرة على الشك .

والترمذى فى: السنن: كتاب الزهد: باب ما جاء فى الحبِّ فى الله ٤/٥٩٨، ٥٩٩ رقم (٢٣٩١) من حديث أبى هريرة أو أبى سعيد، وعقب عليه قائلا: « هذا حديث حسن صحيح، وهكذا روى هذا الحديث عن مالك بن أنس من غير وجه مثل هذا، وشك فيه، وقال: عن أبى هريرة أو عن أبى سعيد، وعبيد الله بن عمر، رواه عن جيب بن عبد الرحمن، ولم يشك فيه يقول عن أبى هريرة».

والنسائى فى: السنن: كتاب آداب القضاة: باب الإمام العادل ٨/٢٢٢، ٢٢٣ من حديث أبى هريرة بمثل رواية البخارى الأخيرة.

ومالك فى: الموطأ: باب ما جاء فى المتحايين فى الله ص ٦٧٩ رقم (١٧٣٣) من حديث أبى سعيد أو أبى هريرة بمثل رواية البخارى الأخيرة.

وأحمد فى: المسند ٤٣٩/٢ من حديث أبى هريرة، مع تقديم صنف: الذى ذكر الله خالياً ففاضت عيناه على: الذى تصدق بصدقة فأخفاها.

معناه:

يقرر الإسلام أن الحياة الدنيا إنما هى دار اختبار وابتلاء: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١].

وأن هذه الدنيا مهما طالَتْ فهى إلى زوال أو فناء، وأن الدار الآخرة هى دار القرار: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصر: ٨٨]، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧)﴾ [الرحمن: ٢٧]، ﴿وَإِنَّ الْآخِرَةَ لَهِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩)﴾ [غافر: ٣٩].

ويقرر كذلك أن الدار الآخرة ليست منقطعة أو منفصلة عن الحياة الدنيا، وإنما هى امتداد واستمرار لها، فما يكون فى هذه الحياة الدنيا ستظهر نتيجته هناك فى الدار الآخرة إن خيراً فخير، وإن شراً فشر: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)﴾ [الزلزلة: ٨]، وأن نعيم الدنيا مهما عظم فهو قليل فى جنب نعيم الآخرة، وأن تعب الدنيا مهما اشتد فهو يسير جداً فى جنب تعب الآخرة.

وأن على الإنسان أن يجاهد نفسه هنا فى هذه الحياة الدنيا، وأن يتحمل المشاق والمتاعب، وأن يستقيم على أمر الله حتى يظفر هناك غداً فى الآخرة براحة ونيعم مقيم ينسيانه كل مشقة وكل تعب، وإلا فسيلقى هناك من المشاق، والمتاعب، والعذاب ما يذوب وتتلاشى معه كل راحة وكل نعيم على نحو ما صوره رسول الله ﷺ إذ قال: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا بَنِي آدَمَ، هَلْ رَأَيْتُمْ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكُمْ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا بَنِي آدَمَ، هَلْ رَأَيْتُمْ بؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكُمْ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ، مَا مَرَّ بِي بؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُمْ شِدَّةً قَطُّ» (١).

(١) الحديث أخرجه مسلم فى: الصحيح: كتاب صفات المنافقين وأحكامهم: باب صبغ أنعم أهل الدنيا فى النار، وصبغ أشدهم بؤساً فى الجنة ٢١٦٢/٤ رقم ٥٥ (٢٨٠٧)، وأحمد فى: المسند ٢٠٣/٣، ٢٥٣، ٢٥٤ كلاهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً، واللفظ لمسلم.

والحديث الذى نحن بصدد شرحه وبيانه الآن : إنما هو دعوة إلى سبعة أصناف أو سبع طوائف من الناس أن يجاهدوا أنفسهم، فلا تغرّبهم الحياة الدنيا ولا يغرنهم بالله الغرور، وأن يلزموا هذه المجاهدة حتى تنتهى بهم الحياة الدنيا فيظفروا ويفوزوا غدا بالراحة والنعيم، حيث يظلمهم الله فى ظلّ عرشه يوم لا ظلّ إلا ظله، يوم : « تُدنى الشمس من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل، فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق، فمنهم من يكون إلى كعبه ومنهم من يكون إلى ركبته، ومنهم من يكون إلى حقويه<sup>(١)</sup>، ومنهم من يلجمه العرق إجماماً »<sup>(٢)</sup> .

\* فالإمام فى رعيته أو فى سلطانه لا بد أن يجاهد نفسه وأن يحملها حملاً على أن تلزم العدل والقسطاس المستقيم .

\* والشاب فى عنفوان شبابه وحيويته، وإلحاح الشهوة عليه، وإغراء البيئة له لا بد أن يجاهد نفسه، وأن يحملها حملاً على لزوم طريق الطاعة والعبودية وعدم التحول عنها بحال .

\* والمرء فى زحمة اشتغاله ومعالجته للحياة الدنيا لا بد أن يجاهد نفسه وأن يحملها على كثرة ولوج المساجد، بل والتعلق بها من حين يخرج منها حتى يعود إليها .

\* والمرء فى محبته لإخوانه فى الدين لا بد أن يجاهد نفسه وأن يحملها حملاً على أن تكون هذه المحبة اجتماعاً وتفرقاً لله، ولله وحده .

\* والمرء فى علاقته مع النوع الآخر من بنى جنسه لاسيما من كان ذا منصب وجمال لا بد أن يجاهد نفسه، وأن يحملها حملاً على أن تكون مراقبة الله والخوف منه هى أساس هذه العلاقة .

(١) إلى حقويه: يعنى: إلى وسطه، إذ الحقو فى الأصل هو: معقد الإزار أى الوسط. انظر: النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٢٤٥/١ .

(٢) الحديث أخرجه مسلم فى: الصحيح : كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها : باب فى صفة يوم القيامة، أعاننا الله على أهوالها ٢١٩٦/٤ رقم ٦٢ (٢٨٦٤)، والترمذى فى: السنن : كتاب صفة القيامة: باب ماجاء فى شأن الحساب والقصاص ٦١٤/٤، ٦١٥ رقم (٢٤٢١)، وأحمد فى: المسند ٣/٦، ٤ كلهم من حديث سليم بن عامر عن المقداد بن الأسود مرفوعاً، واللفظ لمسلم، وعقب الترمذى على روايته قائلاً: « هذا حديث حسن صحيح » .

✽ والمرء في صدقته لا بد أن يجاهد نفسه وأن يحملها حملاً على أن تكون هذه الصدقة في السرّ بحيث لو كانت شماله تعى وتعقل فإنها لاتعلم ما تصدق به اليمين .

✽ والمرء في خلوته لا بد أن يجاهد نفسه وأن يحملها حملاً على أن تكون ذاكرةً لربها ذكراً تدمع به عيناه، خوفاً من عقابه سبحانه، ورجاء في ثوابه .

ولقد سلك النبي ﷺ في حث هذه الأصناف السبعة على الالتزام بهذه الأخلاق، وتلك القيم والمبادئ مسلك الخبير المقرون بالوعد، الذي يحمل في طياته معنى الأمر، فقال : « سبعة يظلمهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه : إمام عادل . . . » ، وهو يريد : اعدلوا أيها الأئمة، والزموا أيها الشباب الطريق القويم منذ تصلون إلى البلوغ أو الحلم . . . لتكونوا في ظل عرش الرحمن يوم لا ظلّ إلا ظلّه .

سلك ﷺ ذلك ليلفت النظر إلى أن طبيعة المسلم الذي استقامت فطرته، وسلم عقله : طبيعة شفافة، شديدة الحساسية، حتى لكانها لا تحتاج في الدعوة إلى الامتثال والتنفيذ إلى الأوامر الصريحة الجازمة، وإنما يكفيها أن يشعر ولو من طرف بعيد أن هذا يرضى عنه الله ورسوله، فتمثل وتنفذ، وكأنما أمرت بذلك أمراً صريحاً، مع عدم المبالاة بما يمكن أن يقع بعد من متاعب ومشقات .

ولعمري إن هذا الأسلوب بديع في التربية والدعوة إلى الامتثال والتنفيذ يعدل أسلوب الأوامر الجازمة الصريحة إن لم يكن أسبق وأوفق، وحتى تبرز معالم الحديث بصورة أوضح، فإننا سنعرض له من عدة جوانب :

الجانب الأول : مفهوم العدد في قوله ﷺ : « سبعة يظلمهم الله . . . » وتحديد المراد بظلمه سبحانه الوارد في الحديث .

الجانب الثاني : المراد بالإمام ، وبالعادل وسر الدخول ضمن هذه الأصناف، مع بعض النصوص الأخرى الواردة في هذا الشأن، والعوامل التي تعين الإمام على العدالة .

الجانب الثالث : المرادُ بنشأة الشباب في عبادة الله ، وسرّ الدخول ، ضمن هذه الأصناف مع بعض النصوص الأخرى الواردة في هذا الشأن، والعوامل التي تساعد على النشأة في عبادة الله .

الجانب الرابع : المراد بتعلق القلب بالمساجد ، وسر الدخول ضمن هذه الأصناف ، مع بعض النصوص الأخرى الواردة فى هذا الشأن ، والعوامل التى تساعد على ذلك .

الجانب الخامس : المراد بالتحابّ فى الله اجتماعاً وتفريقاً ، وسرّ الدخول ضمن هذه الأصناف مع بعض النصوص الأخرى الواردة فى هذا الشأن ، والعوامل التى تساعد على ذلك .

الجانب السادس : المراد بالخوف من الله المانع من الوقوع فى الزنا ، وسرّ الدخول ضمن هذه الأصناف مع بعض النصوص الأخرى الواردة فى هذا الشأن ، والعوامل التى تساعد على ذلك .

الجانب السابع : المراد بعدم علم الشمال ما تنفق اليمين ، وسرّ الدخول ضمن هذه الأصناف ، مع بعض النصوص الأخرى الواردة فى هذا الشأن ، والعوامل التى تساعد على ذلك .

الجانب الثامن : المراد بذكر الله فى الخلوة ، وسرّ الدخول ضمن هذه الأصناف ، مع بعض النصوص الأخرى الواردة فى هذا الشأن ، والعوامل التى تساعد على ذلك .

ودونك البيان :

أولاً : مفهوم العدد فى قوله ﷺ : « سبعة يظلهم الله... » ، وتحديد المراد بظلّه سبحانه الوارد فى الحديث :

والعدد فى قوله ﷺ : « سبعة يظلهم الله... » لا مفهوم له ، بدليل أنّه جاءت أحاديث أخرى تحمل فى طياتها نفس هذا الثواب لأصناف أو لطوائف أخرى غير ما جاء فى هذا الحديث ، منها :

قوله ﷺ : « من أنظر معسراً أو وضع له أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله »<sup>(١)</sup> ، « مَنْ أَظَلَ رَأْسَ غَايِرٍ أَظَلَّهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ » ،

(١) الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الزهد والرفائق : باب حديث جابر الطويل ، وقصة أبى اليسر ٣٣٠١/٤ ، ٣٣٠٢ ، رقم ٧٤ (٣٠٠٦) من حديث عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت مرفوعاً ، والترمذى فى : السنن : كتاب البيوع : باب ما جاء فى إنظار المعسر والرفق به ٥٩٩/٣ رقم (١٣٠٦) من حديث أبى هريرة مرفوعاً بهذا اللفظ ، وعقب عليه قائلًا : « وفى الباب عن أبى اليسر وأبى قتادة ، وحذيفة ، وابن مسعود ، وعبادة ، وجابر ، وحديث أبى هريرة حديث حسن صحيح غريب من هذا =

«مَنْ جَهَّزَ غَازِيَا حَتَّى يَسْتَقِلَّ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ»<sup>(١)</sup>، «مَنْ أَعَانَ مَجَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ غَارِمًا فِي عَسْرَتِهِ أَوْ مَكَاتِبًا فِي رَقَبَتِهِ أَظَلَّهُ اللَّهُ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»<sup>(٢)</sup>، «التاجر الصدوق تحت ظلّ العرش يوم القيامة»<sup>(٣)</sup> حتى بلغ بها الحافظ ابن حجر عشر خصال ، انتقى منها سبعة بأسانيد جياد<sup>(٤)</sup> .

وظلّه سبحانه للأصناف الواردة في الحديث، قيل: المراد به: كرامته وحمايته لهؤلاء، كما يقال: فلان في ظلّ الملك وقيل: المراد به ظلّ عرشه بدليل حديث سلمان: «سبعة يظلّهم الله في ظلّ عرشه . . .»<sup>(٥)</sup> الحديث ، والقول الثاني هو الراجح - وقد

= الوجه»، وابن ماجه في: السنن : كتاب الصدقات : باب إنتظار المعسر ٨٠٨/٢ رقم (٢٤١٩) من حديث أبي اليسر مرفوعاً بلفظ: « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَظْلَهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، فَلْيَنْظُرْ مَعْسُراً أَوْ لِيَضَعْ لَهُ »، والدارمي في: السنن : كتاب البيوع : باب فيمن أنظر معسراً ٢٦١/٢، ٢٦٢ من حديث ربي أبي اليسر، وأبي قتادة به، وبنحوه، وأحمد في: المسند ٣٥٩/٢ من حديث أبي هريرة مرفوعاً .

(١) الحديث أخرجه أحمد في: المسند ٢٠/١، ٥٣، والحاكم في: المستدرک: كتاب الجهاد : باب فضيلة إعانة المجاهد ٨٩/٢ كلاهما من حديث عمر بن الخطاب مرفوعاً به، وأورده الهيثمي في: مجمع الزوائد: كتاب الجهاد : باب إعانة المجاهدين ٢٨٤/٥ عن عمر بن الخطاب ، وعقب عليه قائلًا: « قلت: روى ابن ماجه طرفاً من آخره ، رواه أحمد ، وأبو يعلى ، والبخاري ، وصالح بن معاذ شيخ البزار لم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات ، وإسناد أحمد منقطع ، وفيه ابن لهيعة » ، وأوماً إليه ابن حجر في شرحه لحديث الباب : « سبعة يظلهم الله في ظلّه . . . » ١٤٤/٢ قائلًا : « فأما إطلال الغازي ، فرواه ابن حبان وغيره من حديث عمر » وحكم عليه مع طائفة أخرى من الأحاديث بقوله : « وقد انتقت منها سبعة وردت بأسانيد جياد » .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في: المسند ٤٨٧/٣، والحاكم في: المستدرک: كتاب الجهاد : باب فضيلة إعانة المجاهد ٨٩/٢ ، ٩٠ كلاهما من حديث عبد الله بن سهل بن حنيف عن أبيه مرفوعاً به ، وأورده الهيثمي في: مجمع الزوائد: كتاب الجهاد: باب إعانة المجاهدين ٢٨٣/٥ من حديث سهل بن حنيف بهذا اللفظ، وعقب عليه بقوله: « رواه أحمد والطبراني ، وفيه عبد الله بن سهل بن حنيف، ولم أعرفه وعبد الله بن محمد بن عقيل حديثه حسن » ، وأوماً إليه ابن حجر في شرحه لحديث الباب: « سبعة يظلهم الله في ظلّه . . . » ١٤٤/٢ قائلًا : « وأما عون المجاهد فرواه أحمد، والحاكم من حديث سهل بن حنيف، وأما إرفاد الغارم، وعون المكاتب فرواهما أحمد والحاكم من حديث سهل بن حنيف المذكور » وحكم عليه ضمن طائفة أخرى من الأحاديث بقوله : « وقد انتقت منها سبعة وردت بأسانيد جياد » .

(٣) الحديث أورده المنذرى في: الترغيب والترهيب : كتاب البيوع وغيرها : باب ترغيب التجار في الصدق . . . ٥٨٥/٢ عن أنس بهذا اللفظ، وعقب عليه بقوله: « رواه الأصبهاني وغيره » وأورده ابن حجر في الفتح ضمن الطائفة التي انتقاها بأسانيد جياد ١٤٤/٢ قائلًا : « وأما التاجر الصدوق فرواه البيهقي في شرح السنة من حديث سلمان، وأبو القاسم التيمي من حديث أنس » .

(٤) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ١٤٤/٢ .

(٥) الحديث أورده ابن حجر في: فتح الباري ١١٤/٢، وعزه إلى سعيد بن منصور عن سلمان، وقال عنه : « إسناده حسن » .

اعتمده ابن حجر وبه جزم القرطبي - لأنَّهم إذا كانوا يوم القيامة في ظل عرشه سبحانه لزم أن يكونوا في كنفه، وفي كرامته دون العكس<sup>(١)</sup>؛ وأيضاً لأن الأصل في الكلام أن يكون على الحقيقة، ولا يصرف عن الحقيقة إلى المجاز إلا لمانع أو قرينة، ولا مانع هنا ولا قرينة.

ثانياً: المراد بالإمام، وبالعادل، وسرُّ الدخول ضمن هذه الأصناف، مع بعض النصوص الأخرى الواردة في هذا الشأن، والعوامل التي تعين الإمام على العدالة:

والمراد بالإمام: صاحب الولاية العظمى - كما قال الحافظ ابن حجر - ويلتحق به كل مَنْ ولى من أمور المسلمين فعدل فيه، ويؤيده رواية الإمام مسلم من حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص - رفعه: « إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عزَّ وجلَّ، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم، وأهليهم وما ولُّوا»<sup>(٢)</sup>.  
والمراد بالعادل: الذي يتبع أمر الله بوضع كل شيء في موضعه من غير إفراط ولا تفريط<sup>(٣)</sup>.

وإنما قدمه في الذكر لعموم النفع به، إذ « ما يزع الله بسطان أعظم مما يزع<sup>(٤)</sup> بالقرآن»<sup>(٥)</sup>، كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ ولأنَّه بصلاح الإمام تصلح الأمة وبفساده تفسد.

وسرُّ الدخول ضمن هذه الأصناف: أنَّ منصب الإمامة له إغراء وبريق وسطوة وجبروت، فضلاً عما يصنعه له أعوان وبطانة السوء من تزيين الفحشاء والمنكر، فإذا ما جاهد الإمام نفسه وخالف هؤلاء وأولئك، وتحجَّى العدل في كلِّ شيء، فإنَّه يكون

(١) انظر: فتح الباري ٢/١٤٤.

(٢) الحديث أخرجه مسلم في: الصحيح: كتاب الإمارة: باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر ٣/٤٥٨ رقم ١٨ (١٨٢٧)، والنسائي في: السنن: كتاب آداب القضاء: باب فضيلة الحاكم العادل في حكمه ٨/٢٢١، ٢٢٢، وأحمد في: المسند ٢/١٥٩، ١٦٠، ٢٠٣ كلهم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً، واللفظ لمسلم.

(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر ٢/١٤٥.

(٤) يزع الله سلطان: أى يكف ويمنع، يقال: وزَّعَه، يَزَعُه، وزَّعاً فهو وزَّع إذا كَفَّه ومنعه، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٤/٢٠٨.

(٥) الأثر أورده علاء الدين المتقى الهندي في: كنز العمال: كتاب الخلافة مع الإمارة: الباب الثاني في الإمارة وتوابعها من قسم الأفعال: ترغيب الإمارة ٥/٧٥١ رقم (١٤٢٨٤) وعزاه إلى الخطيب عن عمر موقوفاً به.



الإمام جنة يُقاتل من ورائه ويتقى به، فإن أمر بتقوى وعدل فإن له بذلك أجراً، وإن أمر بغير ذلك فإن عليه وزراً»<sup>(١)</sup>، «صنفان من أمتي لن ينالهما شفاعتي: إمام ظلوم غشوم، وكل غال مارق»<sup>(٢)</sup>، «رجلان من أمتي لا تنالهما شفاعتي: سلطان ظلوم غشوم، وآخر غال في الدين، مارق منه»<sup>(٣)</sup>، وفي رواية: «صنفان من أمتي لا تنالهما شفاعتي: سلطان ظلوم غشوم، وغال في الدين يشهد عليهم، ويتبرأ منهم»<sup>(٤)</sup>، «إن الله مع الحاكم ما لم يجر، فإذا جار وكله إلى نفسه»<sup>(٥)</sup>.

«إذا حكمتهم فاعدلوا، وإذا قتلتم فأحسنوا، فإن الله عزّ وجلّ محسن يحب المحسنين... إلخ»<sup>(٦)</sup>.

ولعل مما يعين الإمام على تحمُّر العدالة في مهمته على ظهر هذه الأرض عدة عوامل، أهمها:

١ - أن يتذكر أنه مسئول بين يدي الله عزّ وجلّ غداً عن كل واحد في رعيته إذ يقول عَلَى رَأْسِهِ: «ألا كلِّكم راع، وكلِّكم مسئول عن رعيته، فالإمام الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته، والمرأة

= الأحكام: باب من استرعى رعية فلم ينصح ٨٠/٩، ومسلم في: الصحيح: كتاب الإيمان: باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار ١٢٥/١، ١٢٦، رقم (٢٢٧، ٢٢٩)، وكتاب الإمارة: باب فضيلة الإمام العادل... ١٤٦٠/٣، ١٤٦١، رقم (٢١، ٢٢)، كلاهما من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه مرفوعاً.

(١) الحديث جزء حديث أورده البخاري في: الصحيح: كتاب الجهاد: باب يُقاتل من وراء الإمام ويتقى به ٦٠/٤، ٦١، ومسلم في: الصحيح: كتاب الإمارة: باب الإمام جنة يُقاتل به من ورائه ويتقى به... ١٤٧١/٣، رقم (٤٣)، وأبو داود في: السنن: كتاب الجهاد: باب في الإمام يستجن به في اليهود ١٨٨/٣، ١٨٩، رقم (٢٧٥٧)، والنسائي في: السنن: كتاب البيعة: باب ما يجب للإمام، وما يجب عليه ١٥٥/٧، ١٥٦، كلهم من حديث أبي هريرة مرفوعاً، واللفظ للنسائي.

(٢) الحديث أورده الهيثمي في: مجمع الزوائد: كتاب الخلافة: باب في أئمة الظلم والجور، وأئمة الضلالة ٢٣٥/٥ من حديث ابن عباس مرفوعاً، وعقب عليه بقوله: «رواه الطبراني في الكبير والأوسط، ورجال الكبير ثقات».

(٣) الحديث بروايته أورده الهيثمي في: مجمع الزوائد: كتاب الخلافة: باب أئمة الظلم، والجور، وأئمة الضلالة ٢٣٥/٥، ٢٣٦ من حديث معقل بن يسار مرفوعاً، وعقب عليه بقوله: «رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما متين، قال ابن عدي: له أفراد، وأرجو أنه لا بأس به، وبقيّة رجال الأول ثقات».

(٤) الحديث أخرجه الترمذي في: السنن: كتاب الأحكام: باب ما جاء في الإمام العادل ٦١٨/٣، رقم (١٣٣٠)، وابن ماجه في: السنن: كتاب الأحكام: باب التغليظ في الحيف والرشوة ٧٧٥/٢، رقم (٢٣١٢) كلاهما من حديث عبد الله بن أبي أوفى مرفوعاً لكن بلفظ: «القاضي» بدل: «الحاكم»، وعقب الترمذي على حديثه قائلاً: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عمران القطان».

(٦) الحديث أورده الهيثمي في: مجمع الزوائد: كتاب الخلافة: باب في العدل والجور ١٩٧/٥ من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً، وعقب عليه بقوله: «رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله ثقات».

راعية على أهل بيت زوجها وولده وهى مسئولة عنهم، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته»<sup>(١)</sup>.

٢- وأن يتذكر عواقب كل من العدل والجور فى الدنيا والآخرة . إذ بالعدل يدوم الملك، وبالجور يقوِّض هذا الملك كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى: «إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة»<sup>(٢)</sup>، وكما جاء فى الحكم: «أحق الناس بدوام الملك وباتصال الولاية أقسطهم بالعدل فى الرعية وأخفهم عنها كلاً، ومؤونة»<sup>(٣)</sup> وكما جاء فى الأمثال: «من جعل العدل عدَّةً طالَّت به المدَّة»<sup>(٤)</sup>.

وبالعدل يجاب الدعاء ، وبالجور يرد هذا الدعاء كما قال ﷺ: « ثلاثة لا ترد دعوتهم، الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، وتفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب : وعزتى وجلالى لأنصرتك ولو بعد حين »<sup>(٥)</sup>.

(١) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب الجمعة: باب الجمعة فى القرى والمدن ٦/٢، وكتاب الجنائز: باب قول النبي ﷺ: « يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه » إذا كان النوح من سنته ٢ / ١٠٠ معلقاً، وكتاب الاستقراض: باب العبد راع فى مال سيده، ولا يعمل إلا بإذنه ٣/١٥٧، ١٥٨، وكتاب العتق: باب كراهية التطاول على الرقيق، وباب العبد راع فى مال سيده ٣ / ١٩٦، ١٩٧، وكتاب الوصايا: باب تأويل قول الله تعالى: ﴿مَنْ بَعَدَ وَصِيَّةً يَوْصِي بِهَا أَوْ دِينَ﴾ ٦/٤، وكتاب النكاح: باب ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾، وباب المرأة راعية فى بيت زوجها ٧/٣٤، ٤١، وكتاب الأحكام: باب قول الله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ ٩/٧٧، ومسلم فى: الصحيح: كتاب الإمارة: باب فضيلة الإمام العادل ٣/١٤٥٩، ١٤٦٠ رقم (٢٠)، وأبو داود فى: السنن: كتاب الخراج والإمارة والفتىء: باب ما يلزم الإمام من حق الرعية ٣/٣٤٢، ٣٤٣ رقم (٢٩٢٨)، والترمذى فى: السنن: كتاب الجهاد: باب ما جاء فى الإمام ٤/٢٠٨ رقم (١٧٠٥)، وأحمد فى: المسند ٢/٥، ٥٤، ٥٥، ١٠٨، ١١١، ١٢١ كلهم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً، وعقب الترمذى على حديثه بقوله: « وحديث ابن عمر حديث حسن صحيح ».

(٢) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٨/١٤٦.

(٣) انظر: فصول فى الإمارة والأمير للشيخ سعيد حوى ص ١٣٧.

(٥) الحديث أخرجه الترمذى فى: السنن: كتاب صفة الجنة: باب ما جاء فى صفة الجنة ونعيمها ٤/٦٧٢، ٦٧٣ رقم (٢٥٢٦)، وابن ماجه فى: السنن: كتاب الصيام: باب فى الصائم لا ترد دعوته ١/٥٥٧ رقم (١٧٥٢) كلاهما من حديث أبى هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، وعقب الترمذى على حديثه قائلاً: « هذا حديث ليس إسناده بذاك القوى، وليس هو عندى بمتصل، وقد روى هذا الحديث بإسناد آخر، عن أبى مدله عن أبى هريرة عن النبي ﷺ »، والإسناد الآخر الذى يشير إليه الإمام الترمذى ذكرناه آنفاً عن ابن ماجه.

وبالعدل تملك سرائر الرعية، ويكون الصدق في النصيحة، وبالجور تملك الأجساد فقط، ويكون التملق والنفاق، فقد قالوا: «مَنْ قام من الملوك بالعدل والحق ملك سرائر رعاياه، وَمَنْ قام فيهم بالجور والقهر لم يملك إلا الأجساد، ولم ير إلا المتصنع، والقلوب عليه مختلفة، فإن السرائر تطلب مَنْ يملكها بالإحسان»<sup>(١)</sup>.

وبالعدل تكون المحبة من الله والراحة يوم القيامة، وبالجور يكون البغض من الله والتعب في هذا اليوم كما جاء في حديث الباب: «سبعة يظلمهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه: إمام عادل...»، وحديث: «ما من أمير عشرة إلا يؤتى يوم القيامة مغلولاً...»<sup>(٢)</sup>.

وبالعدل تكون الجنة، وبالجور تكون النار: «أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قرىبى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال»<sup>(٣)</sup>.

وبالعدل تكون شفاعته ﷺ، وبالجور يكون الحرمان من هذه الشفاعة: «رجلان من أمتى لا تنالهم شفاعتى، إمام ظلوم غشوم...»<sup>(٤)</sup>.

وبالعدل تكون المعية والعون والمدد الربانى، وبالجور يكون الخذلان والترك إلى النفس: «إن الله مع الحاكم ما لم يجر...»<sup>(٥)</sup>.

٣- وأن يديم النظر والسماع لأخبار السلف، وكيف كان حرصهم على العدل، وتحريهم له، واهتمامهم به، كما فى سيرة الخلفاء الراشدين وسيرة الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز، وأمير المؤمنين هارون الرشيد، وعماد الدين زكى، ونور الدين محمود، وصلاح الدين الأيوبي، وغيرهم وغيرهم فإنها غاصّة بالكثير النافع فى هذا الباب الذى يحمل على الاقتداء والتأسى أو على الأقل يحمل على معنى المحاكاة والتشبه.

(١) انظر: فصول فى الإمرة والأمير للشيخ سعيد حوى ص ١٣٨.

(٢) الحديث سبق تخريجه ص ٩٨.

(٣) الحديث أخرجه مسلم فى: الصحيح: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها: باب الصفات التى يعرف بها فى الدنيا أهل الجنة، وأهل النار ٤/٢١٩٧، ٢١٩٨ رقم ٦٣ (٢٨٦٥)، وأحمد فى: المسند ٤/١٦٢ كلاهما من حديث عياض بن حمار المجاشعى مرفوعاً.

(٤) (٥، ٤) الحديثان سبق تخريجهما ص ٩٩.

ثالثاً : المراد بنشأة الشاب في عبادة الله، وسرّ الدخول ضمن هذه الأصناف مع بعض النصوص الأخرى الواردة في هذا الشأن، والعوامل التي تساعد على النشأة في عبادة الله :

والمراد بنشأة الشاب في عبادة الله : أن فطرته بقيت سليمة لم تدنسها المعصية ولم تفسدها الأهواء، والشهوات ، حتى أفنى شبابه ونشاطه في عبادة الله .

وسرّ دخوله ضمن هذه الأصناف : أن الشباب مظنة غلبة الشهوة لما فيه من قوة الباعث على متابعة الهوى، فإذا لازم العبادة مع ذلك كان هذا دليلاً على المجاهدة، وغلبة التقوى، واستحق أن يكافأ بالدخول ضمن هذه الأصناف<sup>(١)</sup> .

هذا وقد وردت نصوص أخرى في فضل النشأة في عبادة الله نذكر منها :

قوله ﷺ : « إن الله عزّ وجلّ ليعجب من الشاب ليست له صبوة<sup>(٢)</sup> »<sup>(٣)</sup> ، « ما من ناشئ ينشأ في العبادة حتى يدركه الموت إلا أعطاه الله أجر تسعة وتسعين صديقاً<sup>(٤)</sup> » ، « من شاب شيبة في الإسلام كانت له نورا يوم القيامة<sup>(٥)</sup> » ، « من عمّره الله تبارك وتعالى أربعين سنة في الإسلام صرف الله عنه أنواعا من البلايا : الجزام، والبرص، وحنق الشيطان<sup>(٦)</sup> » ، « ومن عمّره الله خمسين سنة في الإسلام لين الله عليه الحساب - وفي رواية : هوّن الله عليه الحساب يوم القيامة - ومن عمّره الله ستين سنة في

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر ١٤٥/٢ بتصرف .

(٢) ليست له صبوة: يعني: ميل إلى الهوى. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٢٥٢/٢ .

(٣) الحديث أخرجه أحمد في: المسند ١٥١/٤، وأبو يعلى في: المسند ٢٨٨/٣ رقم (١٧٤٩)، وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف، وأورده الهيثمي في: مجمع الزوائد: كتاب الزهد: باب فيمن لا صبوة له، ومن ينشأ في العبادة ٢٧٠/١٠ وعقب عليه بقوله: « رواه أحمد وأبو يعلى، والطبراني، وإسناده حسن » .

(٤) الحديث أورده الهيثمي في: مجمع الزوائد: كتاب الزهد: باب فيمن لا صبوة له، ومن ينشأ في العبادة ٢٧٠/١٠ من حديث أبي أمامة، وعقب عليه بقوله: « رواه الطبراني في الأوسط والكبير بنحوه، وفيه يوسف بن عطية الصقار وهو ضعيف جدا » .

(٥) الحديث أخرجه الترمذی في: السنن: كتاب فضائل الجهاد ١٧٢/٤، ١٧٣، رقم (١٦٣٤) من حديث كعب ابن مرة، ورقم (١٦٣٥) من حديث عمرو بن عبسة وقال: « هذا حديث حسن صحيح غريب »، والنسائي في: السنن: كتاب الجهاد: باب ثواب من رمى بسهم في سبيل الله عزّ وجلّ ٢٦/٦ - ٢٨ رقم (٣١٤٢، ٣١٤٤، ٣١٤٥) من حديث عمرو بن عبسة وكعب بن مرة، وأحمد في: المسند ١١٣/٤ ، ٣٨٦ من حديث عمرو بن عبسة .

(٦) حنق الشيطان: يعني غيظه، وحنقه. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٢٦٥/١ .

الإسلام رزقه الله الإنابة إليه بما يحبُّ الله، وَمَنْ عَمَّرَهُ اللهُ سَبْعِينَ سَنَةً فِي الْإِسْلَامِ أَحَبَّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ وَأَهْلُ الْأَرْضِ، وَمَنْ عَمَّرَهُ اللهُ ثَمَانِينَ سَنَةً فِي الْإِسْلَامِ مَحَى اللهُ سَيِّئَاتِهِ، وَكُتِبَ حَسَنَاتِهِ - وَفِي رِوَايَةٍ: كُتِبَ اللهُ حَسَنَاتِهِ، وَلَمْ يَكُتَبْ سَيِّئَاتِهِ - وَمَنْ عَمَّرَهُ اللهُ تِسْعِينَ سَنَةً فِي الْإِسْلَامِ غُفِرَ اللهُ لَهُ ذُنُوبُهُ، وَكَانَ أَسِيرَ اللهِ فِي أَرْضِهِ، وَشَفِيْعًا لِأَهْلِ بَيْتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - وَفِي رِوَايَةٍ: وَشَفَعَ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ<sup>(١)</sup> إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ النَّصُوصِ.

ويساعد الشاب على النشأة في عبادة الله أو في طاعته أمور، نذكر منها :

١- صفاء المحضن القريب ونعنى به: البيت، والمحضن البعيد ونعنى به: المدرسة والمجتمع، بحيث لا يرى الشاب، ولا يسمع، ولا يشم، ولا يلمس، ولا يتذوق إلا الإسلام، والإسلام وحده، ولعل هذا هو المفهوم من قوله ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبْوَاهُ يَهُودًا أَوْ نَصْرَانًا، أَوْ يَمَجْسَانًا، كَمَا تَنْتَجِجُ الْبَهِيمَةُ بِبَهِيمَةٍ جَمْعَاءَ، هَلْ تَحْسُونُ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ...» الحديث<sup>(٢)</sup>، وقوله: «مِثْلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ كَحَامِلِ الْمَسْكَ وَنَافِخِ الْكَبِيرِ. فَحَامِلِ الْمَسْكَ إِمَّا أَنْ يَحْذِيكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخِ الْكَبِيرِ إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»<sup>(٣)</sup>.

(١) الحديث أورده الهيثمي في: مجمع الزوائد : كتاب التوبة: باب فيمن طال عمره من المسلمين ١٠/٢٠٥ من حديث أنس بن مالك، وعزاه إلى البرزق قائلا: «رواه البرزق بإسنادين، ورجال أحدهما ثقات».

(٢) الحديث أخرجه البخاري في: الصحيح: كتاب الجنائز: باب إذا أسلم الصبي فمات ١١٨/٢، ١١٩، وكتاب التفسير: سورة الروم: باب ﴿لَا تَبْدِيلَ لَخَلْقِ اللَّهِ﴾ ١٤٣/٦، وكتاب القدر: باب الله أعلم بما كانوا عاملين ١٥٣/٨، ومسلم في: الصحيح: كتاب القدر: باب معنى كل مولود يولد على الفطرة... ٤/٢٠٤٧ - ٢٠٤٩ رقم (٢٦٥٨)، وأبو داود في: السنن: كتاب السنة: باب في ذراري المشركين ٨٦/٥ - ٨٨، والترمذي في: السنن: كتاب القدر: باب ما جاء كل مولود يولد على الفطرة ٤/٤٤٧ رقم (٢١٣٨)، وأحمد في: المسند ٢/٢٣٣، ٢٥٣، ٢٧٥، ٢٨٢، ٣١٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٤١٠، ٤٨١ كلهم من حديث أبي هريرة مرفوعا، وعقب الترمذي على حديثه بقوله: «هذا حديث حسن صحيح».

(٣) الحديث أخرجه البخاري في: الصحيح: كتاب البيوع: باب في العطار وبيع المسك ٨٢/٣، وكتاب الذبائح: باب المسك ٧/١٢٥، ومسلم في: الصحيح: كتاب البر والصلة، والآداب: باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء ٤/٢٠٢٦ رقم (٢٦٢٨)، وأبو داود في: السنن: كتاب الأدب: باب من يؤمر أن يجالس ١٦٦/٥، ١٦٧، وأحمد في: المسند ٤/٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٨ كلهم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعا إلا أبا داود فإنه عنده من حديث أنس بن مالك، وفي أوله زيادة: «مثل الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة...» الحديث.

٢- وقيامُ هذين المحضنين بواجبهما في: التوجيه والإرشاد، والمتابعة حتى يشبُّ الشبابُ عن الطُّوق، وتصبح لديهم الحصانة الكافية التي تحميهم من السقوط أو الانحراف: «ألا كلِّم راع، وكلِّم مسئول عن رعيته...» الحديث<sup>(١)</sup>.

٣- ويقظةُ ولى الأمر أو السلطان في متابعة هذين المحضنين في القيام بواجبهما، وحمايتهما من أن يتطرق إليهما الشرُّ أو الفساد، فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

٤- والتبصير بفوائد العبادة أو الطاعة منذ النشأة في الدنيا والآخرة، إذ بها تكون الصِّحة والعافية في الدنيا ولاسيما في الكبر، وبها تكون الراحة والطمأنينة القلبية، والهداية والتوفيق، والنصر والتأييد، أما في الآخرة فتكون النجاة، والفوز بجنةٍ من الله ورضوان.

٥- والمطالعة الدائمة لسير الشباب المسلم المجاهد من عصر الصحابة إلى يومنا هذا، كسيرة ابن الزبير، وابن عباس، وابن عمر، وابن عمرو بن العاص، وأسامة بن زيد، والنعمان بن بشير، والحسن والحسين ابنا علي بن أبي طالب، ويحيى بن معاذ الرازي، وابن أبي حاتم الرازي، والنووي، وابن تيمية وغيرهم... وغيرهم من شباب هذه الأمة المسلم المجاهد، فإن ذلك له دور كبير في الاقتداء والتأسي أو على الأقل المحاكاة، والتشبه.

رابعا: المراد بتعلق القلب بالمساجد، وسرُّ الدخول ضمن هذه الأصناف، مع بعض النصوص الأخرى الواردة في هذا الشأن، والعوامل التي تساعد على ذلك:

وتعلق القلب بالمساجد: كناية عن حبِّ المساجد حتى وإن كان الجسد خارجا عنها، ولولا أن الله قال: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾ [الجمعة: ١٠]، ما ترك هذه المساجد ولاخرج عنها.

وسرُّ الدخول ضمن هذه الأصناف: أن الخروج من المسجد مظنةً التعلق بالحياة الدنيا لما لها من بريقٍ أخاذ، ونسيان المسجد الذي هو محل ذكر الله والدار الآخرة، فإذا ما بقي القلب معلقا بالمسجد حتى بعد الخروج منه كان ذلك دليلا على استحياء صاحبه

(١) الحديث سبق تخريجه ص ٩٧ ، ٩٨ .

من ربّه، ومجاهدته لنفسه وهواه فاستحقَّ أن يكون ضمن هذه الأصناف في ظلِّ عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله.

هذا وقد وردت نصوص أخرى في فضل التعلُّق بالمساجد نذكر منها:

قوله ﷺ: « ما توطَّن رجل المساجد<sup>(١)</sup> للصلاة والذكر إلا تبشَّش<sup>(٢)</sup> الله تعالى إليه كما يتبشَّش أهل الغائب بغائبهم إذا قدم عليهم<sup>(٣)</sup>، « المسجد بيت كل تقى، وتكفَّل الله لمن كان المسجد بيته بالروح، والرحمة، والجواز على الصراط إلى رضوان الله إلى الجنة<sup>(٤)</sup>، « أبشروا، هذا ربكم قد فتح باباً من أبواب السماء يباهى بكم الملائكة، يقول: انظروا إلى عبادي قد قضوا فريضة، وهم ينتظرون أخرى<sup>(٥)</sup>، إلى غير ذلك من النصوص.

ويساعد المسلم على أن يظلَّ قلبه معلقاً بالمسجد وإن خرج منه بجسده عدة أمور،

نذكر منها :

١- تذكر الخير الذي يعود عليه من وراء ارتباطه بالمسجد وتعلُّق قلبه به، إذ ورد أن «من أدمن الاختلاف إلى المساجد أصاب أخصاً مستفاداً في الله عزَّ وجلَّ، وعلماً

(١) توطَّن رجل المساجد : أى : اتخذها وطناً بمعنى ألف الذهاب إليها ، وتعلُّق قلبه بها بقصد العبادة من تسبيح وتحميد وتهليل وصلاة وقراءة قرآن وغير ذلك .

(٢) تبشَّش : يعنى فرح . انظر : النهاية فى غريب الحديث والأثر ١ / ٨٠ .

(٣) الحديث : أخرجه ابن ماجه فى : السنن : كتاب المساجد والجماعات : باب لزوم المساجد وانتظار الصلاة ٢ / ٢٦٢ من حديث أبى هريرة مرفوعاً ، وعقب عليه البوصيرى فى : مصباح الزجاجاة ١ / ١٠٢ بقوله : «هذا إسناد صحيح» ، وأورده المنذرى فى : الترغيب والترهيب : كتاب الصلاة : باب الترغيب فى لزوم المساجد والجلوس فيها ١ / ٢١٨ من حديث أبى هريرة مرفوعاً وعقب عليه بقوله : « رواه ابن أبى شيبة ، وابن ماجه ، وابن خزيمة ، وابن حبان فى صحيحهما ، والحاكم ، وقال : صحيح على شرط الشيخين .»

(٤) الحديث أورده المنذرى فى : الترغيب والترهيب : كتاب الصلاة : باب الترغيب فى لزوم المساجد والجلوس فيها ١ / ٢٢٠ - ٢٢٢ من حديث أبى الدرداء ، وعقب عليه بقوله : « رواه الطبرانى فى الكبير ، والأوسط ، والبيزار ، وقال : إسناده حسن : وهو كما قال رحمه الله تعالى ، « كما أورده الهيثمى فى : مجمع الزوائد : كتاب الصلاة : باب لزوم المساجد ٢ / ٢٢ وعزاه قائلاً : « رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط ، والبيزار ، وقال : إسناده حسن » ثم عقب على كلام البيزار بقوله : « قلت : ورجال البيزار كلهم رجال الصحيح .»

(٥) الحديث أخرجه ابن ماجه فى : السنن : كتاب المساجد والجماعات : باب لزوم المساجد وانتظار الصلاة ١ / ٢٦٢ رقم ( ٨٠١ ) من حديث عبد الله بن عمرو قال : صلينا مع رسول الله ﷺ المغرب ، فرجع من رجوع ، وعقب من عقب ، فجاء رسول الله ﷺ مسرعاً قد حفزه النفس وقد حسر عن ركبته فقال : « أبشروا . . . » الحديث ، وعقب عليه الشهاب البوصيرى فى : مصباح الزجاجاة ١ / ١٠٢ بقوله : « هذا إسناد رجاله ثقات ، كما أخرجه أحمد فى : المسند ٢ / ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٢٠٨ من حديث عبد الله بن عمرو .

مستظرفا، وكلمة تدعوه إلى الهدى، وكلمة تصرفه عن الردى، وترك الذنوب حياة وخشية، أو نعمة أو رحمة منتظرة»<sup>(١)</sup> هذا في الدنيا، وفي الآخرة الجواز على الضراط إلى رضوان الله إلى الجنة مع الاستغلال بظله سبحانه يوم لا ظل إلا ظله.

٢- دوام ذكر الله تعالى ومراقبته، فإن ذلك يبقى القلب معلقا بالمسجد الذي هو موطن الذكر، والضراعة.

٣ - النظر في سيرة السلف وكيف كان تعلقهم بالمساجد وحبهم لها ، حتى لو خلى بين أحدهم، وبين أن يقضى عمره كله في المساجد لفعل من شدة التعلق والحب.

خامسا : المراد بالتحاب في الله اجتماعا وتفرقا ، وسرُّ الدخول ضمن هذه الأصناف ، مع بعض النصوص الأخرى الواردة في هذا الشأن والعوامل التي تساعد على ذلك :

والمراد بالتحاب في الله اجتماعا وتفرقا : أن هذا التحاب دام بينهما ولم يقطع بعارض دنيوى ، سواء اجتماعا حقيقة أم لا حتى فرّق الموت بينهما<sup>(٢)</sup> ، وفى ذلك يقول الشيخ مصطفى عمارة المعلق على أحاديث الترغيب والترهيب :

«رجلان تمكنتُ بينهما أو اصر المحبة الصادقة ، والصدقة المتينة الخالصة لله من شوائب النفاق، وابتغاء النفع، لا يؤثر فيها غنى، ولا فقر، ولا تزيدها الأيام إلا وثوقا، وإحكاما، سرهما في طاعة الله، وجهرهما في مرضاته، ولا يتناجيان في معصية، ولا يسرّان منكرا، ولا تسعى أقدامهما إلى فسق أو فجور، تجمعهما رابطة الدين وحبّه، ويفرقهما الغيرة على الدين والدفاع عن آدابه ، والذيادة عن حرمة. لا لغرض زائل أو متاع من الدنيا قليل»<sup>(٣)</sup>.

وسرُّ الدخول ضمن هذه الأصناف: أن أسباب محبة الخلق لبعضهم سوى الله كثيرة، فإذا ما طرحها المحب جانبا، وتعلق بالله وحده دلَّ على أنه قد جاهد نفسه وأثر ما يرضى الله ورسوله على ما يرضى نفسه وهواه وأقل تكريم لهذا الصنف من الناس - بعمله هذا - أن يكون فى ظلِّ عرش الرحمن يوم لا ظلَّ إلا ظله.

(١) الحديث أورده الهيثمى فى: مجمع الزوائد: كتاب الصلاة: باب لزوم المساجد ٢٢/٢، ٢٣ من حديث الحسن بن على عن جدّه، وعقب عليه قائلا: « رواه الطبرانى فى الكبير، وفيه سعد بن طريف الإسكافى، وقد أجمعوا على ضعفه».

(٢) انظر: فتح البارى ١٤٥/٢ بتصرف.

(٣) انظر: التعليق على الترغيب والترهيب ٢١٧/١.

هذا وقد وردت نصوص أخرى في فضل الحب في الله اجتماعاً وتفرقاً نذكر منها:

قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحشر].

وقوله ﷺ: « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»<sup>(١)</sup>، « إن رجلاً زار أخاه في قرية أخرى، فأرصد الله له على مدرجته ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربها؟ قال: لا، غير أنني أحببته في الله عز وجل قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه»<sup>(٢)</sup>، « من سره أن يجد طعم الإيمان فليحب العبد لا يحبه إلا لله عز وجل»<sup>(٣)</sup>، « إن من الإيمان أن يحب الرجل رجلاً لا يحبه إلا لله، من غير مال أعطاه، فذلك الإيمان»<sup>(٤)</sup>، « أيها الناس اسمعوا وأعقلوا، واعلموا أن لله عز وجل عبداً ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم النبيون والشهداء على منازلهم، وقربهم من الله » فجتا رجل من الأعراب من قاصية الناس وألوى إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله، ناس من المؤمنين ليسوا بأنبياء، ولا شهداء يغبطهم الأنبياء، والشهداء على مجالسهم وقربهم، انتعهم لنا، حلهم لنا - يعنى صفهم لنا، شكلهم لنا - فسر وجه رسول الله ﷺ بسؤال الأعرابي، فقال رسول الله ﷺ : « هم ناس من أئناء الناس، ونوازع القبائل، لم تصل بينهم أرحام متقاربة، تحابوا في الله

(١) الحديث أخرجه البخارى في: الصحيح: كتاب الإيمان: باب حلاوة الإيمان ١/ ١٠، ١١، باب من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار من الإيمان ١/ ١٢، وكتاب الأدب: باب الحب في الله ١٧/٨، ومسلم في: الصحيح: كتاب الإيمان: باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان ٦٦/١ رقم (٦٧، ٦٨)، والترمذى في: السنن: كتاب الإيمان: باب منه ١٥/٥ رقم (٢٦٢٤)، والنسائي في: السنن: كتاب الإيمان: باب طعم الإيمان وباب حلاوة الإيمان، وباب حلاوة الإسلام ٩٤/٨ - ٩٧ رقم (٤٩٨٧ - ٤٩٨٩)، وابن ماجه في: السنن: كتاب الفتن: باب الصبر على البلاء ١٣٣٨/٢، ١٣٣٩ رقم (٤٠٣٣)، وأحمد في: المسند ٣/ ١٠٣، ٢٣٠، ٢٤٨، ٢٧٥، ٢٧٨، ٢٨٨ كلهم من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه مرفوعاً.

(٢) الحديث سبق تخريجه ص ٦٨.

(٣) الحديث أخرجه أحمد في: المسند ٢/ ٢٩٨، ٥٢٠ من حديث أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعاً.

(٤) الحديث أورده الهيثمى في: مجمع الزوائد: كتاب الزهد: باب الحب في الله ١٠/ ٢٧٤ من حديث عبد الله بن مسعود مرفوعاً، وعقب عليه بقوله: «رواه الطبرانى في الأوسط، ورجاله ثقات».

وتصافوا، يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها، فيجعل وجوههم نورا، وثيابهم نورا، يفرح الناس يوم القيامة ولا يفزعون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون» (١).

وقوله تبارك وتعالى في الحديث القدسي: «حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَوَاصِلِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ، الْمُتَحَابُّونَ فِيَّ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ، يَغْطِطُهُمْ بِمَكَانِهِمُ النَّبِيُّونَ، وَالصَّدِيقُونَ، وَالشَّهَدَاءُ» (٢)، إلى غير ذلك من النصوص. ويساعد على تحقيق هذا الحب في الله اجتماعا وتفرقا عدة عوامل، نذكر منها:

١- حسن الصلة بالله عز وجل، تلك التي تتمثل في اتباع منهجه والنزول على حكمه، وإخلاص الوجهة له، فإن هذا لو تحقق فإنه سيكون سببا في محبة الله للعبد، وإذا أحب الله عبدا حُبب فيه ملائكته وعباده من أهل الأرض، وقد مرّت بنا النصوص التي تشرح ذلك في الحديث الماضي.

٢- رعاية الآداب الاجتماعية من التزاور، والسؤال عند الغياب وبذل النصيحة، وطلاقة الوجه، والهدية، والمواساة، وإظهار المحاسن، وإخفاء المعاييب، والوفاء بحق الصحبة والعفو عن الهفوات والزلات، وترك التكليف، وإفشاء السلام وإجابة الدعوة ونحوها من حقوق الأخوة، فإن هذه الآداب إذا روعيت فإنها تثمر المحبة والمودة، وقد تقدمت النصوص التي تشرح ذلك في الحديث الماضي.

٣- والتبصير بفوائد الحب في الله في الدنيا والآخرة، إذ من فوائده في الدنيا الوحدة التي هي طريق القوة التي هي بدورها طريق العزة والسيادة، ومن فوائده في الآخرة الظفر بجنة من الله ورضوان والنصوص التي قدمنا منذ قليل تشرح ذلك.

٤- النظر الدائم في سيرة السلف ولاسيما الصحابة، وكيف كان الحب في الله هو باعثهم ومحركهم بل أساس علاقتهم ببعضهم البعض.

(١) الحديث أخرجه أحمد في: المسند ٣٤٣/٥ من حديث أبي مالك الأشعري، وأورده الهيثمي في: مجمع الزوائد: كتاب الزهد: باب المتحابين في الله عز وجل ٢٧٦/١٠، ٢٧٧ وعقب عليه بقوله: «رواه كله أحمد والطبراني بنحوه، ورجاله وثقوا».

(٢) الحديث أخرجه أحمد في: المسند ٢٣٣/٥، ومالك في: الموطأ: كتاب الجامع: باب ما جاء في المتحابين في الله ﷺ ص ٦٨٠ رقم (١٧٣٥)، كلاهما من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعا.

٥- التذكير الدائم بفضل الحب في الله، فإن النفس البشرية تسيء، وعلاج النسيان إنما يكون في التذكير مصداقاً لقوله سبحانه: ﴿ فَذَكَرْ إِنَّ نَفْعَتِ الذِّكْرِى (٩) ﴾ [الاعلى]، ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرِى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (٥٥) ﴾ [الذاريات] .

سادسا : المراد بالخوف من الله المانع من الوقوع فى الزنا ونحوه وسر الدخول ضمن هذه الأصناف ، مع بعض النصوص الأخرى الواردة فى هذا الشأن، والعوامل التى تساعد على ذلك :

المراد بالخوف من الله المانع من الوقوع فى الزنا ونحوه: اضطراب القلب اضطراباً يحمل على تقوى الله من فعل الطاعات وترك المحظورات والمنهيات <sup>(١)</sup>.

وسرُّ الدخول ضمن هذه الأصناف: أن الإعراض عن الوقوع فى الزنا مع توفر كل أسبابه ودواعيه من المنصب والجمال، والدعوة إلى النفس أو المراودة، إن دلَّ على شيء فإنما يدل على شدة مراقبة الله التى أثمرت الخوف منه سبحانه وتعالى، وحركت الجوارح بالامتناع، وأقل ما يكافأ به هذا الصنف من الناس أن يكون فى ظلِّ عرش الرحمن يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه <sup>(٢)</sup>.

هذا وقد وردت نصوص أخرى فى فضل الامتناع عن الوقوع فى محارم الله كالزنا ونحوه خوفاً منه سبحانه وتعالى، ونذكر منها:

قوله تعالى عن يوسف مع امرأة العزيز حين راودته عن نفسه، وامتنع خوفاً من الله : ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣) ﴾ [ يوسف ] ، ﴿ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ (٤٦) ﴾ [ الرحمن ] ، ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٧) ﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤٨) ﴾ [ النازعات ] .

وقوله ﷺ : « يقول الله عزَّ وجلَّ: إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها، فإن عملها فاكتبوها بمثلها، وإن تركها من أجلى فاكتبوها له حسنة، وإن أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة، فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها

(١) انظر : بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادى ٥٧٦/٢ - ٥٧٩ بتصرف كثير.

(٢) انظر : فتح البارى ١٤٥/٢، ١٤٦ بتصرف.

إلى سبعمائة»<sup>(١)</sup>، « كان الكفل من بني إسرائيل لا يتورع من ذنب عمله، فأته امرأة فأعطاها ستين ديناراً على أن يطأها، فلما أرادها على نفسها ارتعدت وبكت، فقال: مايبيك؟ قالت: لأن هذا عمل ما عملته، وما حملني عليه إلا الحاجة، فقال: تفعلين أنت هذا من مخافة الله، فأنا أحرى، اذهبي فلك ما أعطيتك، ووالله ما أعصيه بعدها أبداً، فمات من ليلته فأصبح مكتوباً على بابه: إن الله قد غفر للكفل. فعجب الناس من ذلك»<sup>(٢)</sup>، « يقول الله عز وجل: وعزتي لا أجمع على عبدى خوفين وأمنين: إذا خافني في الدنيا أمتته يوم القيامة، وإذا أمنني في الدنيا أخفته في الآخرة»<sup>(٣)</sup>، « يقول الله: أخرجوا من النار من ذكرني أو خافني في مقام»<sup>(٤)</sup>، إلى غير ذلك من النصوص.

ويساعد على التحلي بهذا الخوف عدة عوامل، نذكر منها :

١- التذكير بأن الله يعلم ويرى، وأن ملائكته تحصى وتكتب، وأن كل شيء سيشهد حتى الجوارح، وأن الله كما هو غفورٌ رحيم فهو شديد العقاب : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ [ الأنعام ] ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ [ آل عمران ] ، ﴿ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ ق ] ، ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [ النور ] ، ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ

(١) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب الإيمان: باب حسن إسلام المرء ١٧/١، وكتاب الرقاق: باب من هم بحسنة أو بسيئة ١٢٨/٨، وكتاب التوحيد: باب قول الله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ﴾ ١٧٧/٩، ومسلم فى: الصحيح: كتاب الإيمان: باب إذا هم العبد بحسنة كتبت... ١١٧/١، ١١٨ رقم (٢٠٣ - ٢٠٨)، والترمذى فى: السنن: كتاب التفسير: سورة الأنعام: باب منه ٢٦٥/٥ رقم (٣٠٧٣)، وعقب عليه بقوله: « هذا حديث حسن صحيح»، وأحمد فى: المسند ٢٢٧/١، ٣١٠، ٣٦١، ٢٣٤/٢، ٢٤٢، ٣١٥، ٣١٧، ٤١١، ٤٩٨، ١٤٩/٣ كلهم من حديث أبى هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، وزاد مسلم رواية عن ابن عباس، كما زاد أحمد رواية عن ابن عباس، وأخرى عن أنس، وهذا لفظ البخارى كما فى كتاب التوحيد.

(٢) الحديث أخرجه الترمذى فى: السنن: كتاب صفة القيامة: باب منه ٦٥٧/٤، ٦٥٨ رقم (٢٤٩٦) وقال: «هذا حديث حسن»، وأورده المنذرى فى: الترغيب والترهيب: كتاب التوبة والزهد: باب الترغيب فى الخوف وفضله ٢٥٨/٤ من حديث ابن عمر مرفوعاً، وعقب عليه بقوله: « رواه الترمذى وحسنه، والحاكم، وقال: صحيح الإسناد».

(٣) الحديث أورده المنذرى فى: الترغيب والترهيب: كتاب التوبة والزهد: باب الترغيب فى الخوف وفضله ٢٦١/٤ من حديث: أبى هريرة مرفوعاً، وعقب عليه بقوله: « رواه ابن حبان فى صحيحه».

(٤) الحديث أخرجه الحاكم فى: المستدرک: كتاب الإيمان: باب يقول الله: أخرجوا من النار ٧٠/١ من حديث أنس مرفوعاً، وقال عنه الذهبى فى: التلخيص: « صحيح الإسناد».

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ [ غافر ] ، ﴿ مَا يَقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٢﴾ [ فصلت ] ، ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ [ الرعد ] .

٢- التفكير فى عواقب الخوف من الله، وأنها تتمثل فى مغفرة الذنوب والأمن يوم الفرع الأكبر، والظفر بجنة من الله ورضوان، وقد مضى من النصوص ما ينطق بذلك .

٣- النظر فى سير الخائفين من ربهم من أبناء هذه الأمة أو من أبناء الأمم التى مضت، مثل قصة الكفل من بنى إسرائيل - التى ذكرنا آنفا - ومثل قصة المسرف على نفسه التى قصها علينا رسول الله ﷺ إذ قال : « كان رجل يسرف على نفسه لما حضره الموت، قال لبيه: إذا أنا مت فأحرقونى، ثم اطحنونى، ثم ذرونى فى الريح، فوالله لئن قدر الله على ليعذبنى عذابا ما عذبه أحدا، فلما مات فعل به ذلك فأمر الله الأرض فقال: اجمعى ما فىك، ففعلت فإذا هو قائم فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: خشيتك يا رب - أو قال: مخافتك - فغفر له »<sup>(١)</sup>.

وفى رواية: « قال رجل لم يعمل حسنة قط لأهله: إذا مت فحرقوه، ثم ذروا نصفه فى البر ونصفه فى البحر، فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبه عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين، فلما مات الرجل فعلوا به ما أمرهم. فأمر الله البر فجمع ما فيه، وأمر البحر أن يجمع ما فيه، ثم قال: لم فعلت هذا؟ قال: من خشيتك يا رب، وأنت أعلم فغفر الله تعالى له »<sup>(٢)</sup>.

فإن هذا وغيره من سير الخائفين يحمل النفس على الاقتداء والتأسى أو على الأقل على المحاكاة والتشبه .

سابعاً: المراد بعدم علم الشمال ما تنفق اليمين، وسر الدخول ضمن هذه الأصناف، مع بعض النصوص الأخرى الواردة فى هذا الشأن، والعوامل التى تساعد على ذلك:

والمراد بعدم علم الشمال ما تنفق اليمين: المبالغة فى الإسرار والتخفى بالصدقة،

(١) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب الأنبياء: باب ما ذكر عن بنى إسرائيل ٢٠٥/٤، ٢٠٦، ٢١٤، ٢١٥ من حديث حذيفة، وأبى سعيد الخدرى وأبى هريرة مرفوعاً، ومسلم فى: الصحيح: كتاب التوبة: باب فى سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه ٢١٠٩/٤ - ٢١١١ رقم (٢٤ - ٢٧) من حديث أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى مرفوعاً، والنسائى فى: السنن: كتاب الجنائز: باب أرواح المؤمنين ١١٣/٤ رقم (٢٠٨٠) من حديث حذيفة مرفوعاً، وابن ماجه فى: السنن: كتاب الزهد: باب ذكر التوبة ١٤٢١/٢ رقم (٤٢٥٥) من حديث أبى هريرة مرفوعاً.

(٢) انظر التخريج السابق .

بحيث إن شماله مع قربها من يمينه وتلازمهما ، لو تصور أنها تعلم لما علمت ما فعلت اليمين لشدة إخفائها، فهو على هذا من مجاز التشبيه، ويحتمل أن يكون ذلك من مجاز الحذف ، والتقدير : حتى لا يعلم ملك شماله أو من على شماله من الناس ما تنفق يمينه، وقيل: إن المراد بالشمال النفس وأنه من باب تسمية الكامل باسم الجزء، والمعنى: حتى لا تعلم نفسه ما تنفق نفسه<sup>(١)</sup> ، وجاء في رواية مسلم: « حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله »، بيد أن العلماء قالوا: إن هذا قلب للحديث؛ لأن السنة المعهودة في الصدقة إعطاؤها باليمين، على أن مسلماً قد انفرد بها من دون سائر الأئمة فيترجح ما عندهم على ما عنده<sup>(٢)</sup> .

وسرُّ الدخول ضمن هذه الأصناف : أن النفس تميل إلى إبراز عملها، لاسيما الصدقة باعتبار أن المال شقيق الروح كل هذا لتُحمَد، فإذا ما جاهد صاحبها، وحملها على التخفى والاستتار بالصدقة دَلَّ على أنه يريد بعمله وجه الله، وأقل مكافأة لهذا الصنف من الناس أن يكون في ظل عرش الرَّحْمَن يوم لا ظلَّ إلا ظله.

هذا وقد وردت نصوص أخرى في فضل إخفاء الصدقة، نذكر منها:

قوله ﷺ: « إن الملائكة قالت : يارب ، هل من خلقتك شيء أشد من الجبال ؟ قال : نعم ، الحديد، قالت: فهل أشد من الحديد؟ قال: نعم النار، قالت : فهل أشد من النار؟ قال: نعم، الماء، قالت: فهل أشد من الماء؟ قال: نعم الريح، قالت: فهل أشد من الريح، قال: نعم، ابن آدم يتصدق بيمينه فيخفيها عن شماله<sup>(٣)</sup> ، «صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقة السر تطفئ غضب الرب، وصلة الرَّحْمَن تزيد في العمر»<sup>(٤)</sup> ، « ثلاثة يحبهم الله، وثلاثة يبغضهم الله، فأما الذين يحبهم : فرجل أتى

(١) انظر: فتح الباري ١٤٧/٢ بتصرف.

(٢) انظر: فتح الباري ١٤٦/٢ بتصرف.

(٣) الحديث أخرجه أحمد في: المسند ١٢٤/٣، والترمذي في: السنن: كتاب تفسير القرآن: باب منه ٤٥٤/٥، ٤٥٥ رقم (٣٣٦٩) كلاهما من حديث أنس مرفوعاً، وعقب الترمذي عليه قائلا: « هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه»، وأورده المنذرى في: الترغيب والترهيب: باب الترغيب في صدقة السر ٣٠/٢، وعقب عليه بقوله : « رواه الترمذي، واللفظ له ، والبيهقي وغيرهما، وقال الترمذي: حديث غريب» كما أورده الحافظ ابن حجر في: فتح الباري ١٤٧/٢ قائلا: « وفي مسند أحمد من حديث أنس بإسناد حسن مرفوعاً: إن الملائكة قالت . . . ».

(٤) الحديث أورده المنذرى في: الترغيب والترهيب: باب الترغيب في صدقة السر ٣٠/٢ من حديث أبي أمامة مرفوعاً، وعقب عليه بقوله: « رواه الطبراني في الكبير بإسناد حسن».

قوما فسألهم بالله ولم يسألهم بقرابة بينهم وبينه فمنعوه، فتخلف رجل بأعقابهم فأعطاه سرّاً لا يعلم بعطيته إلا الله والذي أعطاه، وقوم ساروا ليلتهم حتى إذا كان النوم أحبّ إليهم مما يُعدّل به فوضعوا رؤوسهم، فقام يتملّنى<sup>(١)</sup>، وبتلو آياتي، ورجل كان في سرية فلقى العدو فهزموا، فأقبل بصدرة حتى يقتل أو يفتح له، والثلاثة الذين يبغضهم الله: الشيخ الزاني، والفقير المختال<sup>(٢)</sup>، والغنى الظلوم<sup>(٣)</sup>، « (٤) »، إلى غير ذلك من النصوص.

ولعلّ مما يساعد على الإخلاص والإسرار بالصدقة ما يلي:

١- أن نتذكر عواقب الإسرار بالصدقة في الدنيا والآخرة على النحو الذي شهدت به النصوص المذكورة آنفاً.

٢- وأن نتذكر كذلك عواقب الرياء بها لا لشيء إلا لحظّ النفس، إذ جاء في الحديث: «أن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة: رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمته فعرفها، فقال: ما عملتَ فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدتُ قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: جرىء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار، ورجل تعلم العلم، وعلمه، وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: تعلمتُ العلم وعلمتُهُ، وقرأت القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: إنك عالم، وقرأت القرآن ليقال: قارئ فقد قيل، ثم أمر به، فسحب على وجهه حتى ألقى في النار، ورجل وسع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كلّهُ، فأتى به، فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال:

(١) يتملّنى: أى يزيد في التودّد، والدعاء، والتضرع فوق ما ينبغي. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٧/٤.

(٢) الفقير المختال هو: الذى لا يملك شيئاً ومع ذلك يتكبر ويتجبر على الناس.

(٣) الغنى الظلوم هو: الثرى الذى يتعدى على عباد الله ويسوء المعاملة طغياناً وبغياً.

(٤) الحديث أخرجه الترمذى فى: السنن: كتاب صفة الجنة: باب ما جاء فى كلام الحور العين ٦٩٨/٤ رقم (٢٥٦٨)، والنسائى فى: السنن: كتاب الزكاة: باب ثواب من يعطى ٨٤/٥ رقم (٢٥٧٠)، وأحمد فى: المسند ١٥٣/٥، ١٧٦ كلهم من حديث أبى ذر بنحو مرفوعاً، وعقب عليه الترمذى بقوله: « حديث صحيح »، وأورده المنذرى فى: الترغيب والترهيب: باب الترغيب فى صدقة السرّ ٣٢/٢، ٣٣ من حديث أبى ذر وعقب عليه بقوله: « رواه أبو داود وابن خزيمة فى صحيحه، واللفظ لهما إلا أن ابن خزيمة لم يقل: فمنعوه، والنسائى، والترمذى ذكره فى باب كلام الحور العين وصححه، وابن حبان فى صحيحه إلا أنه قال فى آخره: « ويبغض الشيخ الزانى، والبخيل والمتكبر، والحاكم وقال: « صحيح الإسناد ».

ما تركتُ من سبيل تحبُّ أن ينفق فيها إلا أنفقتُ فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به، فسحب على وجهه ثم ألقى به في النار»<sup>(١)</sup>.

٣- وأن نديم النظر في سيرة السلف، وكيف كان حاملهم على العمل، ولاسيما الصدقة مرضاة الله وحده على النحو الذى ورد فى سورة الإنسان: ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حِبِّ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُنْعَمُكُمْ لُوجَهَ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبَّوسًا قَمَطِرِيرًا ۝١٠ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَصْرَةً وَسُرُورًا ۝١١ ﴾ [الإنسان]، فإن ذلك يؤثر فى النفس فيحملها على الاقتداء والتأسي أو على الأقل المحاكاة والتشبه.

ثامناً: المراد بذكر الله فى الخلوة، وسرُّ الدخول ضمن هذه الأصناف، مع بعض النصوص الأخرى الواردة فى هذا الشأن، والعوامل التى تساعد على ذلك:

والمراد بذكر الله فى الخلوة: استشعار اطلاعه ومراقبته، أو الثناء عليه سبحانه باللسان، أو هما معا، استشعاراً وثناءً يؤديان إلى فيضان العينين بالدمع<sup>(٢)</sup>.

وسرُّ الدخول ضمن هذه الأصناف: أن الخلوة مدعاة إلى قسوة القلب والجرأة على المعصية، فإذا ما جاهد العبد نفسه، وراعى حرمان الله فى الخلوة كان ذلك دليلاً على خشية من ربه، وأقل ما يكافأ به هذا الصنف من الناس أن يكون فى ظلِّ عرش الرحمن يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه.

هذا وقد وردت نصوص أخرى فى فضل ذكر الله فى الخلوة، نذكر منها:

قوله ﷺ: « مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ ففَاضَتْ عَيْنَاهُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى يَصِيبَ الْأَرْضَ مِنْ دَمُوعِهِ لَمْ يَعَذِّبْهُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ »<sup>(٣)</sup>، « عَيْنَانِ لَا تَمْسَهُمَا النَّارُ : عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ

(١) الحديث سبق تخريجه فى الجزء الأول.

(٢) انظر: فتح البارى ٢/ ١٤٧ بتصرف.

(٣) الحديث أخرجه الحاكم فى: المستدرک: كتاب التوبة والإنابة: باب لا يبلج النار أحدٌ بكى من خشية الله ٢٦٠/٤ من حديث أنس بن مالك مرفوعاً، وعقب عليه قائلا: « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه »، وأقره الذهبى على ذلك فى: التلخيص، وأورده الحافظ ابن حجر فى: فتح البارى ١/ ١٤٧ وعزاه إلى الحاكم.

خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله <sup>(١)</sup> ، « ثلاثة لا ترى أعينهم النار: عين حرسَتْ في سبيل الله ، وعين بكت من خشية الله ، وعين كفت عن محارم الله <sup>(٢)</sup> ، « ليس شيء أحب إلى الله من قطرتين ، وأثرين: قطرة دموع من خشية الله ، وقطرة دم تهراق في سبيل الله ، وأما الأثران : فأثر في سبيل الله ، وأثر في فريضة من فرائض الله عز وجل <sup>(٣)</sup> ، « إذا اقشعرت جلد العبد من خشية الله تحأت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها <sup>(٤)</sup> ، إلى غير ذلك من النصوص .

ولعل مما يعين المسلم على ذكر الله والبكاء في الخلوات ما يلي :

١- استحضار أن الله يرى ويسمع ، ويعلم كل شيء حتى السرَّ بل ما هو أخفى من السرِّ: ﴿ وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [١٣] أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ [ الملك ] ، ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ [ الحديد : ٤ ] ، ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴾ [ العلق ] .

٢- التأمل في نعم الله التي تغمرنا وتحيط بنا نعلم منها ما نعلم ، ونجهل منها ما نجهل : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴾ [ إبراهيم : ٣٤ ] ، ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ [ النحل : ٥٣ ] ، ﴿ وَأَسِغْ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [ لقمان : ٢٠ ] .

(١) الحديث أخرجه الترمذى في: السنن: كتاب فضائل الجهاد: باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله ١٧٥/٤ رقم (١٦٣٩) من حديث ابن عباس مرفوعاً، وعقب عليه بقوله: « وفي الباب عن عثمان وأبي ريحانة، وحديث ابن عباس حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث شعيب بن رزيق»، وأورده المنذرى في: الترغيب والترهيب: كتاب التوبة والزهد: باب الترغيب في البكاء من خشية الله تعالى ٢٢٩/٤ من حديث ابن عباس، وعزاه إلى الترمذى.

(٢) الحديث أورده المنذرى في: الترغيب والترهيب: كتاب التوبة والزهد: باب الترغيب في البكاء من خشية الله تعالى ٢٣٠/٤ من حديث معاوية بن حيدة مرفوعاً، وعقب عليه بقوله: « رواه الطبراني، ورواته ثقات إلا أن أبا حبيب العنقري لا يحضرنى الآن حاله».

(٣) الحديث أخرجه الترمذى في: السنن: كتاب فضائل الجهاد: باب ما جاء في فضل المرباط ١٩٠/٤ رقم (١٦٦٩) من حديث أبي أمامة مرفوعاً وعقب عليه بقوله: « هذا حديث غريب »، وأورده المنذرى في الترغيب والترهيب: كتاب التوبة والزهد: باب الترغيب في البكاء من خشية الله تعالى ٢٣١/٤ وعزاه إلى الترمذى .

(٤) الحديث أورده المنذرى في: الترغيب والترهيب: كتاب التوبة والزهد: باب الترغيب في البكاء من خشية الله تعالى ٢٣٤/٤ من حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه مرفوعاً، وعقب عليه بقوله: « رواه أبو الشيخ ابن حبان في الثواب ، والبيهقي واللفظ له » .

٣- استحضار أن ملائكته سبحانه تكتب وتحصى ، وأن كل شيء سيشهد علينا حتى الجوارح والجلود كما سبقت بذلك الآيات .

٤- النظر فى سير وأحوال السلف ، وكيف كانوا ملازمين للذكر ومواظبين عليه فى الليل وفى النهار، وفى كل الظروف وسائر الأحيان، فإن ذلك مدعاة إلى الاقتداء والتأسى أو على الأقل المحاكاة والتشبه .

ما يستفاد من الحديث دعويا وتربويا:

ويستفاد من الحديث دعويا وتربويا فوائد عدة، نذكر منها:

١- فضيلة الإمام العادل وما فى معناه من كلِّ صاحب إمامة أو ولاية ، وضرورة تحلّى من لم يكن كذلك بالعدالة لما لها من فوائد فى الدنيا والآخرة .

٢- فضيلة الشاب الناشئ فى عبادة الله ، وضرورة تنشئة الشباب إن لم يكونوا كذلك على الطاعة والعبادة لما فى هذه الطاعة والعبادة من فوائد جمّة ومنافع كثيرة فى الدنيا والآخرة .

٣- فضيلة المسلم الملتق قلبه بالمساجد ، وضرورة ربط الناس إن لم يكونوا كذلك بالمساجد، فإنها مصنع تخريج الرجال وإعداد الرواد والقادة: ﴿ فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال ﴾ (٣٦) رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ﴿٣٧﴾ ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴿٣٨﴾ ﴿

[ النور ]

٤- فضيلة الحبِّ فى الله، والبغض فى الله، وتنشئة المسلمين إن لم يكونوا كذلك على هذا الخلق، لما يودى إليه من ترابط القلوب ووحدة الصفِّ من ناحية، وكسب رضوان الله وثوابه من ناحية أخرى .

٥- فضيلة العفاف خوفاً من الله، وطمعا فى مرضاته، وتنشئة الأمة على هذا الخلق؛ لما يودى إليه من الترابط والتماسك الاجتماعى ، من ناحية ، وبتزكية الرذيلة والقضاء عليها وهى لا تزال فى مهدها من ناحية أخرى .

٦- فضيلة صدقة السرِّ، وضرورة تنشئة المسلمين على تجنب الرياء بالعمل طمعا فى حظِّ نفس أو إرضاء بشر .

٧- فضيلة ذكر الله في الخلوات، لما يدل عليه هذا الذكر من خشية الله ومراقبته، وضرورة التنشئة على ذلك حتى يكون الفوز في الدنيا والآخرة.

٨- أهمية الترغيب والمكافأة في الدعوة والتربية ، ولاسيما إذا كان هذا الترغيب وهذه المكافأة في أوقات الشدائد والمحن ، فإن هذا مما يحركُّ النفوس ، ويجعلها تستعذب كلَّ صعبٍ وشاقٍّ وصولاً إلى المثوبة أو المكافأة.

obeikandi.com

## الحديث الخامس والعشرون

قال رسول الله ﷺ :

« كلٌ ميّت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله ، فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة ، ويؤمن فتنة القبر » .

تخريجه :

الحديث أخرجه أبو داود في : السنن : كتاب الجهاد : باب في فضل الرباط ٣ / ٢٠ .  
رقم ( ٢٥٠٠ ) .

والترمذى في : السنن : كتاب فضائل الجهاد : باب فضل من مات مرابطاً ٤ / ١٦٥ .  
رقم ( ١٦٢١ ) .

وأحمد في : المسند ٦ / ٢٠ كلهم من حديث فضالة بن عبيد مرفوعاً ، وعقب الترمذى على حديثه قائلاً : « وفي الباب عن عقبة بن عامر ، وجابر ، وحديث فضالة حديث حسن صحيح » .

وقد أخرج رواية عقبة بن عامر التي أشار إليها الترمذى الإمام الدارمى في : السنن : كتاب الجهاد : باب فضل من مات مرابطاً ٢ / ٢١١ ، وأحمد في : المسند ٤ / ١٥٠ ،  
١٥٧ .

معناه :

الصراع بين الحقّ والباطل قديم ، وقد مضت سنته سبحانه في خلقه أن يجعل للحقّ حراساً وحماةً في كل زمان ومكان ، يصونونه من كيد الكائدين ، وعبث العابثين وإلا لطمست معالم هذا الحقّ ، ودرست آثاره ﴿ وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ [ البقرة : ٢٥١ ] ، ﴿ وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدَمَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ [ الحج : ٤٠ ] ، « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ،

فقالوا: لو أنا خرقتا في نصيينا خرقتا، ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعاً»(١).

وكانت الأمة المسلمة - آخر الأمم وجوداً - هي المكلفة بمهمة وواجب الحماية والحراسة منذ أخرجت للناس، وحتى قيام الساعة: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِثْلَ مِثْلَةِ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨].

ولما كانت هذه المهمة ليست بالأمر الهين، ولا بالأمر اليسير، نظراً لتربص الباطل وشدّة كيد ومكره، مع طول الطريق، وتعدد العقبات والمعوقات، لما كانت هذه المهمة كذلك، أجزل الله عز وجل الأجر والثوبة للقائمين بها ليس في الحياة الدنيا فحسب، بل حتى في البرزخ بعد الموت، لئلا يكون هناك إعراض أو نكوص.

والحديث الذي نحن بصدد شرحه وبيانه الآن تصوير صادق ودقيق لما نقول؛ إذ يخبر النبي ﷺ فيه: أن كل ميت يختم على عمله بمجرد موته ولا يضاف إليه شيء بعد ذلك إلا من مات مرابطاً في سبيل الله حماية للحق، ودفاعاً عنه، فإن الله عز وجل ينمى له هذا العمل بمعنى يباركه ويزيد فيه إلى يوم القيامة، فضلاً عن أنه يؤمنه الفتنة في القبر وعند السؤال.

وحتى تبرز معالم الحديث بصورة أجلى وأوضح، فإننا سنعرض له من الجوانب التالية:

الجانب الأول: ماهية الرباط، وعلاقته بالجهاد.

الجانب الثاني: فوائد الرباط وثمراته في الدنيا والآخرة.

الجانب الثالث: سر هذه الفوائد وتلك الثمرات.

الجانب الرابع: ماهية فتنة القبر وسبيل النجاة.

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح: كتاب الشركة: باب هل يقرع فى القسمة والامتهام فيه ١٨٢/٣ وكتاب الشهادات: باب القرعة فى المشكلات ٢٧٣/٣، والترمذى فى: السنن: كتاب الفتن: باب منه ٤٧٠/٤ رقم (٢١٧٣)، وأحمد فى: المسند ٢٦٩/٤، ٢٧٠، ٢٧٣، ٢٧٤، كلهم من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه مرفوعاً، وألفظ للبخارى، وعقب الترمذى على حديثه بقوله: «هذا حديث حسن صحيح».

الجانب الخامس : بعض النصوص الأخرى، الواردة في فضل الرباط.

الجانب السادس : العوامل التي تساعد على غرس روح الرباط في نفس المسلم.

ودونك البيان :

أولاً: ماهية الرباط وعلاقته بالجهاد :

لغة:

الرباط في أصل وضعه اللغوي اسم لما يربط به الشيء أى يشد، تقول: هذا رباط الدابة أى الحبل الذى تشد به إلى الوتد، وهذا رباط النفس أى الحبل الذى يحميها من المعاصى، ويكفها عن المحارم. كما يطلق على : الملازمة، تقول : رابطتُ بالمكان : أى لازمتُهُ ولم أبرحه (١).

شرعاً :

أما ماهية الرباط شرعاً فإنها تدور حول معنيين :

أ - أحدهما خاص : وهو المقام فى الثغور التى بين المسلمين والكافرين حماية للمسلمين من خطر مدهامة هؤلاء الكافرين ، يقول الحافظ ابن حجر : «الرباط بكسر الراء، وبالموحدة الخفيفة: ملازمة المكان الذى بين المسلمين والكفار لحراسة المسلمين منهم» (٢).

ويقول ابن الأثير: «الرباط فى الأصل الإقامة على جهاد العدو بالحرب، وارتباط الخيل وإعدادها» (٣).

ب - والآخر عام : وهو ملازمة أخذ الأهبة والاستعداد للجهاد على كل حال فيشمل الرباط بمعناه الخاص، كما يشمل البعد عن المعاصى والسيئات صغيرها وكبيرها، ظاهرها وباطنها، ويشمل كذلك فعل الطاعات من أول لا إله إلا الله حتى إمطة الأذى عن الطريق، وما بين ذلك من الدعوة إلى الخير ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر قال تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ [ الأنفال : ٦٠ ] .

(١) انظر: النهاية فى غريب الحديث والأثر ٦٠/٢ بتصرف .

(٢) انظر: فتح البارى لابن حجر العسقلانى ٨٥/٦ .

(٣) انظر: النهاية فى غريب الحديث والأثر ٥٩/٢ ، ٦٠ .

وقال ﷺ: « ألا أدلكم على ما يحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟ » قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط»<sup>(١)</sup>، «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها...»<sup>(٢)</sup>، « من احتبس فرسا في سبيل الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده ؛ فإن شبعه ، وريه ، وروثه ، وبوله في ميزانه يوم القيامة »<sup>(٣)</sup>.

ولعل المعنى العام هو المراد أو المقصود في الحديث تمثيلاً مع نصوص وروح الإسلام القاضيين بأن الأمة الإسلامية أمة الجهاد والمرابطة إلى قيام الساعة .

وعلاقة الرباط بالجهاد هي علاقة الترادف أو التوافق، فكل واحد منهما مرادف للآخر ، وموافق له ، حتى إنه ما يذكر الجهاد حتى يخطر الرباط بالبال ، وما يذكر الرباط حتى يخطر الجهاد بالبال، إلا أن يراد بالجهاد معناه الخاص، وهو القتال، فيكون علاقة الرباط بالجهاد علاقة مقدمة بالنتيجة .

(١) الحديث أخرجه مسلم في : الصحيح: كتاب الطهارة: باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره ٢١٩/١

رقم ٤١ (٢٥١)، والترمذى في : السنن : كتاب الطهارة : باب ما جاء في إسباغ الوضوء ٧٢/١ - ٧٤ رقم (٥١ ، ٥٢) وقال عقيبه : « وفي الباب عن علي وعبد الله بن عمرو، وابن عباس، وعبيدة - ويقال: عبيدة - بن عمرو، وعائشة، وعبد الرحمن بن عائش الحضرمي وأنس ، وحديث أبي هريرة في هذا الباب حديث حسن صحيح » ، والنسائي في : السنن : كتاب الطهارة: باب الفضل في إسباغ الوضوء ٨٩/١ ، ٩٠ ، وأحمد في : المسند ٢/٢٠ ، ٣٠٣ كلهم من حديث أبي هريرة مرفوعاً، واللفظ لمسلم .

(٢) الحديث أخرجه البخارى في : الصحيح: كتاب الجهاد: باب فضل رباط يوم في سبيل الله ٤٣/٤ من حديث سهل بن سعد، ومسلم في : الصحيح: كتاب الإمارة: باب فضل الرباط في سبيل الله عز وجل ٣/١٥٢٠ من حديث سلمان بلفظ : « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذى كان يعمل، وأجرى عليه رزقه، وأمن الفتان » ، والنسائي في : السنن: كتاب الجهاد: باب فضل الرباط ٦/٣٩ ، ٤٠ رقم (٣١٦٧ ، ٣١٦٨) من حديث سلمان، ورقم (٣١٦٩ ، ٣١٧٠) من حديث عثمان بن عفان ، وابن ماجه في : السنن : كتاب الجهاد : باب فضل الرباط في سبيل الله ٢/٩٢٤ من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه مرفوعاً، وعقب عليه شهاب الدين البوصيرى في : مصباح الزجاجاة ٣/١٥٤ بقوله : «هذا إسناد ضعيف ، عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعفه أحمد، وابن معين، وابن المدينى، والنسائي ، وقال الحاكم: روى عن أبيه أحاديث موضوعة، وقال ابن عبد البر: أجمعوا على ضعفه»، ثم نقل له طرقاً أخرى تجبر هذا الضعف، وتجعل الحديث مقبولاً يحتج به، وأحمد في : المسند ١/٦٢ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٥ من حديث عثمان بن عفان مرفوعاً .

(٣) الحديث أخرجه البخارى في : الصحيح: كتاب الجهاد: باب من احتبس فرسا ٤/٣٤، والنسائي في : السنن: كتاب الخيل: باب علف الخيل ٦/٢٢٥، وأحمد في : المسند ٢/٣٧٤ كلهم من حديث أبي هريرة مرفوعاً واللفظ للبخارى ، وأخرج أحمد نحوه ٦/٤٥٨ من حديث أسماء بنت يزيد مرفوعاً وهذا لفظه : «من ارتبط فرسا في سبيل الله، وأنفق عليه احتساباً، كان شبعه، وجوعه، وريه ، وظمأه، وبوله، وروثه في ميزانه يوم القيامة، ومن ارتبط فرسا رياء وسمعة كان ذلك خسراناً في ميزانه يوم القيامة » .

ثانيا : فوائد الرباط وثمراته فى الدنيا والآخرة :

وللرباط فوائد وثمرات فى الدنيا والآخرة نذكر منها :

\* أنه أضمن الطرق لإرهاب الحاقدين والمتربصين بهذه الأمة ، قال تعالى : ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ [ الانفال : ٦٠ ] ، فيكون السلم ، والسلام ، والأمن ، والأمان .

\* وأنه أفضل السبل لإحقاق الحق وإبطال الباطل ، قال تعالى : ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارَهُونَ (٥) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (٦) وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٧) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (٨) ﴾ [ الانفال ] .

\* وأنه مصدر العزة والكرامة ، أو العبودية الحقة لله وحده لا شريك له ، فلا إكراه ، ولا مثيرات ، ولا إغراءات ، ولا تحكم من العباد فى رقاب العباد ، يقول ﷺ : «بعثت بين يدي الساعة بالسيف ، حتى يعبد الله وحده لا شريك له ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمرى»<sup>(١)</sup> ، «اللهم انجز لى ما وعدتني ، اللهم انجز لى ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لاتعبد فى الأرض»<sup>(٢)</sup> .

(١) الحديث أخرجه البخارى [ تعليقا ] فى : الصحيح : كتاب الجهاد والسير : باب ما قيل فى الرماح ، ويذكر عن ابن عمر ، عن النبى ﷺ : « وجعل رزقى تحت ظل رمحى ... ٤ / ٤٩ ، وأحمد فى : المسند ٢ / ٥٠ ، ٩٢ من طريق أبى منيب الجرسى ، عن ابن عمر مرفوعا به ، وأورده الحافظ ابن حجر فى : فتح البارى ٦ / ٩٨ ، وعزاه إلى أحمد ، ثم عقب عليه قائلا : « وأبو منيب لا يعرف اسمه ، وفى الإسناد عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان مختلف فى توثيقه ، وله شاهد مرسل بإسناد حسن ، أخرجه ابن أبى شيبه ( المصنف : كتاب الجهاد : باب ما قالوا فيما ذكر من الرماح ، واتخاذها ٢ / ٣٤٩ ، ٣٥٠ ) من طريق الأوزاعى عن سعيد بن جبلة ، عن النبى ﷺ بتمامه ، بيد أنه يؤخذ على الحافظ ابن حجر قوله : عن سعيد بن جبلة عن النبى ﷺ بتمامه ، فإنه - كما فى المصنف - عن سعيد بن جبلة ، عن طاوس ، عن النبى ﷺ بتمامه ، ولعل طاوساً سقط سهوا ، أو نسيانا ، وقد أخرج ابن أبى شيبه فى : المصنف ١٢ / ٣٥١ حديث ابن عمر ، كما عند أحمد إسنادا ومتنا .

(٢) الحديث جزء حديث طويل ، أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الجهاد والسير : باب الإمداد بالملائكة فى غزوة بدر ، وإباحة الغنائم ٣ / ١٣٨٣ - ١٣٨٥ رقم (١٧٦٣) ، والترمذى فى : السنن : كتاب تفسير القرآن : باب ومن سورة الانفال ٥ / ٢٦٩ ، ٢٧٠ رقم (٣٠٨١) ، وأحمد فى : المسند ١ / ٣٠ - ٣٣ من حديث عبد الله بن عباس ، عن عمر بن الخطاب ﷺ مرفوعا به ، وعقب الترمذى على روايته قائلا : « هذا =

\* وأنه طريق الصحة والعافية ، والقوة البدنية ، إذ هو يتطلب حركة دائبة ، وسعيًا مستمرًا ، والحركة الدائبة ، والسعي المستمر هما الطريق إلى الصحة ، والعافية ، والقوة البدنية ، يقول عليه السلام : « نصر الله امرأ سمع منا حديثًا فحفظه حتى يبلغه ، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه » (١) .

\* وأنه سبيل جريان الأجر والثواب حتى بعد الموت ، يقول عليه السلام : « كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله ، فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة . . . » (٢) ، « رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها » (٣) .

\* وأنه سبيل الأمان من فتنه القبر ، يقول عليه السلام : « تمميما للحديث المذكور آنفا : « . . . ويؤمن من فتنه القبر » (٤) .

ثالثًا : سرّ هذه الفوائد وتلك الثمرات :

وسرّ هذه الفوائد وتلك الثمرات ، أن الرباط شاق وصعب على النفس ، إذ هو

= حديث حسن غريب ، لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث عمر بن إبراهيم ، عن قتادة ، ورواه بعضهم عن عبد الصمد ، ولم يرفعه ، وعمر بن إبراهيم شيخ بصري . وأورده البخاري في : الصحيح : كتاب الجهاد والسير : باب ما قيل في درع النبي صلى الله عليه وسلم : ٤٩ / ٤ من حديث ابن عباس بنحوه مختصراً ، ولفظه : أنه صلى الله عليه وسلم قال وهو في قبة : « اللهم إني أشدك عهدك ، ووعدك ، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم . . . » .

(١) الحديث أخرجه أبو داود في : السنن : كتاب العلم : باب فضل نشر العلم ٣ / ٣٢٢ رقم (٣٦٦٠) من حديث زيد بن ثابت مرفوعاً بهذا اللفظ ، والترمذي في : السنن : كتاب العلم : باب ما جاء في الحديث على تليغ السماع ٥ / ٣٢ - ٣٥ رقم (٢٦٥٦) من حديث زيد بن ثابت مرفوعاً به ، وعقب عليه بقوله : « وفي الباب عن عبد الله بن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وجبير بن مطعم ، وأبي الدرداء وأنس ، وحديث زيد بن ثابت حديث حسن » ، ورقم (٢٦٥٧ ، ٢٦٥٨) من حديث ابن مسعود بمعناه وزيادة : « ثلاث لا يغفل عليهن قلب مسلم : إخلاص العمل لله ، ومناصحة أئمة المسلمين ولزوم جماعتهم ، فإن الدعوة تحيط بهم من ورائهم » ، وعقب عليه قائلاً : « هذا حديث حسن صحيح » ، وابن ماجه في : السنن : المقدمة باب من بلغ علماً ١ / ٨٤ - ٨٦ رقم (٢٣٠) من حديث زيد بن ثابت ، ورقم (٢٣١) من حديث جبير ، ورقم (٢٣٢) من حديث ابن مسعود ، ورقم (٢٣٦) من حديث أنس بن مالك مرفوعاً به ، وبنحوه ، وكتاب المناسك : باب الخطبة يوم النحر ٢ / ١٠١٥ ، ١٠١٦ رقم (٣٠٥٦) من حديث المطعم بن عدي ، وقد تكلم الحافظ شهاب الدين البوصيري في : مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه ١ / ٣٢ ، ٣٣ ، ٦٠ / ٢ على أسانيد بعض هذه الأحاديث مبينا أنها ثابتة المتون عند الأئمة ، والدارمي في : السنن : المقدمة ١ / ٧٤ - ٧٦ من حديث جبير بن مطعم ، وزيد بن ثابت ، وأبي الدرداء ، وأحمد في : المسند ١ / ٤٣٧ من حديث ابن مسعود ، ٣ / ٢٢٥ من حديث أنس بن مالك ، ٤ / ٨٠ - ٨٢ من حديث جبير ابن مطعم ، ٥ / ١٨٣ من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه مرفوعاً .

(٢) الحديث سبق تخريجه ص ١١٩ . (٣) الحديث سبق تخريجه ص ١٢١ .

(٤) الحديث سبق تخريجه ص ١١٩ .

متنوع متعدد الجوانب، فمنه ما هو رباط مع النفس، ومنه ما هو رباط مع الشيطان، ومنه ما هو رباط مع الفساق، ومنه ما هو رباط مع الكفار والمنافقين .

والنفس بطبيعتها فيها ميل وإخلاق إلى الأرض ، وركون إلى الحياة الدنيا بزخرفها، وزهرتها وزينتها .

والشيطان متربص، وقاعد لها بكل طريق كما قال ﷺ: « إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه، فقعد له بطريق الإسلام، فقال له : أتسلم، وتذر دينك، ودين آبائك، وآباء أبيك ؟ قال : فعصاه وأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة، فقال: أتهاجر، وتذر أرضك وسماءك، وإنما مثل المهاجر كمثّل الفرس في الطول ؟ قال: فعصاه، فهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد، فقال له: هو جهد النفس والمال، فتقاتل، فتقتل، فتكبح المرأة ويقسم المال ؟ قال: فعصاه فجاهد»، فقال رسول الله ﷺ: « فمن فعل ذلك منهم فمات كان حقا على الله أن يدخله الجنة، أو قتل كان حقا على الله عز وجل أن يدخله الجنة، وإن غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة، أو وقصته دابته كان حقا على الله أن يدخله الجنة » (١) .

ثم إن هذا الشيطان لا يفتأ يوقع بين النفوس حتى يكون التدابر، وتكون القطيعة، والشقات والفرقة:

إذ يقول ﷺ: « إن إبليس يضع عرشه على الماء ، ثم يبعث سراياه ، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة ، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا، وكذا فيقول: ما صنعت شيئا، قال: ثم يجيء أحدهم، فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه، ويقول: نعم أنت»، قال الأعمش - أحد رواة الحديث: «أراه قال: فيلتزمه» (٢)، «إن الشيطان قد أيس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم» (٣) .

(١) الحديث أخرجه النسائي في: السنن: كتاب الجهاد: باب ما لمن أسلم وهاجر وجاهد ٢١/٦، ٢٢ وأحمد في: المسند ٤٨٣/٣ كلاهما من حديث سيرة بن الفاكه ويقال: ابن أبي الفاكه مرفوعا، واللفظ لأحمد.  
(٢) الحديث أخرجه مسلم في: الصحيح: كتاب صفات المنافقين وأحكامهم: باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس ٤ / ٢١٦٧ رقم (٢٨١٣)، وأحمد في: المسند ٣ / ٣١٤، ٣١٥، ٣٣٢، ٣٥٤، ٣٦٦، ٣٨٤ كلاهما من حديث جابر مرفوعا، واللفظ لمسلم. ومعنى قوله: « فيلتزمه » يعنى: يحتضنه ويعانقه تقول: التزم الشيء، وبالشئ يعنى استمسك به أو اعتنقه، والتصق به. انظر: لسان العرب لابن منظور ١٢ / ٥٤٢ بتصرف.

(٣) الحديث أخرجه مسلم في: الصحيح: كتاب صفات المنافقين وأحكامهم: باب تحريش الشيطان ٤/٢١٦٦ رقم (٢٨١٢)، والترمذي في: السنن: كتاب البر والصلة: باب ما جاء في التباغض ٣ / ٢٢١، ٢٢٢ رقم (٢٢٠٢)، وأحمد في: المسند ٣ / ٣١٣، ٣٦٦، ٣٨٤ كلهم من حديث أبي سفيان عن جابر مرفوعا، وعقب الترمذي قائلا: « هذا حديث حسن، وأبو سفيان اسمه طلحة بن نافع »، وهذا لفظ مسلم .

وأن له أعوانا، وجندا من الإنس يأتمرون بأمره، وينزلون على حكمه، يسلمهم على هذه النفوس ليكيدوا لها : تارة بالإغراءات المادية من مال ، ومنصب ، ورياسة ، وجاه، وتارة باختلاق التهم والأباطيل، وتارة بالإخراج والنفي، والتشريد في الأرض، وتارة بالتعذيب والتنكيل والقتل .

فإذا ما جاهد المسلم نفسه ضدّ هذه جميعا، وظل مرابطا مستعدا حتى يأتيه الموت وهو على ذلك، فقد أفسح الطريق ، وفتح الباب أمام الناس ليحيوا الحياة الطيبة الكريمة في الدنيا ، وأقل ما يكافأ به هذا المسلم المرابط أن يفوز بالفوائد والثمرات التي قدمنا ، وأن يجري عليه من الأجر حتى بعد موته مثل أجور من استفادوا برباطه، ومن عملوا مثل عمله مصداقا لقوله ﷺ : « من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله »<sup>(١)</sup> ، « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا »<sup>(٢)</sup> ، « . . . فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم »<sup>(٣)</sup> .

(١) الحديث أخرجه مسلم في : الصحيح : كتاب الإمارة : باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره ٣ / ١٥٠٦ رقم ١٣٣ (١٨٩٣) ، وأبو داود في : السنن : كتاب الأدب : باب ما جاء في الدال على الخير ٤ / ٣٣٣ رقم (٥١٣٩) ، والترمذي في : السنن : كتاب العلم : باب ما جاء في الدال على الخير كفاعله ٥ / ٤١ ، ٤٢ رقم (٢٦٧١) كلهم من حديث أبي مسعود البدرى ، وقال الترمذي عقب حديثه : « هذا حديث حسن صحيح » ، وزاد رواية أخرى من حديث أنس بن مالك ، ثم عقب عليها بقوله : « هذا حديث غريب من هذا الوجه ، من حديث أنس عن النبي ﷺ » ، وأحمد في : المسند ٤ / ١٢٠ ، ٥ / ٢٧٤ من حديث أبي مسعود البدرى مرفوعا ، ٥ / ٣٥٧ من حديث سليمان بن بريدة عن أبيه مرفوعا . وسبب ورود الحديث كما في مسلم ، أنه جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : إني أبدع بى - يعنى هلكت دابتي ، وهى مركوبى - فاحملنى ، فقال : « ما عندى » ، فقال رجل : يا رسول الله ، أنا أدله على من يحمله ، فقال رسول الله : « من دل على خير فله مثل أجر فاعله » .

(٢) الحديث أخرجه البخارى مختصرا في : الصحيح ( الترجمة ) : كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة : باب إثم من دعا إلى الضلالة أو سن سنة سيئة ٩ / ١٢٧ ، ومسلم في : الصحيح : كتاب العلم : باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة ٤ / ٢٠٦ رقم ١٦ (٢٦٧٤) وأبو داود في : السنن : كتاب السنة : باب لزوم السنة ٤ / ٢٠١ رقم (٤٦٠٩) ، والترمذي في : السنن : كتاب العلم : باب ما جاء فيمن دعا إلى هدى ٥ / ٤٣ رقم (٢٦٧٤) ، وابن ماجه في : السنن : المقدمة : باب من سن سنة حسنة أو سيئة ١ / ٧٥ رقم (٢٠٦) ، وأحمد في : المسند ٢ / ٣٩٧ ، ٥٠٥ كلهم من حديث أبي هريرة رويته مرفوعا به ، وبنحوه ، وتام لفظه كما في : مسلم : « . . . ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا » .

(٣) الحديث أخرجه البخارى في : الصحيح : كتاب الجهاد : باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة ٤ / ٥٧ ، ٥٨ ، باب فضل من أسلم على يديه رجل ٤ / ٧٣ ، وكتاب أصحاب النبي ﷺ : باب من فضائل على ﷺ ٥ / ٢٢ ، ٢٣ ، وكتاب المغازي : باب غزوة خيبر ٥ / ١٧١ ، ومسلم في : الصحيح : كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل على ﷺ ٤ / ١٨٧١ - ١٨٧٣ ، رقم (٣٣ - ٣٥) ، والترمذي في : السنن : كتاب المناقب : باب مناقب على بن أبى طالب ﷺ ٥ / ٦٣٨ رقم (٣٧٢٤) ، كلهم من =

ولا تعارض بين الحديث وبين قوله ﷺ : « إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة أشياء : من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعوله » (١) ؛ لأنه تقدم تفسير الرباط بملازمة أخذ الأهبة والاستعداد للجهد بكل حال ، فيشمل ذلك الأصناف الثلاثة المذكورة في هذا الحديث ، وما في معناها من الحج ، والصوم عن الغير ونحوها ، وكأنها جميعا داخله ضمن الرباط في سبيل الله والموت على هذا الرباط .

رابعا : ماهية فتنه القبر وسبيل النجاة :

وفتنه القبر هي عدم التوفيق في الجواب عند السؤال ، إذ جاءت نصوص كثيرة تؤكد وقوع السؤال في القبر ، وأن الناس في الجواب عن سؤال القبر فريقان :

فريق مؤمن سعيد ، وهذا يوفق في الجواب .

وفريق كافر أو عاص شقي ، وهذا لا يوفق في الجواب .

ومن هذه النصوص :

قوله تعالى : ﴿ يَتَّبِعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٧) ﴾ [ إبراهيم ] .

= حديث سهل بن سعد مرفوعا بنحوه ، وبمثل ، وزاد مسلم روايتين : إحداهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه والأخرى من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه ، ولفظ مسلم عن سهل بن سعد أنه قال : إن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر : « لأعطين هذه الراية رجلا يفتح الله على يديه ، يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله » ، قال : فبات الناس يدعون ليلتهم أيهم يعطاها ، قال : فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجون أن يعطاها ، فقال : « أين على بن أبي طالب ؟ » فقالوا : هو يا رسول الله ﷺ . يشتكى عينيه ، قال : « فإرسلوا إليه » فأنى به ، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ حتى كان لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية ، فقال على : يا رسول الله ، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال : « انفذ على رسلك ، حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم للإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم » . وحمر النعم : هي الإبل الحمر ، وهي أنفس أموال العرب ، يضربون بها المثل في نقاسة الشيء وإنه ليس هناك أعظم منه . انظر : لسان العرب لابن منظور ٤ / ٢١٠ .

(١) الحديث أخرجه مسلم في : الصحيح : كتاب الوصية : باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ٣/ ١٢٥٥ رقم (١٦٣١) ، وأبو داود في : السنن : كتاب الوصايا : باب ما جاء في الصدقة عن الميت ٣/ ٣٠٠ رقم (٢٨٨٠) ، والترمذي في : السنن : كتاب الأحكام : باب في الوقف ٣ / ٦٦٠ رقم (١٣٧٦) ، والنسائي في : السنن : كتاب الوصايا : باب فضل الصدقة عن الميت ٦ / ٢٥١ ، كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا ، وعقب الترمذي على حديثه بقوله : « هذا حديث حسن صحيح » .

وقوله ﷺ: «إذا أقعد المؤمن في قبره أتى، ثم شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله ﷺ، فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾» (١)، وتلا ﷺ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ فقال: «ذلك إذا قيل له في القبر: مَنْ رَبُّكَ؟ وما دينك؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ فيقول: الله ربي، والإسلام ديني، ومحمد نبيي، جاءنا بالبينات من عند الله، فأمنتُ به، وصدقته، فيقال: صدقتَ، على هذا حَيِّتَ، وعليه تبعثُ إن شاء الله» (٢)، «إن العبد إذا وضع في قبره وتولَّى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم، فيأتيه ملكان فيقعدانه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل - يعني محمدا - قال: فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك في النار قد أبدلك الله به مقعدا في الجنة، فيراهما جميعا» (٣).

وأنه ﷺ دخل نخلا لبني النجار، فسمع صوتا ففرع، فقال: «مَنْ أصحابُ هذه القبور؟» قالوا: يا نبي الله، ناس ماتوا في الجاهلية، فقال: «نعوذ بالله من عذاب القبر، وعذاب النار، وفتنة الدجال». قالوا: وما ذلك يا رسول الله؟ قال: «إن هذه الأمة تُبتلى في قبورها، وإن المؤمن إذا وضع في قبره أتاه ملك، فيقول له: ما كنتَ تعبد، فإن الله هداه - وفي رواية القطان: فإن هداه الله عز وجل - فيقول: كنتُ أعبد الله، فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل، فيقول: هو عبد الله ورسوله» قال: «فما سئل عن شيء غيرها، فينطلق به إلى بيت كان له في النار فيقال له: هذا بيتك كان في النار، ولكن الله عز وجل عصمك، ورحمك، فأبدلك به بيتا في الجنة، فيقول: دعوني حتى أذهب فأبشر أهلي، فيقال له: اسكن، وإن الكافر إذا وضع في قبره أتاه ملك فينهره فيقول: ما كنتَ تعبد؟ فيقول: لا أدري، فيقول: لا دَرَيْتَ ولا تَلَيْتَ، فيقول: ما كنتَ تقول في هذا الرجل، فيقول: كنتُ أقول ما يقول الناس» قال: «فيضربه بمطراقٍ من حديد بين أذنيه، فيصيح صيحةً يسمعها الخلق غير الثقلين» (٤).

(١) الحديث أخرجه البخاري في: الصحيح: كتاب الجنائز: باب ما جاء في عذاب القبر ١٠١/٢ من حديث البراء مرفوعا. (مصور عن طبعة دار الطباعة العامة باستانبول ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م).

(٢) الحديث أخرجه البيهقي في: إثبات عذاب القبر ص ٢٩ من حديث أبي هريرة مرفوعا بهذا اللفظ، وأورده ابن كثير في: تفسير القرآن العظيم ٥٣٤/٢.

(٣) الحديث أخرجه مسلم في: الصحيح: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ٢٢٠٠/٤، ٢٢٠١ رقم (٢٨٧٠) من حديث أنس بن مالك مرفوعا، وأورده البيهقي في: إثبات عذاب القبر ص ٣٣ من حديث قتادة عن أنس بن مالك مرفوعا.

(٤) الحديث أخرجه أبو داود في: السنن: كتاب السنة: باب في المسألة في القبر وعذاب القبر ٢٣٨/٤، ٢٣٩ رقم (٤٧٥١)، وأحمد في: المسند ٢٣٣/٣ كلاهما من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه مرفوعا، وأورده البيهقي في: إثبات عذاب القبر ص ٣٣، ٣٤ من حديث البراء بن عازب مرفوعا، والحديث له شواهد كثيرة صحيحة.

وعن البراء رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله صلوات الله عليه في جنازة رجل من الأنصار، فانتبهنا إلى القبر، ولم يلحد، فجلس رسول الله صلوات الله عليه، وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير، فجعل يرفع بصره، ينظر إلى السماء، ويخفض بصره، وينظر إلى الأرض، ثم قال: «أعوذ بالله من عذاب القبر»، قالها مرارا، ثم قال: «إن العبد المؤمن إذا كان في قبلي من الآخرة، وانقطع من الدنيا، جاءه ملك، فجلس عند رأسه فيقول: اخرجي أيتها النفس المطمئنة إلى مغفرة من الله ورضوان، فتخرج نفسه فتسيل كما يسيل قطر السماء، وتنزل ملائكة من الجنة بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس معهم أكفان من أكفان الجنة، وحنوط من حنوطها، فيجلسون منه مد البصر، فإذا قبضها لم يدعوها في يده طرفة عين فذلك قوله: ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ ﴾ (٦١) ﴿ [ الأنعام ] قال: «فتخرج نفسه كأطيب ريح وجدت فتعرج به الملائكة، فلا يأتون على جند فيما بين السماء والأرض إلا قالوا: ما هذه الريح؟ فيقال: فلان بأحسن أسمائه، حتى ينتهوا إلى أبواب سماء الدنيا، فيفتح له، وتشيعه من كل سماء مقربوا حتى ينتهي إلى السماء السابعة، فيقال: اكتبوا كتابه في عليين، ثم يقال: رده إلى الأرض فأنتى وعدتهم أنتى منها خلقتهم، وفيها نعيدهم، ومنها نخرجهم تارة أخرى»، قال: «فيرد إلى الأرض وتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان شديدا الانتهاز، فينتهرانه، ويجلسانه فيقولان: من ربك، وما دينك؟ فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، فيقولان: ما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان: وما يدريك؟ فيقول: جاءنا بالبينات من ربنا، فآمنت به، وصدقته»، قال: وذلك قوله: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ [ إبراهيم : ٢٧ ] ، ثم قال: «وينادي مناد من السماء أن قد صدق عبدى، فألبسوه من الجنة وأفرشوه منها، وأروه منزله منها، فيلبس من الجنة، ويفرش منها، ويرى منزله فيها، ويفسح له مد بصره، ويمثل له عمله في صورة رجل حسن الوجه، طيب الريح، حسن الثياب، فيقول: أبشر بما أعد الله لك، أبشر برضوان من الله، وجنات فيها نعيم مقيم، فيقول: بشرك الله بخير، من أنت؟ فوجهك الوجه الذي جاءنا بالخير، فيقول: هذا يومك الذي كنت توعده، والأمن الذي كنت توعده، أنا عملك الصالح، فوالله ما علمتكم إلا كنت سريعا فى طاعة الله، بطيئا فى معصيته، فجزاك الله خيرا، فيقول: يا رب، أقم الساعة كى أرجع إلى أهلى ومالى».

قال: « وإن كان كافرا، فاجرا، وكان فى قبل من الآخرة، وانقطع من الدنيا جاءه

ملك فجلس عند رأسه ، فقال: اخرجى أيتها النفس الخبيثة، أبشرى بسخط الله وغضبه، فتنزل ملائكة سود الوجوه، معهم مسوح، فإذا قبضها الملك قاموا فلم يدعوها في يده طرفة عين « قال: « فتفرق في جسده، فيستخرجها تقطع معها العروق، والعصب كالسفود الكثير الشعب في الصوف المبلول، فتؤخذ من الملك، فتخرج كأنتن ريح وجدت، فلا تمر على جند فيما بين السماء والأرض إلا قالوا: ما هذه الريح الخبيثة؟ فيقولون: هذا فلان بأسوأ أسمائه، حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا، فلا يفتح له، فيقول: رُدُّوه إلى الأرض إني وعدتهم أنى منها خلقتهم، وفيها نعيدهم، ومنها نخرجهم تارة أخرى»، قال: « فيرمى من السماء»، فتلا هذه الآية: ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ (٣١) [ الحج ] . . ، قال: «يعاد إلى الأرض، وتعاد فيه روحه، ويأتيه ملكان شديدا الانتهاز فينتهرانه ويجلسانه، فيقولان: فما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فلا يهتدى لاسمه، ويقال: محمد، فيقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون ذلك، فيقال: لا دريت، فيضيق عليه قبره، حتى تختلف أضلاعه، ويتمثل له عمله في صورة رجل قبيح الوجه، منتن الريح، قبيح الثياب، فيقول: أبشر بعذاب الله وسخطه، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي جاء بالشر، فيقول: أنا عمك الخبيث، والله ما علمتكم إلا كنت بطيئا في طاعة الله، سريعا في معصيته فيقيض له أضْمُ أبكم معه مرزبة لو ضرب فيها فيل صار ترابا - أو قال: ريمما - فيضربه ضربة تسمعها الخلائق إلا الثقلين، ثم تعاد فيه الروح، فيضربه ضربة أخرى»<sup>(١)</sup>، إلى غير ذلك من النصوص.

وسبيل النجاة من فتنة القبر تتمثل جملة في الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، كما قال سبحانه: ﴿ وَالْعَصْرُ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ (٣) ﴾ [سورة العصر].

(١) الحديث أخرجه أبو داود في: السنن: كتاب السنة: باب في المسألة في القبر وعذاب القبر ٢٣٩/٤ ، ٢٤٠ رقم (٤٧٥٣)، وأحمد في: المسند [ ٧٤/٧ الفتح الرباني ]، وأورده الهيثمي في: مجمع الزوائد ٤٩/٣، ٥٠ وعزاه إلى أحمد قائلا: « رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح »، وأورده البيهقي في: إثبات عذاب القبر ص ٣٧ - ٣٩ كلهم من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه مرفوعا، وعقب عليه قائلا: « هذا حديث كبير صحيح الإسناد رواه جماعة من الأئمة الثقات عن الأعمش، وأخرجه أبو داود سليمان بن الأشعث في كتاب السنن».

أما تفصيلاً فقد جاءت النصوص ببعض الأعمال التي تكون سبباً في النجاة من فتنة القبر، ونذكر منها:

✽ الرباط : كما نطق بذلك الحديث الذي نحن بصدد شرحه الآن.

✽ الشهادة : فقد سأل رجل رسول الله ﷺ : فقال: يا رسول الله، ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ فقال: « كفاه بيارقة السيوف على رأسه فتنة »<sup>(١)</sup>.

✽ الصلاة ، والصيام ، والزكاة ، وفعل الخيرات من الصدقة ، والصلة ، والمعروف ، والإحسان إلى الناس : فقد جاء في الحديث أنه ﷺ قال : « إن الميت إذا وضع في قبره ، إنه ليسمع خفق نعالهم حين يولؤون عنه ، فإن كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه ، وكان الصيام عن يمينه وكانت الزكاة عن يساره ، وكان فعل الخيرات من الصدقة ، والصلة ، والمعروف ، والإحسان إلى الناس عند رجله ، فيؤتى من قبل رأسه ، فتقول الصلاة : ما قبلي مدخل ، ثم يؤتى عن يمينه ، فيقول الصيام : ما قبلي مدخل ، ثم يؤتى عن يساره ، فتقول الزكاة : ما قبلي مدخل ، ثم يؤتى من قبل رجله ، فيقول فعل الخيرات - من الصدقة ، والصلة ، والمعروف والإحسان إلى الناس : ما قبلي مدخل ، فيقال له : اجلس ، فيجلس قد مثلت له الشمس قد دنت للغروب ، فيقال له : هذا ما تقول فيه ، فيقول : دعوني أصلي ، قال : « فيقولان : إنك ستفعل هذا ، فأخبرنا عما نسألك عنه » ، قال : « عما تسألوني » ، قال : « ماذا تقول في هذا الرجل الذي فيكم ، وبماذا تشهد عليه ؟ فيقول : أشهد أنه رسول الله ﷺ جاء بالحق من عند الله ، فيقال له : على ذلك حبيت ، وعلى ذلك مت ، وعلى ذلك تبعث إن شاء الله ، ثم يفتح له باب من أبواب الجنة ، فيقال : انظر إلى مقعدك منها ، وما أعد الله عز وجل لك فيها ، فيزداد غبطةً وسروراً ، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً ، وينور له ، ويعاد الجسد كما بدأ منه ، وتجعل نسمة من النسم الطيب ، وهي طائر يعلق في شجر الجنة ، فينام نومة العروس لا يوقظه إلا أحب أهله إليه ، حتى يبعثه الله - عز وجل . . . » الحديث<sup>(٢)</sup>.

(١) الحديث أخرجه النسائي في: السنن: كتاب الجنائز: باب الشهيد ٩٩/٤ من حديث ليث بن سعد، عن معاوية بن صالح، أن صفوان بن عمرو حدثه، عن راشد بن سعد، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله، ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ . . . الحديث.

(٢) الحديث أخرجه ابن حبان في: صحيحه [رقم (٧٨١) موارد الظمان]، والحاكم في: المستدرک: كتاب الجنائز: باب الميت يسمع خفق نعالهم ٣٧٩/١ ، ٣٨٠ ، والبيهقي في: إثبات عذاب القبر ص ٦١ ، ٦٢ ، واعتقاد السلف ص ١٠٨ كلهم من حديث أبي هريرة مرفوعاً، وإسناده حسن، وأورده الهيثمي في: مجمع الزوائد ٥١/٣ ، ٥٢ وعقب عليه بقوله: « رواه الطبراني في الأوسط، وإسناده حسن ».

المواظبة على قراءة سورة الملك : فقد جاء في الحديث : أن النبي ﷺ قال : « في القرآن سورة ثلاثون آية شفعت لصاحبها حتى غفر له ، ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة الملك ] » (١) .

وقال عبد الله بن مسعود: « سورة تبارك هي المانعة، تمنع بإذن الله تبارك وتعالى من عذاب القبر، أتى رجل من قبل رأسه، فقالت له: لا سبيل لك على هذا، إنه كان قد دعا في - سورة الملك - وأتى من قبل رجليه، فقالت رجلاه: لا سبيل لكم على هذا، إنه كان يقوم بي - بسورة الملك - فَمَنَعَتْهُ بِإِذْنِ اللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَهِيَ فِي التَّوْرَةِ سُورَةُ الْمَلِكِ، مَنْ قَرَأَهَا فِي لَيْلَةٍ فَقَدْ أَكْثَرَ وَأَطْنَبَ » (٢) .

※ كثرة الاستعاذة بالله من عذاب القبر: كما مرَّ في الأحاديث التي ذكرنا آنفاً.

※ دعاء المؤمنين للمؤمن بالتثيت عند السؤال بعد الفراغ من الدفن : فقد كان من هديه ﷺ: إذا فرغ من دفن الميت أن يقول لمن معه: «استغفروا لميتكم، واسألوا له التثيت، فإنه الآن يُسأل» (٣) .

خامساً: بعض النصوص الأخرى الواردة في فضل الرباط :

وقد وردت نصوص أخرى غير الحديث الذي نحن بصدد شرحه الآن في فضل الرباط، نذكر منها :

(١) الحديث أخرجه الترمذى في: السنن: كتاب أبواب فضائل القرآن: باب ما جاء في فضل سورة الملك ١٦٤/٥ رقم (٢٨٩١) من حديث أبي هريرة مرفوعاً، وعقب عليه قائلا: « هذا حديث حسن»، والحاكم في: المستدرک: كتاب التفسير: باب تفسير سورة الملك ٤٩٧/٢، ٤٩٨ من حديث أبي هريرة مرفوعاً، وقال: « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ، وأقره الذهبي على ذلك في تلخيص المستدرک ، وأورده البيهقي في: إثبات عذاب القبر ص ١٠٠ من حديث أبي هريرة، وقال: « حسن الإسناد » .

(٢) الحديث أخرجه الحاكم في: المستدرک: كتاب التفسير: باب تفسير سورة الملك ٤٩٨/٢ موقوفاً على ابن مسعود رضي الله عنه وقال: « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » وأقره الذهبي على ذلك في: التلخيص ، وأورده البيهقي في: إثبات عذاب القبر ص ٩٩ موقوفاً: على ابن مسعود ، ومثل هذا مما لا مجال للرأى والاجتهاد فيه، لا سيما وابن مسعود ليس معروفاً بالأخذ عن أهل الكتاب ، أو رواية الإسرائيليات ، فله إذن حكم المرفوع .

(٣) الحديث أخرجه أبو داود في: السنن: كتاب الأدب: باب في قتل الحيات ٣٦٥/٤ رقم (٥٢٥٧) من حديث أبي سعيد مختصراً، والحاكم في: المستدرک: كتاب الجنائز: باب الاستغفار وسؤال التثيت للميت عند الدفن ٣٧٠/١ من حديث عثمان بن عفان مرفوعاً، وقال: « هذا حديث صحيح على شرط الإسناد، ولم يخرجاه » ، وأقره الذهبي على ذلك في التلخيص، وأورده البيهقي في: إثبات عذاب القبر ص ٤٧ من حديث هانئ مولى عثمان بن عفان مرفوعاً، كما أورده في: السنن الكبرى ٥٦/٤ .

قوله عليه السلام: « رباط يوم وليلة كصيام شهر وقيامه، فإن مات جرى عليه الرباط، ويؤمن من الفتان، ويقطع له رزق في الجنة »<sup>(١)</sup>، « رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله، أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها »<sup>(٢)</sup>، « رباط شهر خير من صيام دهر، ومن مات مرابطاً في سبيل الله آمن من الفزع الأكبر، وغدّى عليه برزقه، وريح من الجنة، ويجرى عليه أجر المرابط حتى يبعثه الله - عزّ وجلّ »<sup>(٣)</sup>، « من سن سنة حسنة فله أجرها ما عمل بها في حياته، وبعد مماته حتى تترك، ومن سن سنة سيئة فعليه إثمها حتى تترك، ومن مات مرابطاً في سبيل الله جرى عليه عمل المرابط في سبيل الله حتى يبعث يوم القيامة »<sup>(٤)</sup>، « من رباط ليلة حارساً من وراء المسلمين كان له أجر من خلفه ممن صام، وصلّى »<sup>(٥)</sup>، إلى غير ذلك من النصوص.

سادساً: العوامل التي تساعد على غرس روح الرباط في نفس المسلم :

وهناك عوامل كثيرة تساعد على غرس روح الرباط في نفس المسلم، نذكر منها:

- ١- التعريف بالله تعالى وبحقّه على العباد، فإن ذلك من شأنه أن يحمل المسلم على المبادرة بأداء هذا الحق، والذي يتمثل في الجملة في الرباط في سبيل الله.
- ٢- بيان المصير، وسبيل النجاة، وسيظهر بعد هذا البيان أن الرباط هو سبيل النجاة.
- ٣- تبصير المسلم بدوره، ورسالته في الأرض، ومنزله ومكانته عند الله.
- ٤- التبصير، والتذكير بفوائد وثمرات الرباط في الدنيا والآخرة.

(١) الحديث أخرجه مسلم في الصحيح: كتاب الإمارة: باب فضل الرباط في سبيل الله ٣ / ١٥٢٠ رقم (١٩١٣) من حديث سلمان مرفوعاً، والنسائي في السنن: كتاب الجهاد: باب فضل الرباط ٦ / ٣٩، ٤٠، وأورده البيهقي في إثبات عذاب القبر ص ٩٦ من حديث سلمان، وعزاه إلى مسلم في صحيحه.

(٢) الحديث سبق تخريجه ص ١٢٢.

(٣) الحديث أورده المنذرى في: الترغيب والترهيب: كتاب الجهاد: باب الترغيب في الرباط في سبيل الله عزّ وجلّ ٢ / ٢٤٣ من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً، وعقب عليه بقوله: « رواه الطبراني، ورواه ثقات ».

(٤) الحديث أورده المنذرى في: الترغيب والترهيب: كتاب الجهاد: باب الترغيب في الرباط في سبيل الله عزّ وجلّ ٢ / ٢٤٥ من حديث وثالة بن الأسقع رضي الله عنه مرفوعاً، وعقب عليه قائلًا: « رواه الطبراني في الكبير بإسناد لا بأس به ».

(٥) الحديث أورده المنذرى في: الترغيب والترهيب: كتاب الجهاد: باب الترغيب في الرباط في سبيل الله عزّ وجلّ ٢ / ٢٤٥ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً، وعزاه إلى الطبراني قائلًا: « رواه الطبراني في الأوسط بإسناد جيد ».

٥- تبصير المسلم وتذكيره بحقيقة عدوه، وأسلوبه في الكيد والمكر، وأن الرباط أفضل السبل لمواجهة هذا الكيد، وذلك المكر.

٦- دوام النظر في سير المرابطين ، وسماع أخبارهم ، بل ومعايشة الأحياء منهم ، فإن ذلك يحمل على الاقتداء والتأسي أو على الأقل المحاكاة والتشبه.

٧- النزول عمليا إلى ميدان الرباط ، فإن الميدان هو خير وسيلة للتربية والبناء، ولكن بالتدرج، وأن يكون الأمر على مراحل لثلا تضعف النفس البشرية، فيكون اليأس والقنوط، أو السأم والملل.

هذا ولمعرفة المزيد من هذه العوامل، فإن هناك رسالة لكاتب هذه السطور بعنوان: «منهج الرسول ﷺ في غرس الروح الجهادية في نفوس أصحابه». فليراجعها من شاء. ما يستفاد من الحديث دعويا وتربويا :

ويستفاد من الحديث من الناحية الدعوية والتربوية عدة فوائد، نذكر منها:

١- سعة رحمة الله تعالى ، حيث يموت صنف من الناس ، ومع ذلك تجرى عليهم حسناتهم ، وأرزاقهم ، وهم تحت التراب ، بسبب ما قدموا من عمل صالح تعداهم إلى غيرهم من الناس ، ويسمى هؤلاء باسم المرابطين في سبيل الله.

٢- فضل الرباط في سبيل الله ، حيث يكون سببا في حماية الحق وصيانته من كيد الكائدين، وعبث العابثين، فيحيا من حي عن بيته، ويهلك من هلك عن بيته.

٣- أن الناس يفتنون في قبورهم إن كانوا طالحين، ويؤمنون من هذه الفتنة إن كانوا صالحين، وأن الرباط في سبيل الله من أسباب الأمن من فتنة القبر، ومن الفزع الأكبر.

٤- أن الرباط في الإسلام أوسع دائرة ، وأبعد مدى من مجرد الحراسة وملازمة الثغور، أجل إنه يتناول الإسلام كله ، من لدن مواجهة العدو في أرض المعركة حتى استحضر نية الرباط في سبيل الله، وصدق الله : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ﴾ [ الأنفال : ٦٠ ] .